محمود محمد شاكر

المتنبي

١٠٤٩ (لغة وأدب)

السفر الثاني

محمود محمد شاكر

المتنبي

السفر الثاني

قضية المتنبي

وثلاث تراجم لم تنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ونعمه، والصلاة والسلام على صَفوته من خلقه محمدٍ رسول الله، وعلى أبوينا إبرٰهيم وإسمٰعيل، وعلى سائر رُسُله إلى عباده.

وبعدُ، فهذا هو السفر الثانى الملحق بكتابى عن «المتنبّى»، جمعتُ فيه ما كنت كتبتُه قديماً فى صحيفة «البلاغ» بعنوان «بينى وبين طه»، وكان غَرضى أن أكشف الحقيقة التى انطوَى عليها كتاب الدكتور طه حسين «مع المتنبى». كتبتُها يومئذ والدكتور طه حسين حىٌّ بعدُ، يستطيع أن يردّنى إن جُرْت عن الحقّ، أمّا اليوم فأنا أعيدُ نشرها بعد أن فارقنا، غفر الله لنا وله، ويستقبلها جيلٌ لم يشهدْ تلك الأيَّامَ، وهى عندهُ خبرٌ من الأخبار. ولم أنشرها على ما كُتِبت عليه يومئذٍ، إلّا لأنها أصبحت تاريخاً يُرْوَى، ولأنها تتضمَّنَ تفصيلاً كثيراً عن أشياء ذكرتُها فى كتابى، يَبينُ بها الفرقُ بين منهجى فى دراسة الشعر والشعراء، وبين منهج غيرى ممَّن كتب سِيَرَهم، أو فسَّر شعرهم، كما أشرت إليه فى مقدمة السفر الأوّل «المتنبى». ثم ضممتُ إليها ما كتبته فى مجلة «الرسالة» يومئذ عن «نبوّة المتنبى»، وردَّ أخى وصديقى الأستاذ الجليل سعيد الأفغانى إلى أن انقطع القول بينى وبينه.

لأنه أيضاً روايةُ تاريخ ، وإبانةٌ عن منهج . ثم لم أثبت شيئاً مما كُتِب عن كتابى هذا مما فيه ثناء عليه ، لقلة انتفاع هذا الجيل به ، إلا كلمةً واحدةً أثبتُّها ، لا لما فيها من ثناء ، بل لأن صاحبها كانَ أستاذى وصديقى ، ولأن وفاتَهُ كانت أحد الأسباب الداعية إلى ترك الاستمرار فى نقد كتاب الدكتور طه ، رحم الله الرافعىّ ، وغفر له ولنا جميعاً .

ثم ألحقت بهذا التاريخ ثلاث تراجم للمتنبى لم تُنْشر ، لأن الكتب التى نُقِلَتْ عنها لم تزل مخطوطة ، ولأن فيها شيئاً جديداً كثيراً عنه ، لم يقع لى ولا لأحدٍ قبلى ، وقد بيَّنْتُ أمرها فى السفر الأوّل. وكان الفضلُ كلّ الفضل فى الوقوف على هذه التراجم الثلاث ، مصروفاً إلى أخى وصديقى الأستاذ الجليل أحمد راتب النفاخ ، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، نقل بعضها قديماً بخطّه ، وصوّر لى بعضَها . وشكرى له لا يَفِى بقليل كرمه ، فكيف بالكثير الذى غمرنى به آسياً ومُواسياً فى كلّ ضرّاء لَحِقَتنى ، أو آتياً ومُوَاتياً فى كلّ سَرّاءَ زَادَهَا بهجةً إسراعُهُ إلىّ وهو أنا ، وأنا هو ؟ أطال الله بقاءه ونفع به ؟

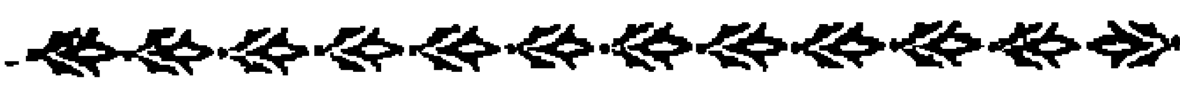
محمود محمد شاكر

مصر الجديدة :
٣ شارع الشيخ حسين المرصفى
السبت : ١٥ رجب ١٣٩٧
٢ يوليه ١٩٧٧

بيني وبين طـه



إنّما أنفُسُ الأنيسِ سِبَاعٌ
يتفارسْنَ جَهْرَةً واغتيالاَ
مَنْ أطاقَ التِماسَ شيْءٍ غِلاَباً
واغتِصَاباً لم يَلتَمِسْهُ سُؤالاَ
كُلُّ غَادٍ لحاجَةٍ يتمَنَّى
أن يكونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئبالاَ



نشر الأستاذ الجليل ، عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية ، الدكتور طه حسين بك كتاباً سماه « مع المتنبى » ، ولدته المطبعة وفيه سبعمئة صفحة وإحدى عشرة صفحة ، كلها جيد النسق ، جميل الرونق ، لو تمنى عالم عَزَبٌ لألقى فى أمنيته أن يكون له بعِدادها ولدٌ يحملون عنه العلم من جيل إلى جيل .

وقد عشت مع المتنبى زمناً يطول أو يقصر ، كما عاش معه الدكتور الجليل ، وكتبت عنه كتاباً متواضعاً فى مئة وستين صفحة من القطع الكبير ، نشره المقتطف فى أول شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، لذكرى ألف سنة مضت على مقتل أبى الطيب ، كما كتب عنه الدكتور الجليل كتاباً ضخماً ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر فى شهر يناير سنة ١٩٣٧ .

فمن حق المتنبي عليّ أن أقرأ ما كتب عنه الدكتور طه وغير

الدكتور طه ، كما أنه من حق نفسى علىّ أن أضع التاريخ فى موضعه الذى أرّخته به دورة الفلك ، فإن التاريخ لا يصلح معه الأدب الذى أدّبنا به الله تعالى فى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : ١٢] ، فوالله إنا لنفسح للدكتور الجليل فى مجالسنا حتى يبلغ الغاية التى هو لها أهل ، وعلى وُدِّنا أن نفسح له فى التاريخ أيضاً ... لولا أن التاريخ « يحتج بشدة » .

فبينى وبين الدكتور الجليل أمران جليلان أيضاً : أوّلهما ما يقوله هو عن المتنبى ، وآخر الأمرين ما يقوله كتابى الذى نشر فى يناير سنة ١٩٣٦ وكتابه الذى نشر فى يناير سنة ١٩٣٧ . فى أولهما حديثٌ رويناه : « أن إبراهيم النظام المعتزلى قال لرجل : أتعرف فلاناً المجوسىّ ؟ قال : أجَلْ ، أعرفه ، ذَاكَ الذى يَحْلق وَسَطَ رأسه مثل اليَهُود . فقال النظام : لا مَجُوسياً عرفتَ ، ولا يهودياً وَصَفْتَ » = (والنصارى لا اليهود هم الذين يحلقون وسط رؤوسهم) = وفى آخرهما خبران رويناهما ، أحدهما عن الرياشى يقول : كان الفرزدق مَهيبًا تخافُهُ الشعراء ، فمرّ يوماً بِالشَّمَرْدَل وهو ينشد قصيدتَه حتى بلغ إلى قوله :

وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعاً وَطَاعَةً   وَبَيْنَ تَمِيمٍ ، غَيْرُ حَزِّ الغَلَاصِمِ

فقال له الفرزدق : والله يا شمردل ، لتتركنّ هذا البيت أو لتتركنّ

عِرْضَك ! (يوعده بالهجاء) . فقال الشمردل : خذه على كُرْه مِنّى يا أبا فِراس ! فهو اليوم فى قصيدته :

* تَحِنّ بزوراء المَدينَةِ نَاقَتِى *

قال الرياشى : وكان الفرزدق يقول :

« خَيْرُ السَّرقة مالا يجب فيه القطع »

يريد سرقة الشعر ، لا يجب فيها قطعُ يد السارق .

= والخبر الآخر عن الضحاك الفُقَيْمِىّ قال : « بينا أنا بكاظمة ، وذو الرُّمَّة ينشد قصيدته التى يقول فيها :

أحِينَ أعاذَتْ بِى تميمٌ نِساءَها   وجُرِّدتُ تجريدِ اليمانِى من الغِمْدِ

إذ راكبان قد تدلّيَا من نَعْفِ كاظمة ، متقنّعان ، فوقفا ، فلما وقف ذو الرمة ، حَسَر الفرزدق عن وجهه وقال : يا عُبَيْد (وهو الراكب الآخر وراوية الفرزدق) ، آضمُمْها إليك . فقال ذو الرمّة : نشدتك الله يا أبا فِراس ! فقال الفرزدق : دع ذا عَنْك . فانتحلها الفرزدق فى قصيدته ، وهى أربعة أبيات » .

والفرزدق كان فحْلاً قَطِمًا من فحول الشعر ، كان ينفُض الشعراء بلسانه نفض الندَّاف ضريبة القطن ، فلا عجب أن يكون مَهيباً تخافه الشعراء ، وتتّقى شَبَاة لسانه بالعفو له عن بعض ما يُغِير عليه من جيد شعرهم وبضائع أفكارهم . فهذا أدب الشاعر اللّص أبى فراس ، لم يُرْوَ عنه أنه أغار على

شعر أحد من شعراء عصره فى غيبةِ صاحبه ، وإنما كان مذهبُه فى اللصوصية أن ينحطّ على صاحب الشعر كالصَّقر لا يبالى ، أن يستلبه ماشاء اغتصاباً فى مشهده ، على الرضى أو على الغضب ، وعلانيةً غير مستخفٍ بريبة ، ولا مُهادن بحيلة ، ثم لا يأخذه حين يأخذه إلا كما هو بنصّه لا يغيره ولا يبدّله ولا يُسْقِط منه ، ولا يأخذ بعض المعنى ويدع سائره . إن الفرزدق شاعر بليغ قد أُوتى حظاً من الشعر سَجَد له الأخطل حين سمع إنشاده ، وشهد له جرير بالعلوّ ، وتساقط دونه الشعراء تساقُط الجياد دون الغاية ، أتظن الفرزدقَ = هذا اللّصَّ = كان يَزَعُه شئ عَن أن يعمد إلى المعنى الذى أراده الشمردل أو ذو الرمة ، فيأخذه فيضعه فى أى اللفظ شاء ؟ أَوَرأيته إن فعل ، كان يعجز عن تجويد المعنى وتحسين اللفظ وإبداع القافية ؟

إن الفرزدق لخليق أن يفعل فيخفى مأخذه وسرقته ، فيجوِّد الشعر ، فيزيد فى بيانه ، فلا يعرف النقاد من أين أخذ ولا كيف سرق ، فيبرأ من صعلكة الشعراء وغاراتهم وسرقاتهم . ولكن هذا أدب الفرزدق ، وهو أدب الإغارة والسطو وانتهاب أقوال الشعراء من جيِّد القوافى .

ولكنَّ اثنى عشر قرناً قد دارت على آداب الناس دورةَ الرَّحَى ، فطحنت أدباً كثيراً وذَرَّته فى الهواء ، فكان مما طحنت وذرّت أدب جَمٌّ بعضه « أدب الإغارة » ، وهو أدب لا يقوم به ولا يعتمد على أصله ، إلا أصلٌ فى النفس قوىٌّ مستحكم متماسك ، عزيزٌ يأنف الدنية ، ويأبى الخفية ، ويتهجم حين يتهجم مُقدِماً حاسراً متدفِّعاً كأنه قنبلة تنطلق . . .

* * *

وبعد، فإن الأول قال: « مَنْ يمدح العروسَ إلا أهلُها »، فأنا أعوذ بالله من أن أكون كأهل العروس ما يعرفون من نعت حسن إلا نعتوها به، وإن كانت شوهاء مدبرة، وأعوذ بالله من شر النفس وما تأمر به وتتولّج فيه وما تنزوُ إليه، وأعوذ بالله من أن أكون ذليلاً ضَرَعًا لا يدفع عن نفسه ولا يحمى حماه.

هذا ما أقدِّمه بين يدى نقد كتاب الأستاذ الجليل (عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية) الدكتور طه حسين بك، الذى سماه فيما يسمى «مع المتنبى». وعلىَّ للقارئ أن لا أُخِلّ بما أختصره له من أبواب هذا الكتاب وفصوله، ولى على القارىء أن يتابع النقد، ويفصل بينى وبين الدكتور الجليل، فما كان من مالى فهو لى وإن جحده الجاحد، وما كان للدكتور فأنا أدعه له طيِّب النفس، وأسأل الله أن تقَرَّ به عينُ الدكتور.



قسم الدكتور الجليل عميد الأدب العربى كتابه إلى خمسة كتب، فالكتاب الأول فى صِبا المتنبى وشبابه، والفصل الأول من هذا الكتاب كالمقدمة يقول فى ص ٦: « لا أريد أن أدرس المتنبى إذن، فالذين يقرأون هذه الفصول لا ينبغى لهم أن يقرأوها على أنها علم، ولا على أنها نقد، ولا ينبغى أن ينتظروا منها، ما ينتظرون من كتب العلم والنقد، وإنما هى خواطر مرسلة تثيرها فى نفسى قراءة المتنبى.. قراءة المتنبى من غير نظام ولا مواظبة، وعلى غير نسق منسجم.. ». ثم يقول فى ص ٧: « وقُل ما تشاء فى هذا الكلام الذى تقرؤه: قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول،

وقل إنه كلام يَهْذِي به صاحبه هذياناً، قل إنه كلام يصدر عن رأى وأناة، وقل إنه كلام يصدر عن شذوذ وجموح، فأنت محق فى هذا كله، لأنى مرسل نفسى على سجيَّتها ».

هذا مختصر الفصل الأول من ص ٣ إلى ٨، ونحن لا نعلق عليه بشيء إلى حين، ومن شاء فليقرأه كله، فإنه بيان بليغ معجز، وفن رفيع لا يعرفه ولا يجيده ولا يتأتَّى له وإن ركب إليه كل مَرْكَب، إلا الدكتور الجليل طه حسين بك!

أما الفصل الثانى والثالث من الكتاب فهما فى نسب المتنبى، من ص ٩ إلى ص ٣٤. وقد أراد الدكتور بهذين الفصلين أن يخلُص إلى القول بأن « مولد المتنبى كان شاذاً، وأن المتنبى أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته كلها » ص ٤٤. فلذلك زعم الدكتور أنه يشك فى نسب أبى الطيب، وأنه يتوقف فى القطع برأى فى صحة مايرويه الرواة من نسبه. وسيجد القارىء من طرافة مايقول الدكتور طه حسين لذةً لا تَعْدِلها لذة النكتة المصرية البارعة من رجل همُّه أن يكون حاضر البديهة، سريعاً إلى تصوير فنه العبقرىّ فى ألفاظ تتهكم ..... يقول الدكتور:

« قد تعوَّد الناس أن يؤمنوا بأن المتنبى رجل خالص النسب ينتهى من قِبَل أبيه إلى جُعْفِىّ، ومن قِبَل أمه إلى هَمْدان »، ولكن « ديوانه لا يثبت ذلك ولا يؤكده، بل لا يسجله ولا يذكره »، بل « لعل ديوانه ينفيه نفياً هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح » ص ٩. « فالمتنبى لم يمدح

أباه ! ! ولم يفخر به ! ! ولم يَرْثِهِ ! ! ؟ ولم يظهر الحزن عليه حين مات » ص ٩ أيضاً . ثم إن المتنبي « كان يؤثر أن ينتسب إلى السيف والرمح وإلى الحرب والبأس على أن ينتسب إلى هذا الرجل الطيب ! ! الذى سماه المؤرخون الحسين » . وأكثر من ذلك ، فقد اختلف المؤرخون فى جده : « ولم يجمعوا على الاسم الذى يلصقونه به » ص ١٠ : والمؤرخون يزعمون « أنهم كانوا يعرفون عن (والد المتنبي) شيئاً يسيراً جدًّا ، كانوا يزعمون أن أبا المتنبي كان سَقَّاء فى الكوفة » ص ١١ ، ولعلهم لم يقصدوا بذلك إلا أحد أمرين : « الرفع من شأن المتنبي أو الوضع من قدره ... فكأنهم إذن لم يعرفوا من أمر أبى المتنبي إلا مثل ما عرفوا من أمر جدّه ، أى لم يعرفوا شيئاً » ص ١٢ . إذن ، « أكان المتنبي يعرف أباه ؟ قال المؤرخون نعم ، ولم يقل المتنبي شيئاً » ص ٩ ، وقد « اتهم المتنبي فى نسبه ، وسئل عن أبيه وجده فلم يستطع ، أو لم يرد أن يجيب سائليه ، وآثر أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس » ص١٧ ، وقال فى جواب سائليه :

أَنَا ٱبْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الـ ... بَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ
وإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ ... مَنْ نَفَرُوهُ وأَنْفَدُوا حِيَلَهْ
فَخْرًا لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ ... وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَهْ
وَلْيَفْخَرِ الفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ لَهُ ... مُرْتَدِيًا خَيْرَهُ وَمُنْتَعِلَهْ
أَنَا الَّذِى بَيَّنَ الإِلٰهُ بِهِ الـ ... أَقْدَارَ ، وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهْ
إِنَّ الكِذَابَ الَّذِى أُكَادُ بِهِ ... أَهْوَنُ عِنْدِى مِنَ الَّذِى نَقَلَهْ

ويقول فى آخر هذه الأبيات :

وَرُبَّما أُشْهِدُ الطَّعَامَ ، مَعِى مَنْ لَا يُسَاوِى الْخُبْزَ الَّذِى أَكَلَهْ
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِى وَأَعْرِفُهُ ، وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ

والدكتور لا يحتاج أن يقف عند شيء من هذه القصيدة إلا شيئاً واحداً « هو هذا الكذاب الذى كان المتنبى يُكاد به عند أبى العشائر » = « أتراه يمسّ نسبه من قريب أو بعيد ؟ » ص ١٦ . ثم يقول فى ص ١٧ : « ليس فى ذلك من شك عندى » ، وهذه الأبيات « تصور ضعف المتنبى من ناحية نسبه أبلغ تصوير وأقواه ... » ص ١٧ . هذا هو الفصل الثانى من كتاب الدكتور طه من ص ٩ إلى ص ١٧ مختصراً بتوسع ! !

إن الدكتور طه حسين رجل عبقرى ليس فى ذلك شك عندى ، فهو من قبل شكه فى نسب أبى الطيب قد استطاع أن يشكّ فى الشعر الجاهلى وفى أشياء كثيرة !! واستطاع أن يتغلب بتوفيق الله له على خصومه والمناوئين له ، واستطاع أن يقوم كالجبل لا يعمل فيه السيف عملَ السيف ، ويعمل هو فى السيف عمل الجبل فى تثليمه وتحطيمه وتكسيره ، ورجع السيف عَوْدَه على بَدْئه ، حديدةً لا تنفع ولا تقطع !!

ولكن هل يستطيع الدكتور الجليل ، أو كتابه الأجلّ أن يجيبنى : لماذا شكّ الدكتور طه حسين فى نسب أبى الطيب ؟ وما هى الأسباب التى دفعته إلى هذا الشك ؟ أمّا الدكتور الجليل فأكبر الظن فيه أنه يترفع ، على عادته ، عن الإجابة ، فهو رجل عبقرى ، والعبقرى لا يقال له « لماذا ؟ » .

فإذا قيل له : « لماذا »؟ زَوَى وجهه وانصرف ، وترك سائله لصخرة الأعشى التى ذكرها فى لاميته المشهورة . وأما كتابه الأجلّ فهو أطوع لسائله وأسرع إلى جوابه .

سألت كتاب الدكتور : « لماذا شك صاحبك فى نسب أبى الطيب ؟ » فقال : « لا أدرى والله . . » . . كذا ! ! إذن فما هى الأسباب التى دفعته إلى ما يظهر من الشك ؟ فقال الكتاب : « إن الدكتور يزعم أنك إذا قرأت ديوان أبى الطيب مستأنياً متمهلاً ، لا تجد فيه ذكراً لأبيه ، ص ٩ ، وأنك تجده لم يمدحه ، ولم يفخر به ، ولم يرثه ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات » ، ص ٩ ، وهذا كافٍ فى تشكيك العلماء فى نسب أبى الطيب ، وهو كافٍ فى اليقين بأن المتنبى لم يعرف أباه » .

هذه هى الأسباب التى دفعت الدكتور الجليل طه حسين بك عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية إلى الشك فى نسب المتنبى ، فمن حق المتنبى علينا أن ننظر فيها ، أهى مما يحمل على الشك فى نسب رجل لم يشك فى نسبه الذى رواه المؤرخون أحد ، من يوم أن زَوَى ذلك النسبَ إلى اليوم السادس من شهر شوال سنة ١٣٥٤ ، والأول من شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وهو يوم صدر كتابى عن المتنبى !

ألا فليحدثنا الدكتور طه ، أيكون لزاماً على كل شاعر أن يمدح أباه ، وأن يفخر به ، وأن يرثيه ، وأن يظهر الحزن عليه حين يموت ؟ فإن لم يفعل الشاعر ذلك ، فهو شاعر : « لا يعرف أباه » ! إنى أجد من الشعراء من نخر بأبيه . وقد كان ذلك فى شعر كثير من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وعصر

بنى أمية أو بنى العباس ، ثم أجد فيهم كثيراً لا يُعَدّ كثرة من لا يفخر بأبيه ولا ذكره فى شعره ، أفكل هؤلاء لم يكن يعرف أباه ولا يثبت نسبه لضعفه وخسته ؟ وليحدثنا الدكتور الجليل عن شعراء العرب الذين رَثَوْا آباءهم من الجاهلية إلى يومنا هذا ، وليحدثنا الدكتور الجليل عن هؤلاء الشعراء الذين أظهروا الحزن على آبائهم حين ماتوا ، وليرجع الدكتور إلى ما شاء من كتب الشعر ، وكتب الأدب ، فيجمع لنا أسماء الشعراء الذين رثوا آباءهم وحزنوا عليهم ، وليثبت أن هؤلاء كانوا من الأشراف ذوى الأنساب = وأن سائر الشعراء الذين لم يفعلوا مثل الذى فعلوا ، هم من السوقة الملطّمين اللقطاء الذين لا يعرفون آباءهم ولا يثبتون أنسابهم !

إن الدكتور طه رجل ذكى صاحب حيلة ونَفَاذ ، فربما رأى الرأى فأراده ليتخذه رأياً ، فيختلق له الأسباب ، فيرى الأسباب لا تغنى فى الرأى ، وأن الاعتراض يأكلها سبباً سبباً ، فيحتال بجعل الاعتراض فى سياق قوله ، ويأتى به على وجهٍ ليجعله ظهيراً لرأيه . وهذا الذى نقوله ليس بزعم من عند أنفسنا ، بل هو ما ترى ...

رأى الدكتور طه أن إغفال الشاعر ذكر أبيه لا يدلّ على شىء البتة ، وأن الشعراء الذين لم يفخروا بآبائهم ، ليسوا أقلّ نسباً ولا أحطّ مَغْرِساً من الذين فاخروا ونافروا بآبائهم ، وأن التاريخ يحدثنا « أن أبا جرير الشاعر لم يكن شيئاً ، وأن جريراً أضاف إليه من الخلال والخصال والأخلاق ما لم يكن منه بسبب ، حتى غلب به الشعراء وقهر به الفحول ، ثم لم يمنعه ذلك من أن يظهره للناس كما هو ، ليثبت لهم أن شعره كان أكبر من غروره ، وأن

طبع أبيه قد خذله وأعياه فأنجده شعره ، وأعانه على أن يخلقه خلقاً جديداً »
ص ١٢ . فهذا جرير « كان أبوه يشرب من ضَرْع العنز مخافة أن يُسْمَع
صوتُ الحلب فيطلب منه لبن ، ففاخر به ثمانين شاعراً فغلبهم . فاخر جرير
بهذا البخيل الكزّ اللئيم الفرزدقَ ، وأبوه غالب بن صعصعة ، وكان غالب
من أجواد العرب المعروفين ، وكان جدّه كذلك ، وهو الذى مَنَع الوئيد
فى الجاهليّة فلم يدع تميماً تئد بناتها وسُمِّى : « مُحْيِي المَوْؤُدات » . وعرف
الدكتور ذلك فأراد أن يتأوّله على الوجه الذى يرضى به ، فزعم أن شعر
جرير غلَبَ غُرورَه ، ووالله ما أدرى ماذا يريد الدكتور طه بهذا الزعم
وما فهمته ولن يفهمه أحد .... لقد عرف الدكتور الجليل أن المتنبى =
وهو الشاعر الذى رمى شعراء عصره فأصماهم فغلبهم فذهب بأرزاقهم عند
الأمراء = كان يستطيع أن يفعل ما فعل جرير ، وأن يفخر بأبيه
السقاء ، على أبى فراس الحمدانى وغيره من أشراف الشعراء فى عصره ،
وعرف أن كثيراً من الشعراء غير جرير قد فخروا بآبائهم على من كان
أكرم منهم أباً وأمًّا ، فماذا يفعل الدكتور بعد ذلك ؟ إنها لمشكلة تلد
مشاكل ! إذن ، فما الذى يضيره أن يقول : « أما المتنبى فلم يستطع شعره أن
يغلب غروره (!!) ولم يستطع أن يضيف إلى أبيه ما ليس فيه ، ولم يستطع
أن يخلق أباه خلقاً ، ومن يدرى ؟ لعل مصدر ذلك أن جريرًا كان يعرف
أباه فصوَّره كما أراد لا كما كان ، وأن المتنبى لم يكن يعرف أباه فلم يستطع
أن يصوِّره لا كما أراد ولا كما كان » ، وانتهى كلام الدكتور ص ١٣ .

حقًّا إن طه حسين بك رجل صاحب حيلة لا تفرغ ، وحقًّا إن له فنًّا قد

غلب به أهل الفنون ، وحقاً إنه لعبقرى ! هذا الدكتور يقول إن شعر جرير قد أعانه على أن يخلق أباه خلقاً جديداً ، ومعنى ذلك أن جريراً قد صوَّر أباه صورة ليس بينها وبين الحقيقة سبب ولا نسب ، ومعنى ذلك أيضاً أن معرفته لأبيه لم تغن فى هذا الخلق الجديد شيئاً ، لأنه التمس له من فنه الشعرى صورة متخيلة زيَّنها له شيطان شعره ، ولم تعنه حقيقةُ أبيه لما فيها من لؤم وخسة وضَعَة . فإذا كان المتنبى لا يعرف أباه كما يزعم ، فإن ذلك لا بأس به ، لأنه إذا أراد أن يصوِّره فلن يرجع إلى حقيقته لينتزع منها الصورة ، كما أن جريراً لم يرجع إليها ، وإنما المرجع هنا إلى شيطان الشعر ، فهو وحده الذى « يخلق أباه خلقاً جديدًا » كما خلق جرير أباه خلقًا جديداً . وجُهْد المتنبى فى هذا أقل من جهد جرير ، فالمتنبى الذى لا يعرف أباه ولا يعرف حقيقته ، يتخيل ما يشاء من الآباء كأحسن الآباء . أما جرير « الذى يعرف أباه » فمن جهده أن يغالط نفسه ، وأن يغالط الناس الذين يعرفون أباه ، وأن يطمس صورة أبيه البخيل الكز اللئيم لئلَّا تتراءى له وهو ينقل الصورة الجديدة فتفسد عليه فنه ، ثم على جرير أن يتخيل ما لم يكن من صورة الأبوة الكريمة الممدَّحة التى يستطيع أن يغالب بها الشعراء ويفاخرهم ويظهر عليهم بها فى فخره ونفاره . لعل المسألة إذن أن الأمر فى جرير والمتنبى هو ما قال الشاعر :

إنِّى وكُلَّ شَاعرٍ مِنَ البَشَرْ   شَيْطَانُهُ أُنْثَى وشَيْطَانِى ذَكَرْ

فشيطان أَبى الطيب كان أنثى ، ضعيف المُنَّة قليل الخير ، يكذب صاحبه

فى طلب الخيال القوى للآباء ، وكان شيطان جرير ذكرًا فحلاً قد امتلأ قوة، لا يطلب خيالاً إلاّ أدركه وظفر به وغلب به الشعراء!!

إنى أشفق على الدكتور طه حسين بك من بدَوات عبقريته ، [فهى تصور له الأشياء كما يُريدها هو لا كما يجب أن تكون] !! فيتورط فيحتال ، فتكون حيلته كالكِذْبة البَلقاء لا تجدُ ما يسترها . أراد الدكتور أن يثبت فى أثناء هذا الفصل أن أبا الطيب « لا ينتسب إلى الرجال لأنه لا يريد أو لا يستطيع أن يجد فى الانتساب إلى الرجال غَنَاء » ص ٥١ ، وأن المتنبى هو الذى يأتى فى شعره بالدليل على ذلك ، فهو يقول :

أنا ابْنُ مَنْ بَعْضُه يفوقُ أبَا الْ ... باحث ، والنَّجْلُ بعضُ من نَجلَهْ

وإنَّما يذكُرُ الجدودَ لهم ... مَنْ نَفَرُوه وأنْفَدُوا حِيَلَهْ

« فالمتنبى كما ترى لا ينسب نفسه إلى أب كآباء الناس ، وإنما ينسبه نفسه إلى متجزِّئ ، له بعضٌ يمتاز عن كله ، وبعْضه هذا يفوق آباء الباحثين عن نسبه » ص ١٥ .

لقد مضى علىّ زمن وأنا أجد اللذة فى تتبع كتب الفكاهة ، فكان أعجب ما يعجبنى منها المُحَالات ، وهو الكلام الذى يأتى به الرجل تحسبه مستقيماً ، وهو محالٌ لا يكون ولا يفهم على وجه من الوجوه . وأشْهَدأن فنّ الدكتور طه فى شرح هذا الشعر أعجب إلىَّ الآن من ذلك . كيف لا ؟ وهو عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية ، وهو بعد ذلك إمام الأدباء

المجدّدين فى هذا العصر ! أيُّما امرىء فى القراء فَهِم شرح الدكتور الذى نقلناه، فله عندنا ثلاث نسخ من كتابنا عن المتنبى من طبعته الثانية. أىُّ شىء هذا الذى ينسب نفسه « إلى متجزّىء بعضه يمتاز عن كله » !

وأنا أتولَّى تفهيم الدكتور معنى هذا الشعر، فالمتنبى يقول: أنا ابن مَنْ وَلَدُهُ يفوق أبا الباحث، ويعنى بذلك نفسه = هذا كل ما أراد المتنبى أن يقوله.[١] والذى أوهم الدكتور فأوقعه فرّغ كلامه فى هذا (المتجزىء الذى له بعض يمتاز عن كله)، هو قول أبى الطيب [بعضه] فى البيت. ولعلّ حيلة الدكتور أو عبقريته تقول: فلماذا لم يقل: « أنا ابن مَنْ نَجْلُهُ . . » ؟ فلو قال المتنبى ذلك لما كان قوله: « والنجل بعض من نجله » يعطى من المعنى إلا أقله، ولا يزيد فى كلام أبى الطيب شيئاً، لأنها حقيقة معروفة ابتداء. ولكن المتنبى أراد أن يقول للسائل:

إن الحقيقة المقررة هى أن الولد بعض الوالد (أى جزء منه)، فإذا كان الولد (وهو جزء) يفوق أباك (وهو كل)، فما ظنك (بالكل) الذى يكون (جزؤه) خيراً من (كل أبيك) ؟ ولذلك قال المتنبى (بعضُه) ولم يقل (نجله).

هذا هو المعنى على الصورة التى أظن أن الدكتور يفهم بها البيت ! وهـــذه المعادلة المنطقية لابد وأن يتشابه طرفاها. فإذا كان والد

---

(١) قول المتنبى: « أنا ابن من بعضه » مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها أغضبنى » أخرجه البخارى وغيره. و « البضعة »، بفتح فسكون، القطعة من كل شىء، أى بعض الشىء.

الباحث رجلاً ، فلابدّ إذن من أن يكون والد المتنبي رجلاً أيضاً . ولكن الدكتور طه يقول : « هو لا ينسب نفسه إلى رجل لأنه لا يحفل أو لا يريد أن يحفل بالانتساب إلى الرجال » ص ١٥ . ويقول : « هو إذن لا ينتسب إلى الرجال . الخ » ص ١٥ أيضًا ، « ولكن المتنبي كان يؤثر أن ينتسب إلى الرمح والسيف . . على أن ينتسب إلى هذا الرجل الطيب الذى سماه المؤرخون الحسين » ، ص ١٠ من هذا الكتاب الجليل !

هذا بعضٌ من خَلْطٍ كثير وقع فى الفصل الثانى فى الكتاب من ص ٩ إلى ص ١٧ . وهذا ، غير الأخطاء التى تدل على أن الدكتور صادق فيما يقول فى مقدمة كتابه ، أنَّ هذه الفصول لا ينبغى أن تقرأ « على أنها علم ، ولا أنها نقد ، وإنما هى خواطر مرسلة ، تثيرها قراءة المتنبى فى غير نظام ولا مواظبة وعلى غير نَسَق منسجم » ص ٦ . فإذا كانت القراءة فى غير نظام ولا مواظبة على نَسَقٍ ، فالفهم إذنْ كذلك . وإذن فقد صدق الدكتور أيضاً ، وأدرك حقيقة ما يجب أن يشعر به قارئُ كتابه إذ يقول : « قل ما تشاء فى هذا الكلام ... قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً ... فأنت محق فى هذا كله » ص ٧ ، وصدق .

وميعادنا الأسبوع القادم لنظهر الدكتور على أخطائه ، وندله على المواضع التى أخذها من كتابنا فى هذا الفصل ، وأفسدها على الناس ، لأنه أراد أن يحاكى ، فخذلته المحاكاة ، وأراد أن يقلد فخانه التقليد .

رَغب إلينا بعض بلغاء العربية ، ومَنْ همُّه أن يحق الحق ويبطل الباطل ، وأن يبرأ الأدب من داء اللجلجة ، وزَمَانة الثرثرة ، وعِلَل التلفيق والتمويه التى يُزْتَجى بها التلبيسُ على العقلاء ، واستمالة الدَّهماء إلى فاسد الآراء = أن نعمد إلى النقد الذى كتبناه فى بلاغ السبت الماضى ، والذى كنا على نية إتباعه بهذه الكلمة وما بعدها ، فنقدم له كلمة فى مجمل ما ننقده من كتاب الدكتور طه حسين الذى سماه فيما يُسَمِّى « مع المتنبى » ، وأن نحدِّد أغراض النقد ونميز بينها ، ونفصل أبوابها ، وأن نجتهد فى جمع المؤتلفات من أبواب النقد فى نسق مفصّل ، والمتشابهات من فَعَلات الدكتور فى قَرَنٍ مشترك ، وأن نجعل منا على ذُكْرٍ ما كتبه النقاد والأدباء والمترجمون لأبى الطيب ، وأن نشركهم معنا فى الانتصاف من الدكتور طه ، فإن الذى يأخذ من كتاب قد فرغ الناس من قراءته فى فبراير سنة ١٩٣٦ ، يستطيع الوقيعة فى كتاب لم يَفرُغ الناس من قراءته بعدُ ، فما بالك فيما مضى عليه بعض العام ، وما مضى عليه أعوام !

ولكنى أعتقد أنْ ليس شىء أشقَّ على القارئ من أن يقدِّم له الناقدُ بين يدى نقده مجملَ ما يتعاطَاهُ من الأغراض والأبواب والفصول والغايات ، وخاصةً إذا كانت أغراض النقد تتناول فيما تتناول كلَّ الأصُول التى بُنِيَ

عليها الكتاب = وخاصة إذا كان الكتاب من كتب الدكتور طه حسين. بك ، فإن ما يكون فيه من اضطراب الآراء وتخالفها وتناقضها ، وما يقع فيه من الذيول اللفظية المكررة المعادة على غير جدوى ولا فائدة ، وما ينزُو به من القَفَزات « الأولمبية » المحكمة من فكرة إلى فكرة لا تصل بينهما صلة من المنطق ، ولا تربطها من رابطة إلا الألفاظ الدائرة التي توقع التشابه في نفس القارئ إذا غفل ولم يتدبّرها = كل ذلك يجعل اختصار الأغراض وتحديدها أمرًا عسيرًا لا يُثْمِر ثمرةً تكون كِفَاءً لما يلقاه في سبيله من نَصَب الفكرة وعِلاج الرأى .

وأيضاً ، فإن جَمْع المؤتلفات ، وضمّ المتشابهات كُلاًّ إلى كُلٍّ ، هو أشقّ على القارىء ، وأحْرَى أن يحمله على سوء الظنّ فيما نكتب ، فربما وقع أحد المتشابهين في أول الكتاب والآخرُ في أدباره ، فإذا عرضنا لنقدها معاً ، خُيِّل للقارىء أننا لم ننصف الدكتور طه ، إذ أخذنا جزءاً من كلامه في باب من الأبواب وتركنا سائر الباب ، فلعل في سائره ما يفسِّر ذلك أو يوجِّهه أو يحدد الرأى فيه ويقرِّبه إلى جهة الصواب ، وينزع بنا إلى جهة الخطأ والتحامل . ولو فعلنا ذلك لكانت المشقة أبلغ ، والجهد في الحكم على النقد أشدَّ وأصعبَ ، فإن هذا المذهب في القول يقتضى القارىء أن يلمّ ، وهو يقرأ ، بأطراف الكتاب كله على معنى الإحاطة ، مع التنبّه السابق إلى الخطأ والتلبيس والطَّفرة في الكلام ، وأن يكون قد عرف مِثلَ الذى عرفنا من وجه التأويل في الفكرة أو الرأى أو المذهب . فهذا كما ترى لا يستطيعه قارىء النقد على الوجه المرضىّ .

وأما أن نجمل كتب النقاد والكتّاب والأدباء الذين درسوا أبا الطيب، وكتبوا عنه على ذُكْرٍ منا حين ننقد، فسنحمل النفس عليه مع ما تعرف فيه من العَنَت حتى نبلغ رضا الأدباء والقراء. وفى الانتصاف لمن لم ينتصف لنفسه، فضيلةُ الصدق، وشِيمة العدل، وحسن الجزاء عند الله وعند الناس.

* * *

ولا بأس، فهذه كلمة نُجمل فيها بعض أغراض النقد على سبيل العرض والتقديم، لا على سبيل التحديد والبسط والإحاطة. فأوّل ذلك أننا اعتمدنا أن نكشف عن الطريقة التى انتهجها الدكتور طه فى كتابه وهو يترجم حياة أبى الطيب. فهل كان الدكتور مقلِّداً فى نهجه أم مبتدعاً؟ وهل استطاع أن يسوق القول على النهج الذى لا يختلف، أم أعْيَى فاختلف واضطرب؟ وهل أصاب فيها خيراً أم أخطأه الخير، ولم يستحقبْ من ذلك إلاَّ مَعَرَّة التقليد والمحاكاة؟ والقول فى هذا لا يكون مدركاً غايته من الإصابة والبيان إلا أن نفرُغ من نقد أجزاء الكتاب جزءاً جزءاً، وبعد أن نميِّز الفاسدَ من الصالح، ونَفْصِل بين المؤتلف والمختلف، والسليم وذى الآفة، وما تسلم نسبته إلى الدكتور طه، وما يستلحق إلى نسبٍ غير نسبه، إلى آخر هذا الباب.

والثانية أن نعرض الأخطاء التى ارتطم فيها الدكتور خطأً خطأً فى فصل فصل وكتاب كتاب، ونبينَ فسادَ المذاهب وبُطْلان الحجج، ونكشفَ عن ضعف الصلة بين الفكرة والفكرة، ونحددَ سوء الانتقال من مقدمة

لا تنفتج النتيجة التى استولدها منها ، ونَنْضُوَ عن كلامه الزينة التى سترته ، وما خَوَّض فيه من شعر المتنبى فأفسد معناه وأخطأ فهمه .

وثالثة العلل ، أو ما يذهب قوم إلى تسميتها « مآخذ » ، ويذهب آخرون إلى تسميتها « سرقات » ، ونحن لا نرجح أحد الاسمين فى حاقِّ التسمية !! ولكنا تعوَّدنا فى كتب الدكتور طه نَقْلَه معانى الناس إلى معانيه ، وأنَفَتَه من نسبة الأشياء إلى أصحابها والذين رَمَوْا أنفسهم فى نارِها حتى استخلصوها بعد أن أصابهم البلاء والأذى وجَهَدهم الجُهْد . وما أستطيع هنا أن أحدد كلَّ الكتب التى أدركتها يد الدكتور طه ، ولكن أقرب الكتب هى (١) كتابنا عن أبى الطيب المتنبى الذى نشره المقتطف فى يناير سنة ١٩٣٦ (٢) وكتاب « ذكرى أبى الطيب » للدكتور عبد الوهاب عزام (٣) وكتاب « أبى الطيب المتنبى » لمحمد كمال حلمى بك (٤) وكتاب « المتنبى » للأستاذ شفيق جبرى ، وكثير غير ذلك مما فاضت به الصحف فى السنة الماضية حين احتفل الناس بمرور ألف سنة على مقتل أبى الطيب ، ثم آراء طائفة من القوم الأعاجم المستشرقين الذين ترجموا لأبى الطيب أو ذكروه فى بعض كتبهم أو مقالاتهم .

* * *

وهذا أوان العودة إلى ما كنا فيه من كلمتنا السالفة ، وقد بينا أن الدكتور طه حسين بك إنما يشك فى نسب المتنبى ، ويزعم أنه كان (لا يعرف أباه) ، لأن أبا الطيب لم يذكر والده فى ديوانه !! ولأنه لم يمدحه !! ولأنه لم يفخر به !! ولأنه لم يَرْثِه !! ولأنه لم يظهر الحزن عليه حين مات !!

ولأنه سئل عن أبيه وجده فلم يستطع ، أو لم يُرِدْ ، أن يجيب سائليه ! وآثر أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس ، كما توهّم الأستاذ الجليل !! وذلك حيث يقول :

أنا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أبَا الـ ... بَاحِثِ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ ... مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ
فَخْرًا لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ ... وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَهْ

إلى آخر الأبيات التى أخطأ الدكتور فى فهمها ، فزعم أن أبا الطيب « ينتسب إلى متجزئ ، له بعض يمتاز عن كله » !!

وقد عرفت أن العلل التى حملت الدكتور على الشك فى نسب المتنبى ، وإنكاره صِدْقَ الرواة فيما رووه من أن أباه كان جُعْفِيًّا صحيح النسب ، وأن أمه كانت هَمْدانية صحيحة النسب ، إنما هى علل واهية وأسباب واهنة ، المتعلِّق بها كالمتعلق بخيوط من بيت العنكبوت ، فإن الشعراء الذين لم يذكروا آباءهم فى دواوينهم ، ثم لم يمدحوهم ، ولم يرثوهم ، ولم يظهروا الحزن عليهم حين ماتوا ، ولم يفخروا بهم فى أشعارهم وقصيدهم ، لا تلزمهم لازمة الشك فى أنسابهم ، ولا تلحق بهم معرَّةُ أن يكونوا (لا يعرفون آباءهم) ، ثم هم ليسوا أقلّ شأناً ولا أخسّ نسباً ، ولا أنكد مَغْرِسًا من الذين فعلوا ذلك وأتوا به وذكروه فى أشعارهم . وأيضاً فإن التاريخ يشهد أن القليل من الشعراء هم الذين رثوا آباءهم وأمهاتهم ، وأظهروا الحزن عليهم فى أشعارهم ، أو فخروا بهم ومدحوهم فى قصيدهم . ولو أردنا أن نحرج الدكتور الجليل

لقلنا : إن أبا الطيب عاش من سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣٥٤ ، وكان فى عصره هذا من الشعراء من لا نحصيهم كثرة ، فهل هو يستطيع أن يدلنا على عدة الشعراء المعاصرين للمتنبي ، الذين رثوا آباهم أو أمهاتهم أو مدحوهم وفخروا بهم أو بكوهم وأظهروا الحزن عليهم حين ماتوا ؟ فإذا قرر لنا أن أكثر الشعراء المعاصرين قد فعلوا ذلك ، وأن الذين فعلوه هم من أشراف أهليهم ، ومن الذين (يعرفون آباءهم) ويعرف التاريخ أنسابهم وأصولهم ، ويعدّد مفاخرهم ومثالبهم ، وأن سائر من لم يفعل ذلك منهم ، هم السفلة والغوغاء وأوشاب الناس الذين (لا يعرفون آباءهم) ولا يثبتون أنسابهم = إذا قرر الدكتور الجليل ذلك أخذنا معه المتنبي بالقياس ، وبغير نظر فى دلائل شعره ومخايل كلامه ، ووضعناه معه حيث وضعه فى المنزلة التى يكون الرجل فيها (لا يعرف أباه) .

لا تجد فى الناس من يطيق أن يتابع الدكتور طه فى شكِّه من أجل علل كهذه العلل ، فإن وجدته فلن تجد من يتابعه فى أنها دليل على أن المتنبي لم يكن يعرف أباه . وأكبر الظن أن كل من قرأ كتاب الدكتور طه يشعر أن هذه العللَ عللٌ مفتعلة للشكّ لا أصل لها فى نفس الدكتور ، ولا فى نفس أحدٍ غيره ممن (يريد أن يدرس المتنبي) أو من (لا يريد أن يدرسه) .

أو تدرى لماذا شك الدكتور طه حسين فى نسب أبى الطيب ، وكيف أخذ يجد فى نفسه الحاجة إلى هذا الشك ، وأين وجد هذه الكلمات التى اتخذها ذريعة يتوسّل بها إلى تعليل شكه ؟ ولماذا لم يستطع إلا أن يتوقّف فى الشك

ويذهب يزعم لنفسه أو للناس أن المتنبي كان (لا يعرف أباه) ؟ وما المعنى الذى أراده أو صرَّح به فى قوله يصف المتنبي بأنه (لا يعرف أباه) ؟ فخذ خبر ذلك كله بما ترى وتسمع !

ما فى الدنيا أديب عربىٌّ لم يقرأ هذه الكلمة التى قالها ابن رشيق حين أفضى به القول إلى ذكر أبى الطيب، وذلك إذ يقول: «ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس». وقد صَدَق وصدَّقت الأيام قولَه، فقد ذكروا من شروح ديوانه أكثر من أربعين شرحاً، وما تكاد تجد كتاباً من كتب التراجم أو كتب الأدب لم يذكر المتنبى أو لم يترجم له، ثم أفرد بعض القدماء كتباً لترجمته، ثم جاء من بعدهم المحدثون والمعاصرون فكتبوا عن أبى الطيب على طريقة أهل العصر. وما رأيت أحداً من هؤلاء شك فى نسب أبى الطيب، أو فى اسم أبيه المتداول، فكلهم = من ألف سنةٍ إلى أول يناير سنة ١٩٣٦ = إجماعٌ على التسليم بصحة ما رواه الرواة، من أن والد المتنبى كان سَقَّاء بالكوفة، وأنه كان جُعْفيًّا صحيح النسب، وأن أمه كانت هَمْدانية صحيحة النسب أيضاً.

ثم جاء كاتب هذه الكلمات فقال كلمته عن شاعر العربية ولسانها الحكيم أبى الطيب ونشرها المقتطف فى عدد خاص، احتفالاً بذكرى ألف سنة مرَّت على مقتله، وتداولها الناس، ومنهم الدكتور طه حسين بك، فى السادس من شهر شوال سنة ١٣٥٤ (أول يناير سنة ١٩٣٦). وقد كانت الفصول الأولى أو أكثر الكتاب فى نقد الروايات التى وصلت إلينا فى كتب الأوائل والأواخر عن حياة أبى الطيب، وقد أثبتُّها بإسنادها فى

أول الكتاب ، وطفقت أنقدها من كل وجه معروف للنقاد ، حتى خلصت من ذلك إلى الشك فى صحتها ، أو صحة الأقوال التى تضمنتها ، والأخبار التى أُتِمَّت بها ، وجمعتُ الأدلة التى تهيأت لى فى ذلك الوقت ، وجملتنى أبصر فساد النية وسوء القصد ، فقطعت الرأى فيها بأنها نكاية وكيد وإرادة الحطِّ من قدر الرجل = دفع الرواةَ إليه العداوةُ والحسدُ وما هو من بابهما .

وهذه الروايات التى كان الأدباء جميعاً ، ولا يزالون ، يقطعون بصحتها ، كنت أوّل من شك فيها وبيَّن فسادَها ، وقذَف بها فى وجوه رواتها . وأدخلنى شكى فى هذه الروايات مداخلَ من هنا وأخرجنى من ثَمَّ ، حتى ذهبت فى الرأى مذهباً لم أُسْبَقْ إليه ، فزعمت أن أبا الطيب كان عَلَوِيًّا شريف النسب ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وقد أثار هذا الرأى الأدباء ، فمنهم من وافق ، ومنهم من توقَّف ، ومنهم من عارض بالحجة ، ودفع بالبرهان كما تبيَّن له ، ومنهم من أخذ بعض الرأى وترك بعضه ، ومنهم من كان هذا الشك الذى أتيت به فى نسب المتنبى أنه جُعْفِىٌّ الأب هَمْدانىٌّ الأم وأن أباه كان سقاء = حافزاً له على النظر بين اليقين والشك ، ولكنه نهج نهج العلماء المتثبتين فجرى فى نقد الروايات فى هذه الأخبار وغيرها على طريقتنا ، ولم يوافقنا فى النتيجة ، بل ذهب مذهباً آخر وسطاً ، فكان قوله إن والد المتنبى « لم يكن رجلاً نابه الشأن » = أعنى الأستاذ الجليل المتثبت الدكتور عبد الوهاب عزام صاحب (ذكرى أبى الطيب) المطبوع ببغداد فى ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ .

فهل عرفت الآن لماذا شك الدكتور طه فى نسب المتنبى؟ شك لأن إنساناً قبله سبقه إلى هذا الشك ... ونسى أن شك هذا الإنسان قد بنى على الجهد والنّصب وطول العلاج والتمرّسِ بالنقد المَضِل الذى لا يسلم عليه أحد = وأن شك الدكتور طه الذى أتى به فى كتابه عُرْيان متكشفٌ لا تستره حجة، ولا يُقنِّعُه برهان .

إذن فكيف بدأ الدكتورَ طه يجد فى نفسه الحاجة إلى هذا الشك؟ لقد ألّف الدكتور أو أملى ـ أو ما يشاء ـ كتاباً سماه « فى الشعر الجاهلى »، وتوهم أنه قادر على الاضطلاع به، فوقعت إليه كلمات يشك بها أصحابها فى نسبة الشعر الجاهلى إلى أصحابه، فأعجبه ذلك وحُبِّب إليه، فأُغْرِى به، ودار دورة فى الأوهام حتى وقع على مذهب فيلسوف عظيم يُسَمَّى ديكارت، فاستعار مذهبه لكتابه، فزعم أن ذلك هو المذهب الجديد المبتدع فى نقد الشعر والأدب، وجعل يرى ذلك مذهباً، وجعل المطيفون به يردّدون ذلك القول فى عبقرية هذا الرجل التى استعلنت للناس فى هذا المذهب الذى سموه مذهب الشك = وكانوا فى ترديدهم كما قالت العرب فى ذلك: « أنت كابنة الجبل، مهما يُقَلْ تَقُلْ »، يريدون كالصَّدَى، صَدَى الصوت. إذن فالدكتور طه هو صاحب مذهب الشك فى الأدب، وهو مبتدعه والقيِّم عليه ورائضه وسائسه. وقد جاء الزمنُ الذى لجَّ فيه الناس فى ذكر أبى الطيب، وقام من بينهم رجلٌ غير الدكتور طه حسين بك، فشك فى نسب المتنبى، أفيحل لصاحب مذهب الشك أن لا يشك فى نسب المتنبى

حين يتكلم عنه ؟ ساء ذلك رأياً ! ! إذن فلا بُد له من الشك حين يتكلم عنه ، ولا بد له من أن (يصطنع) مذهبه فى الشك ، ولا بد له من طلب الأسباب التى (تحمله على هذا الشك) ! ! وإذن فليطلب الأسباب من هنا ومن ثَمَّ ، وليتلقّفْ أطرافها التى يتعلق بها تلقُّفَ الغريقِ العُودَ لا يرسله من يده ، وإن هَوَى به إلى قرارة اليمّ .

إذن ، فأين وجد الدكتور طه هذه الكلمات التى اتخذها ذريعة يتوسل بها إلى تعليل شكه أو تسويغه ؟ لقد جهد فلم يستطع أن ينال فيما كان بين يديه علة أو سبباً ينفعه ، حتى جاء الأستاذ عزام فنشر كتابه فى ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ ، أى منذ سبعة أشهر ، فقال فى ص ٢٩ : « وقد حرص المتنبى على أن لا يذكر نسبه فى شعره ، فما ذكر أباه ولا جده ولا أحداً من آبائه ولا صرح باسم قبيلة ولا عشيرة » .

ثم عاد الأستاذ عزام يقول فى ص ٣٦ : « ويخبرنا صاحب اليتيمة (الثعالبى) أن والد المتنبى سافر به إلى الشام... وسواء أصحَّ ما يقوله الثعالبى أم لم يصح ، فما ذكر المتنبى والده بكلمة ، ولا رثاه حين مات كما رثى أبو العلاء المعرى أباه وأمّه رثاءً بليغاً . وهذا يشهد بما اتفقت عليه الروايات من أن والد أبى الطيب لم يكن رجلاً نابه الشأن » . وجَزَى الله عزاماً خير الجزاء ، بما مهّد للدكتور الجليل من سبيل الحجة والبرهان والدليل للرأى الذى ارتآه فى نسب أبى الطيب ! ! !

أفليس هذا على التحقيق هو قول الدكتور طه حسين بك فى ص ٩ ـ ١٠

من كتابه الجليل: « فأنت تقرأ ديوان (المتنبى) من أوله إلى آخره ، وتقرؤه مستأنياً متمهلاً ، فلا تجد فيه ذكراً لهذا الرجل الطيب الذى أنجب للقرن الرابع شاعره العظيم . لم يمدحه المتنبى ، ولم يفخر به ، ولم يرثه المتنبى ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات ! ! أكان ذلك لأن المتنبى لم يعرف أباه ؟ أم كان ذلك لأن المتنبى عرف أباه ولكنه لم ير له خطراً ؟ ... كل ذلك ممكن » .

وفى ص ١٠ : « أكان المتنبى يعرف جده ؟ لا يحدثنا ديوانه بشىء . ومن أعرض عن ذكر أبيه لم يُسْتَغرب منه أن يعرض عن ذكر جدّه ، ومن لم يعرف أباه لم يعرف جده ... » ، إلى آخر هذه المقدمات والنتائج .

ولكن أين هذا من ذاك ؟ فكلمة الأستاذ عزام ، على ما فيها من بعض الخطأ ، فهى على ذلك لا تزال كلمة الرجل الثَّبْت العالم الذى لا يريد أن يتهجم بهواه على ما ليس بحق ولا بصواب . وأما كلمة الدكتور التى نقل إليها كلام عزام ، فسبيلها سبيل ماتقول العرب للذى يأتيهم الأباطيل والأكاذيب والُمحال ، ومالم يكن وما لا يمكن أن يكون : « جاء بقَرْنَى حمار » ، والحمار لا قرون له . وإن يكن فى كلام الدكتور طه شىء ، فإن هذا الشىء ليس السبب الذى يحمل على الشك ، ولا العلّة ، ولا البرهان على المذهب ، وإنما هو المعجزة : إذ انقلبت كلمات الأستاذ عزام حين دخلت كتابه « مع المتنبى » من قرنى كبش نطّاح إلى قرنى حمار ! !

فهل اكتفى الدكتور طه بما اختلمه من كتاب عزّام ؟ كلاّ . . . . فإنه أراد أن يأتى بكلمة أخرى تكون كالبَخُور فى جوّ الساحر فقال فى ص

٣٠ : « إذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أنهم كانوا يعرفون أبا المتنبي ويسمونه حُسَيناً ، فإنهم لم يتفقوا على جدّه ولم يجمعوا على الاسم الذى يُلصقونه به (هكذا) ، فهو الحسين حيناً وهو عبد الصمد حينا آخر » .

ومن أخطاء هذا الكلام المموّه فى اختلاف المؤرخين واتفاقهم ، أن يكتب الدكتور أنهم اختلفوا فى اسم جده (فهو الحسين حيناً وهو عبدالصمد حيناً آخر) ، وليس كذلك، فإن المؤرخين اختلفوا فى اسم جده (والد أبيه) فقالوا هو (الحسين أو الحسن أو مُرّة) ، أما جده الأعلى (والد جده) فسموه (عبد الصمد أو عبد الجبار) ، فهذا خَلْط كما ترى .

وهذا ليس شيئاً ، ولكن هل يحسب الدكتور أن اختلاف المؤرخين فى جدّ رجل من الناس يكون دليلاً ، أو كالدليل ، على شىء من ضَعةٍ فى النسب أوضعف فى الأَرُومة ؟ إن ظن ذلك فقد وَهِم . فلو رجع إلى كتب التراجم لوجد الخلاف يقع بين المؤرخين فى أسماء الآباء والأجداد ، ولا يكون ذلك عند أحد من النسابين مطعناً يُثلب به الرجل فى نسبه ، أو يُغمَز فى أصله ، أو يتخذ للشك فى صحة انتسابه إلى قبيلة من القبائل . وسبب اختلاف المؤرخين والنسابين فى أسماء عمود النسب معروف لكل من مارس علوم العربية ، وعلم أن أصل بنائها على الرواية ، والرواية يقع فيها النسيان والخطأ والتحريف والسقط وما إلى ذلك ، وخاصة فيما هو كالأنساب : اسم بعد اسم بعد اسم ، فليس يربط ذلك بعضه ببعض معنى يقيمه أو يذكِّر به أو يحفظه من الإسقاط . ولو شئنا لضربنا له الأمثال بمن لا يختلف فى أمره ، ولا يقال فيه ما يقول الدكتور فى أبى الطيب إنه (لا يعرف أباه) .

وليس فى اختلاف الرواة فى نسب للتنبى ، أو خطئهم فى رواية أسماء أجداده ما يسوِّغ القول بأن المتنبى لم يكن يعرف أباه أو يعرف جده ، ولا يدلّ على أنه كان مدخول النسب وضيع النشأة خسيس الأصل . وإنما يكون ذلك أشبه وأحق وأثبت ، حين يكون هـذا الاختلاف قـد وقع من المتنبى نفسه ، ويكون هو الذى اضطرب وأخطأ ، ولـكن الدكتور طه يعرف ويقول فى كتابه إن المتنبى لم يذكر فى ديوانه أباه ولا جده . وعلى ذلك ليس يدخل هذا الاختلاف فى باب معرفة المتنبى لأبيه وجده أو جهله بهما . وإتيان الدكتور به على مجرى الشبهة والشك والارتياب ، تقحُّمٌ وخلْطٌ وفساد .

أفيدرى أين وجد الدكتور طه هذه الـكلمات التى اتخذها أيضاً سبباً فى الشك والزعم بأن المتنبى كان يعرف أباه ؟ ههنا وجدها ... !

فقد روينا فى كتابنا ص ١٤ من حديث التنوخى عن ابن أم شيبان الهاشمى أنه قال ، وقد جرى ذكر المتنبى : « كنت أعرف أباه بالـكوفة شيخاً يسمى عِيدان ، يستقى على بعير له ، وكان جعفياً صحيح النسب » . وروينا أيضاً أن التنوخى قال : إن المتنبى كان يكتم نسبه . فقلنا فى ص **٢٣** : « ثم إن التنوخى يروى هذا الخبر (يعنى خبر كتمان النسب) ، ويروى أنه كان جُعفيًّا صحيح النسب . وما تصح نسبة سَقّاء إلى جُعْفِىٍّ بن سعد العشيرة إلا أن يذكر نسبه متصلاً إلى جُعْفِىّ . لأن سقاء يدّعى الانتساب إلى جُعْفِىّ ، لابد له من أن يقيم دعواه بالدليل والبرهان : وهما النسب المتصل المعروف غير المنـكر ، ما من ذلك بُدٌّ . ولو كان ذلك ، لوقع إلينا نص واحد يذكر

فيه نسب المتنبي إلى رجُل من جُعْفى لا يختلف فى أمر نسبته . فما ظنك بمن اخْتُلِف فى جدّه الأدنى والذى بعده ، ولم يتجاوزوا ذلك إلى متفق عليه فى عمود النسب » .

هذه الجملة الأخيرة من كلامنا هى التى أخذها الدكتور ، فأقحمها فى الأسباب التى حملته على الشك فى نسب المتنبي : . . وتوهَّم أنها تدخل فى معنى ما يريده من الارتياب فى معرفته لأبيه أو جده . ولقد وَهِم ، فلسنا ممن يلقى القول على عواهنه حتى ندخلها فى كلامنا ونجعلها من أسباب شكنا (لا شك الدكتور) فى النسب الذى رواه الرواة . ولم نأت بهذه الكلمة فى آخر كلامنا ، إلا لذلك التنُّوخى راوى هذه الأخبار ، من أن أباه كان سقاء ، ثم كان جعفياً صحيح النسب ، ثم أن المتنبي كان يكتم نسبه . وقد بينا فى كتابنا فساد هذه الأقوال مجتمعة ، فإن بعضها ينقض بعضاً ، فابن أم شيبان يقول إن أباه كان سَقّاء ، وأنه كان جُعْفياً صحيح النسب ، إذن فهو يعرف النسب من لَدُن والد المتنبي إلى جُعْفى ، وإلا فكيف عرف النسب وصحّحه ، ولم يشك فيه ؟ روى ذلك التنوخى وزعم أنه سأل أبا الطيب عن نسبه فكتمه ، فلماذا لم يتحوّل إلى صاحبه ابن أم شيبان فيعرف منه النسب؟ ولئن صح أن التنوخى قد صَرَفه ما يصرف الناس عن السؤال ، أفلم يسأله أحدٌ غيره ؟ ثم ، ألم يكن بالكوفة كلها من يعرف نسب هذا السَّقاء غير ابن أم شيبان الهاشمى ؟ بلى ! لقد عرفه أيضاً ، كما روى التنوخى ، رجل آخر هو أبو الحسن العلوى . وعلامَ يكتم المتنبي نسبه عن التنوخى ، وهو يعلم أنه قد صحب ابن أم شيبان وأبا الحسن العلوى ؟

وقد زعم التنوخى أنه سأل المتنبى عن أحدهما ، فقال له المتنبى عنه : « تِرْبى وصديقى وجارى بالكوفة » ؟ فإذا كان هذا الرجلان قد صحّحا نسب المتنبى إلى جُعفى ، فقد عرفاه وأثبتاه علماً ، فاعْجَبْ لهؤلاء ، أكانوا أيضاً يكتمون نسبه ؟ حتى بلغ الأمر مبلغاً عجباً ، إذ لم يقع لأحد ممن كان يتحقق بأخبار المتنبى نصٌّ واحد يذكر فيه نسبه إلى جعفى ، أو إلى رجل قريب ممن لا يختلف فى نسبته إلى جعفى ، ولكن الأمر وقع بخلاف ذلك ، فقد اختلفوا فى جدّه ووالد جده ، ولم يأتوا بعد ذلك بشىء .

فهذا سياق قولنا فى بطلان هذه الروايات التى استبضعها التنوخى ، وهو الذى استدعى قولنا : « فما ظنك بمن اختلف فى جده الأدنى والذى بعده . . . » ، فأخذ الدكتور هذه العبارة ولم يهتد إلى موضع (يلصقها) به إلا هذا المكان من كتابه ، فأفسدها وأفسد مذهبه بها .

وبعد ، فقد رأيت كيف كان كتاب الدكتور طه يتقحّم الآراء من ههنا ومن هنا ليشك ، ويثبت أنه هو الذى بدأ الشك فى نسب أبى الطيب ، فهو يعلم من أمر الدنيا كثيراً ، ويعلم أو يتوهم أن الناس سيذكرونه بذلك وينسون من أقام المذهب على الجادّة ، وذلك لذيوع اسمه وشهرته ، وخفوت اسم غيره وجهل الناس به . وهذه عادة هو مُغْرًى بها ، وهى محبَّبةٌ إليه ... ولكن « سَقَطَ العَشَاء بِهِ على سِرْحَان » ، كما زعموا من أن رجلاً خرج يلتمس العَشَاء فوقع على ذئب فأكله (وهذا مثل يُضْرَب للرجل يطلبُ الأمر التافهَ فيقع فى هَلَكَةٍ) . والدكتور طه حسين بك ، عميد الأدب العربى بالجامعة

المصرية ، حين ألقى محاضرتيه فى أسبوع المتنبى فى السنة الماضية ، كان أحسن رأياً ، وأكرم عملاً ، وأنجى من التلف وسوء المنقلب ، فقد بدأ كلامه ذلك اليوم بهذه العبارة : « ولقد شكَّ بعض الناس فى نسب المتنبى وأنا أوافقه على هذا الشك » ، ويعنينى أنا بذلك . والظاهر أن هذه العبارة قد سقطت من الطبعة الثانية من « أمالى » الدكتور طه حسين عن المتنبى ! ! هذا على أننا كنا نحبّ له أن يعلم أن موافقته لرأينا ومخالفته ، وبخاصة فى الأدب ، سواء = وصدق أبو الطيب

ومن جَهِلت نفسُهُ قَدْرَهُ ، رأى غيرُهُ منه مَالا يرى

وإلى الأسبوع المقبل تتمة هذا الحديث ، لماذا لم يستطع الدكتور طه إلا أن يتوقف فى الشك ، ويذهب يزعم لنفسه أو للناس أن المتنبى كان (لايعرف أباه) ؟ ثم ما المعنى الذى أراده أو صرح به فى قوله يصف المتنبى بأنه (لايعرف أباه) ؟

رأيت مما كتبناهُ قبلُ في الكلمتين السالفتين أن الرواة حدثونا أنّ المتنبي هو « أحمد بن الحسين السّقاء » ، وأنه جُعْفِيُّ الأب هَمْدانيُّ الأمّ ، وأن شرّاح ديوانه = على كثرتهم وجليل منزلتهم في العلم = ثم جميع من ترجم له في مَدْرَج كتاب ، أو في كتاب مُفْرَد = تناولوا أمر هذا النسب وماله وما عليه بالتسليم واليقين . وتصرّمت على ذلك ألف سنة وما فوقها ، حتى نشرت كتابي عن المتنبي في مقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ، وبَنَيْتُهُ على نقد الرّواية وتزييف الخبر ، بما تهيّأ لي إذ ذاك من أسباب وعلل ، فخرجت من ذلك بالشك في صحة هذه الروايات والأخبار التي وصلتنا عن المتنبي ونسبه . ثم جمعت من طوائف الرأي ما جعلني أزعُم أن والد المتنبي كان عَلَوِيًّا ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وبذلك كنت أوّلَ من شك في هذا النسب المرويّ ، وأوّلَ من انتهى به الشك إلى هذا الرأي .

ثم جاء الدكتور طه حسين بعدي بعامٍ ، يَعْدُو عَدْوًا ويزعم للناس أنه يشك ، هو أيضاً ، في نسب المتنبي ، فيبني شكَّه على عِلل ملفقّة قد بَيَّنْتُ زَيْفها وبُطْلانها ، وأنها ليست مما يحملُ أحداً على الشك أو ما هو دونه . ثم دَلَّتَ على الموضع الذي نقلت منه هذه العلل في كتاب الأستاذ عبدالوهاب عزام ، ثم في كتابي ، وذكرتُ ما دخلها من فساد ، إذْ حُمِلت من مكانٍ هي فيه أولى وبه أليق ، إلى مكان لا تصلح له ولا يصلح هو عليها . وكان

سبب هذه الفَعْلة ، أن الدكتور الجليل ، وهو صاحب مذهب الشك الذى كان أول من (اصطنعه) حين ألّف كتابه « فى الشعر الجاهلى » — أَنِفَ لنفسه أن يسبقه أحدٌ إلى الشكّ فى نسب المتنبى الذى أجمعت الروايةُ على التسليم به . وما دُمتُ أنا قد سبقته إليه ، فَعَلَى رَغْمى ورغم التاريخ أن يكون هو أولى به منّى وأحقّ . وإذن فليؤلف كتاباً ، وليُسَمِّ هذا الكتاب « مع المتنبى » — وليشك فى نسب المتنبى ، وليتقمَّمِ الأدلّة من هنا ومن ثَمَّ ، محتالاً على تلبيسها وتزيينها بما أوتى من حسن منطقٍ وبلاغة أسلوب وإعجاز بيان ! ! ولو زعموا أن « المَخِيلَةَ تَقْتُلُ نَفْسَ الخائل » ، (المخيلة : الخيلاء والكبر إعجاباً بالنفس) .

ولكن ، لماذا لم يستطع الدكتور الجليل إلا أن يتوقف فى الشك الذى اصطنعه ، فيذهب يزعم لنفسه أو للناس أن المتنبى كان (لا يعرف أباه) ؟ هذه هى المسألة التى وقفنا عندها فى الكلمة السالفة ، وإليك خبرها .

قَلِقَ الدكتور حنيناً إلى مذهبه القديم فى الشك ، فحاصَ حَيْصة بين الكُتب ، فوجد فى كتابِ عزام وكتابى من الأسباب الملفقة والعلل المزوّرة ما يُقَوِّم أَوَدَ هذا الشك الذى انتحاه ودبَّ إليه ، فأتمّ رأيه وقال : « هذه أسباب كافية وعلل وافية ، وإذن فَلْنَشُكّ ! » لكن أيشك فى « وجود » المتنبى نفسه ، كما شك فى وجود بعض شعراء الجاهلية ؟ كلاّ ، فهذا ليس بشىء ، والعلل التى وقع عليها لا تؤدى إلى هذا الرأى . وثارت به بَدَوات العبقرية = والدكتور طه حسين بك رجل عبقرى بارعٌ ، ليس فى ذلك

شك عندى = فأخذت تُديرُ له الرأى والحجَّة والبرهان وما إلى ذلك ، ويستقصى الأمر ، وتَلجُّ هى فيه ، حتى وضعت المشكلة وضعاً منطقياً خالصاً ، وللمنطق حِيلة ، وفيه غَنَاء ، وبه المُستَعان فى توليد الآراء !

يقول الرواة : « إن المتنبى جعفىُّ الأب هَمْدانىُّ الأمّ » ، والدكتور محمولٌ على الشك فى هذا القول ، وإذن فهو ليس بجعفىٍّ ولا هَمْدانىٍّ ، فأىّ قبيلة ينتسب إليها ؟ ذكر عزام فى كتابه ص ٢٩ : « أن المتنبى لم يصرح باسم قبيلة ولا عشيرة » ، وعلى ذلك لن يجد الدكتور فى ديوانه قبيلة غير هاتين يستطيع أن ينسبه إليها . وعلى ذلك فالرجل غير منسوب إلى قبيلة من قبائل العرب . أيكون ، إذنً ، علوىَّ النسب كما زعم (محمود شاكر) فى كتابه ؟ ربّما ، ولكن نفس الدكتور لا تطاوعه على أن يستلب هذا الإنسان شكَّه وما ولَّد له هذا الشك ، إذن فهو ليس بعلوىٍّ أيضاً . وأظلمت الدنيا عليه ، وهى مُظْلمة . فهذا رجلٌ لا ينتسب إلى قبيلة من القبائل ، ولا إلى العلويين ولا غيرهم ، وهو عربى ولاشك ، فقد صرح الدكتور بذلك كما صرح شعرُه ، والعرب يعتزّون بالانتساب إلى قبائلهم «ويحرصُون على ذلك أشد الحرص » ، فكيف الرأى ، وقد أدخله الشك مدخلاً لا يستطيع الخروج منه ؟ وهنا أسعفته العبقرية مرةً أخرى ، فالمتنبي لم يذكر أباه ، ولم يمدحه ، ولم يرثه ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات !! إذن ، إذن ، إذن ، فالمتنبى لا يعرف أباه . وليس فى هذا شك ، فلو أنه كان قد عرَفه ، لذكره ثم لمدحه ثم لرثاه ، ثم لانتسب إليه ، ثم لَعَرَفَتْ له قبيلة ينتهى إليها نسبُه !!

بهذا المنطق فاز الدكتور ، وولد له شكه شيئاً يستطيع أن يسمِّيه فى

الآراء رأياً ، وإذن فالكتاب قد حَضَر وفُرِغ منه ، وإذن فلينشر الكتاب على الناس فى أقرب فرصة ، ليطمس به ذكر هذا الواغل الطُّفَيْلى الذى دخل على (مذهب الشك) آثماً ، وخرج منه سارقاً ! هذا الذى نشر له المقتطف كتابه عن المتنبى فى يناير سنة ١٩٣٦ .

أنا أعرف الدكتور طه حسين بك ، وأعرف كيف يفكر ، وأعرف كيف يتهجم على غير بصيرة فى الرأى . فأنا أشهد ، والدكتور يشهد معى ، أن هذاهو ما خطر له وهو يفكر فى هذا الأمر . والدكتور الجليل ، وهو الراوية الثبت ، يذكر أنه كلَّمنى فى أسبوع المتنبى من العام الماضى (سنة ١٩٣٧) ، ويذكر مادار بينى وبينه من حديث سنروى لك بعضه فيما يلى ، بعد أن نبيِّن ماذا أراد الدكتور بمعنى قوله فى صفة المتنبى إنه (لا يعرف أباه) .

ولعل القارى قد عرف ، قبل أن نُعرِّفه ، أن الدكتور الجليل طه حسين بك يعنى بقوله : إن المتنبى كان (لا يعرف أباه) أن هذا الرجل كان ولداً بين رجل وامرأة (لا يعرفهما أو لا يعرف أحدهما على الأقلّ) ، أو كان منبوذاً لغير رِشْدَة ، أو كان لقيطًا . وطَيُّ هذا معنى أنت تعرفه بعدُ ، وإلا فهذا هو يقول فى أول الكتاب كما حدثتك ، إن المتنبى (لم يكن يعرف أباه) ، ثم يقول فى ص ١٠ : « إن المؤرخين الذين ذكروا جدّه .. لم يجمعوا على الاسم الذى يلصقونه به !! » وفى ص ٢١ : إن المتنبى « لا ينتسب إلى الرجال (هكذا) ، لأنه لا يريد ، أو لا يستطيع ، أن يجد فى الانتساب إلى الرجال غَناء » .

ويقول فى ص ٢٥ : « ومن حقك أن تسألنى لماذا أطيل الحديث عن نسب المتنبى ، وأظهر الشك فى معرفته لأبيه وأمه ؟ . . فاعلم ياسيدى . . . إنما آثرتُها لأنتهى منها إلى حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهى أن المتنبى لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه !! التمس لذلك ماشئت من علّة ، فهذا لا يعنينى ! وإنما الذى يعنينى ، ويجب أن يعنيك ، أن شعور المتنبى الصبىّ بهذه الضّعة ، أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأدنَيْن ، قد كان العنصر الأوّل الذى أثّر فى شخصية المتنبى » .

ثم يقول فى ص ٢٧ : « ولماذا احتاج المؤرخون أن يتحدثوا عن أبيه ، وعجزوا ، أو لم يريدوا ! ! أن يتحدثوا عن أمه ، ولم يتحدث هو عن هذه وذاك » .

وفى ص ٣١ : « هذا يدلُّ من غير شك على أنّ سراً من الأسرار كان يكتنف حياة أبى الطيب ويحيط بأسرته ، ويستر عنا حقيقةَ الصلة التى كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتى كانت بين الحسين السقاء وبين هذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتى اقتضت أن تُهْمَل أمُّ المتنبى إهمالاً تاماً !! » .

ثم يقول بعد حديث طويل كلُّه شُبَهٌ مثل هذه فى ص ٣٤ : « هذا كلُّه يكفينى لأقتنع بأن « مولد » المتنبى كان شاذاً ! ! وبأن المتنبى أدرك هذا الشذوذ وتأثّر به فى سيرته كلها » . هذا مانقلناه لك فتدبره ، فإن معناه ظاهر ، وهو أظهر عند مَنْ قرأ كتاب الدكتور من ص ٩ إلى ص ٣٤ .

والدكتور على عادته يُجَمْجِم القول ويُديره من هنا وهنا، «ويصطنع» اللفظ الساخر ليدلّ على غرضه بغير تصريح، كما ترى فى قوله فى اسم جد المتنبى: «إن المؤرخين لم يجمعوا على الاسم الذى (يلصقونه به)» ثم يعقّب على ذلك بقوله ص ١٠: «ومهما يكن من شىء فقد كان للمتنبى أبٌ، وكان له جدٌّ، لأننا لا نعرف إنساناً ليس له أبٌ ولا جدٌّ، لا نستثنى من ذلك إلا اللّذَيْن استثناهما الله عز وجل حين قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾». وأنت بعدُ تعرف المعنى الذى أراده الدكتور الجليل.

وفى العام الماضى أُخْبِرتُ أن الدكتور طه يذهب إلى أن المتنبى «لَقِيطٌ لِغَيَّةٍ»، فاستعذت بالله، واستكبرت أن يقول الرجل هذا القول، حتى كان يوم اجتمعنا فى دار الجمعية الجغرافيّة لأسبوع المتنبى،[1] فكان من حديثه لى أن قال: أنت تذهب إلى أن المتنبى عَلوىٌّ النسب، وأنا قد قرأت هذا الفصل، وأوافقك على الشكّ فى النسب، ولكنى لا أوافقك فى أنه علوىٌّ... ثم ماذا، يا محمود، لو قلنا إن المتنبى «لقيط»!!؟ وقد والله خُيِّل لى أن الشيطان فَأغرَ فيه بينى وبين هذا الرجل، فرجَفْتُ رَجْفَةً وعذت بالله ثم قلت له: إنّ هذا رأىٌ منقوضٌ من وجوه، وهو على كلّ حال نتيجة للشك فى نسب المتنبى، مع التوقف عند مجرّد هذا الشك، قبل القول بأنه عَلَوىٌّ أو جُعْفِىٌّ أو هذا أو ذاك»، وأردت أن أنبهه بهذه الكلمة إلى أن رأيه

(١) أرجو أن يعلم قارىء هذا بعد أربعين سنة من كتابته، أن هذا الحديث قد نشر سنة ١٩٣٧، وقرأه الدكتور طه يومئذ، ولم ينكره ولم يكذبه. أقول هذا لأنى سمعت أن بعض الناس يزعم أن هذا اللقاء لم يحدث، وهذا من أعاجيب زماننا!!

مسلوخ من كتابى ، وذلك أنه أخذ الشك فى النسب منى ، وعجز عن أن يقول شيئاً فى نسب جديد (يلصقه به) .

وهذا الرأى وحده هو سر اهتمام الدكتور طه بالكتابة عن المتنبى ، فلو لم يكن وَقَع عليه لما كتب عنه : فهو يقول فى ص ٤ : « وليس المتنبى هذا من أحب الشعراء إلىّ ، وآثَرِهم عندى ، ولعله بعيد كل البُعد عن أن يبلغ من نفسى منزلة الحبِّ والإيثار ، ولقد أَتَى على حينٌ من الدهر لم يكن يخطرُ لى أنِّى سأُعْنَى بالمتنبى أو أطيل صحبته أو أديم التفكير فيه ... » .

وقال فى ص ٥ : « وقد قلت فى غير هذا الموضع إنى لست من المحبين للمتنبى ولا المشغوفين بشخصه وفنه » .

فلولا أنى شككت فى نسب أبى الطيب ، ولولا أنه أخذ هذا الشك منِّى ، وانتهى إلى أنه (لقيط) ، لما كتب عنه حرفاً واحداً ، لأنه لا يحب الرّجُل ولا فنه ، وتسألنى لماذا ؟ كما يقول الدكتور ، فجواب ذلك أن الأستاذ المازنى قد شرح فى كتابه « قبض الريح » سرَّ هٰذا بأحسن بيان وأدَقّ فكرٍ ، يقول المازنى ص ٨٣ : « لقد لفتنى من الدكتور طه فى كتابه «حديث الأربعاء» ، وهو مما وضع ، وفى « قصص تمثيلية » ، وهى ملخصة ، أن له ولعاً بتعقُّب الزُّناة والفُسَّاق والفَجَرة والزَّنادقة » .

ثم ساق الأدلة من الكتابين على ذلك ، إلى أن قال فى ٨٩ : « وللقارىء أن يسأل لماذا لم يؤثر الدكتور « نحواً » آخر من « أنحاء » الأدب الغربى ، وليس هذا كل مافيه ولا هو خيره ؟ ! لماذا عُنِى على وجه الخصوص بقصص

الزُّنَاة والزوانى ، وبحكايات الجهاد ، كما يقول هو ، « بين العواطف والشعور من جهة وبين العقل من جهة أخرى ... ؟ » .

ثم شرع المازنى يقارن بالقسط والحق بين الدكتور طه وبشار الأعمى وأبى العلاء ، وقد استوفى الكلام على الغريزة الجنسية عند بشار وأبى العلاء ، وأثرهما فى شعرهما وآرائهما و نَظَرَاتِهِما إلى الحياة ، وحياة المرأة خاصة ، حتى انتهى إلى هذه الكلمة فى ص ١٠٩ :

« فلا عجب إذا رأينا الدكتور كَلِفاً يتناول المُجَّان وأهل الخلاعة من شعراء العرب ، وتلخيص القصص التى تدُور على الخيانات وما إليها ، وتسويغ ذلك والاعتذار له ، حتى لكأنما يحاول أن يقول بلسانه غير ما تلجُّ به الرغبة فى الكشف عنه والإفضاء به من مكنونات نفسه » .

وأنا أنصح من يريد أن يفهم ما تنطوي عليه كلمات الدكتور طه فى كُتُبه ، أن يرجع إلى هذه الفصول التى كتبها المازنى فى « قبض الريح » فيقرأها ويتدبرها ، فإنها من أجود ما يكتب ، وأحسن ما يعينك على التغلغل فى أسرار طائفة من النفوس الإنسانية ومنهجها ، وإدراكِ ما ترمى إليه فى أحاديثها وأشعارها وأخبارها وتأليفها واختيارها وما إلى ذلك .

وبعـــد ،

فهل يستقيم هذا الرأى الذى ذهب إليه الدكتور طه من أن المتنبى (لم يكن يعرف أباه) ، وأنه « لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه ... وأنه كان يشعر بالضِّعة والضعف من ناحية

أسرته ، ص ٢٦ ، وأنه « لما تقدَّمت به السِّنُّ قليلاً قد عرف من أمر نفسه ! ! ومن أمر أسرته ما أنكره وما لم يستطع أن يُقيم معه فى الكوفة ، فآثر الرحيل » ص ٣٣ ، وأن « الكِذَابَ الذى كان يُكَاد به عند أبى العشائر ، ويراه أهْوَن عنده من نَاقِله ، لم يكن كِذَاباً كُلَّه ! ! « وإنما كان له أصل » يملأ صدر المتنبى غيظاً وحفيظةً ، ويذودُه عن الكوفة ، بل يبغِّض إليه الحياة فى العراق ، ويحمله على أن ينفق عمره غريباً مُجَوِّلاً فى الآفاق ! ! » ص ٣٤ ؟ ؟ ؟

لم يستطع الدكتور الجليل العبقرى أن يأتى ببيت واحدٍ من ديوان أبى الطيب يؤيِّد به هذا الرأى ، ومع ذلك فهو يقول به ويكرِّره ويعيده !! هذا على أن منشأ الشك فى هذا الأمر لابد أن يكون من ديوان الرجل نفسه . والدكتور يقول إن المتنبى كان يشعر بالضِّعة من ناحية أسرته ، وأنه عرف من أمر نفسه وأمر أسرته ما أنكره ، فأين وجد المتنبى يشعر بالضعة ، أو ينكر أمر نفسه وأمر أسرته ؟ وأين هذا الأثر الذى أتاح له أن يقتنع « بأن مولد المتنبى كان شاذاً ، وبأن المتنبى أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته (كلها ! !) » ؟ وتأمل هذه المبالغة فى قوله (سيرته كلها) ، واقرأ الكتاب كله فلا تجد الدكتور طه حسين بك أشار فى موضعٍ واحدٍ إلى (حكاية) هذا النسب ، ولا أدخله فى شىء من العلل التى أراد أن يعلل بها ما (يرى من رأى) ! ! فهو بذلك عاجزٌ من ناحيتين : عاجز من ناحية شعر المتنبى ، وعاجز من ناحية تفسير حياة المتنبى وتحليلها على ضوء هذه الضِّعة ، وهذا « المولد الشاذ » . ولا أدرى بَعْدُ علامَ أجْهَد الدكتور لسانَهُ وكفَّ

مُسْتمليه ، بإملاء هذه الفصُول عن نسب المتنبي ؟ ففيها الخطأ ، كما بينا ذلك كله ، وفيها سُوء النقل من الكتب ، وفيها ضعف الفهم للشعر ، وفيها فَساد الفكر وتناقضه ، وفيها قَذْفُ المتنبي بأنه (لا يعرف أباه) ، وكَبُرَ ذلك مقتاً عند الله وعند الناس . لقد كنا أقرب الناس إلى الإغضاء عما فى كلام الدكتور طه من الخطأ والنقص والتناقض ، لو أنه ترك هذه الآراء جانباً ومضى على غُلَوَائِهِ يأتى بما يشاء من ذيول كلامه الطويل والتى تختال فيها كتبه ومؤلفاته !

وأستغفر الله مما فَرَط ، فقد نسيت أن أذكر لك أن الدكتور الجليل أراد أن يُلبِّس على قارىء كتابه فيوهمه ، حقًّا ، أن المتنبى كان يشعر بالضعة والضعف من ناحية أسرته ، فاستشهد فى هذا الفصل ص ١٣ ، بأبيات أبى الطيب التى أولها :

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُه يَفُوقُ أَبَا الـ
بَاحِثِ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ
وإِنَّمـا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ
مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ

واستخرج من هذين البيتين أن أبا الطيب « لا ينتسب إلى الرجال لأنه لا يريد أولا يستطيع أن يجد فى الانتساب إليهم غناء » ص ١٥ = وأن هذه الأبيات « تصور ضعف المتنبي من ناحية نسبه أبلغ تصوير وأقواه » .

وقد بينا فيما مضى فساد فهم الدكتور لهذين البيتين ، فالمتنبي ينتسب إلى رجل لم يصرح باسمه لا « إلى متجزئ له بعض يمتاز عن كله ! ! » ، كما فهم الدكتور العبقري .

إن الدكتور طه حسين بك ، عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية ، رجلٌ قد أثبتت التجارب والأيام ، ثُمَّ مؤلفاته ، أنه لا بَصَرَ له بالشعر ولا بمعانيه ، وسيأتي في مواضع أخرى من كلامنا تأييد هذا الرأي بأدلة كثيرة « تَتَقَصَّى بالضَّاحك اسْتِغْرَابَهْ » ، كما يقول البحتري ، وسنسوق إليك هنا « فَصْلاً » من هذا الباب .

وأحب للقارئ أن ينفض عن نفسه غُبَار هذه المعاني التي جاءت في كلام الدكتور طه ، ويبدأ مَعَنا من حيث يجب أن يبدأ ، ليكون ذلك أنقى لنفسه ، وأطهرَ لفهمه مما عَلِقَ به .

لو فرضنا أن المتنبي كان، كما يزعم صاحبنا ، (لا يعرف أباه) ، وأنه كان يشعر بالضَّعة من قبل أبيه وأمه فلا يجهر بذكرهما ، وبالضعف من ناحية نسبه وأسرته ، وأنه قد عرف من ذلك ما أنكره وبغَّض إليه الحياة في الكوفة = ولو فرضنا أيضاً أن « الكِذَّاب الذي كان يكاد به » هو بسبيل من هذا الأمر ، كما زعم الدكتور في ص ١٦ ، فهناك أمران لا مناص عن أحدهما : فإما أن يكون هذا « الكِذَّاب » مما قالته فيه الشعراء ، تَنْبِزُه فيه بالضعة ، وأنه « لا يعرف أباه وينكر أمره وأمر أمّه » ، وإما أن يكون مما قيل قولاً ، ولم يُقَل شعراً .

أما الأوّل : فالدكتور مُطالب بإظهارنا على هذا الشعر إن كان سمع به أو قرىء عليه ، وماهو بمستطيع إن شاءالله !! فإنه إذا صح أن أحداً من الشعراء قد عرَّض بوالد المتنبي أو أبيه على هذه الصورة التي اخترعها الدكتور طه ، فعندئذ يصح أن يجيبَ المتنبي الشعرَ بالشعر ، وأن يكون هذا الشعر مما « يصور ضَعفه من ناحية نسبه أبلغ تصوير وأقواه ! ! » = هذا على أنه كان أولى بالمتنبي عند ذاك أن يسكت ، فذلك خيرٌ له من أن يفضح نفسه فى مجلس أبى العشائر ، ويحمل الناس على اللجاج فى السؤال عن نسبه ، والتقصى لأخبار أمّه وأبيه وجدّه وجدَّته . هذا صريح العقل .

وأما إذا كان هـذا التعريض مما تداوله لسانٌ ناطق وأذنٌ سامعة ، وعرَف المتنبي خبر ذلك ، فكان أولى به إذن أن يسكت عنه فى شعره ، وإن شاء تكلم فيه فى مجلس مُقَنَّع يراوغ فيه بالحجة ويدافع بالحيلة ، حتى يقطع عن نفسه شرَّ هذا اللسان ، ولا يتحامَقُ فيتحداه هذا التحدِّيَ المؤذِيَ الدَّاعِيَ إلى الشر والمماحكة وطلب الوقيعة بقوله فى ذكر ذلك المفترِى عليه :

وَرُبَّمَا أُشْهِدُ الطَّعَامَ مَعِى
مَنْ لاَ يُسَاوِى الْخُبْزَ الَّذِى أَكَلَهْ
ويُظْهِرُ الْجَهْلَ بِى ، وَأَعْرِفُهُ
وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ

ونرجو الدكتور طه أن يتفهَّم = على سبيل الجدِّ ، لا سبيل العَبَث كما يقول عن نفسه = قولَ أبى الطيب: « ويُظهر الجهل بى وأعرفُه » ، فإن

هـذا لا يقوله من يخشى أن يتطلّع الناس إلى نسبه ، فينكروا منه سوأةً أنكرها هو من قبلُ .

وأيضاً يامولانا الدكتور الجليل ، كيف تستطيع أن تقول في رجُل يشعر بالضّعة من ناحية أبيه وأمه ونسبهما أو صلتهما ، وهو يَدأب على الفخر بأنه لا يذكر الجدودَ ولا يُولِيهم اهتمامَه ؟؟ ولو صحّ أنه مما يجوز أن يفخر به حين يُكاد « بالكذّاب » ، ويتهم في نسبه ، فكيف يجوز أن يذكره في غير مناسبة تقتضيه أو تحمل عليه ؟ أيأتي الرجُل وفيه العيبُ والعارُ ليدلّ الناس على عارِه وعيبه ويقول : هأنذا فانظروني ؟؟

هذا المتنبي يقول في صباه لغير مناسبة :

لاَ بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لاَ بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخْرُ كلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا دَ وَعَوْذُ الجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ

ويقول وهو بمصر في قصيدة الحمّى ، ولغير مناسبة أيضاً :

ولَسْتُ بِقَانِـعٍ مِنْ كلِّ فَضْلٍ بأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ

إلى غير ذلك من شعره الذي يدلّ دلالة صريحة على أن الرجل لم يكن يشعُر بالضعة ، وإنما كان يكتُم أمراً جليلاً يخافُ منه على نفسه . وإن الرجل إذا كان يشعر بالضعة في نسبه ، لا يأتي فينبه في شعره لغير سبب ولا علة إلى ذكر هذا النسب . ولو فعل ذلك لكان أحمقَ الحمقى ، وأشأمهم على نفسه .

وأيضاً ياسيدي العميد ، لو كان الأمر كما زعمتَ حين تقول في ص ١٦ :
« ماعسى أن يكون هذا الكذّاب ؟ أتراه يمسُّ نسبه من قريب أو بعيد ؟»
ثم تجيب نفسك في ص ١٧ : « ليس في ذلك عندي من شك ، فقد اتهم الرجل في نسبه ... » ، أليس المعقول بَعْدَ هذا أن يكون الذين تولّوا هذا « الكذاب » ونطقوا به ، واتهموا المتنبي في نسبه ، وسألوه عن أبيه وجده. فلم يستطع أن يجيب = أن يكونوا قد عرفوا من خبر هذا النسب الموضوع الدنىء طَرَفاً يلوّحون به لهذا المتنبي ، فيهيج ويضطرب ويختلط عليه أمره ؟ ولو كان هؤلاء قد اتهموه في نسبه كما تزعم ، لملأُوا على أبي الطيب الدنيا بما يعرفون من عار أمِّه وأبيه ، ولتجاوبت به صدور أعدائه من الشعراء وغير الشعراء ، لفَرْط عداوتهم له وغيظهم منه ، ولتردَّدت هذه الخِسّة في نسبه في كل مكانٍ وعلى كل لسانٍ .

أجَلْ ياسيدي ، فإن مثل الذي جَمْجَمت به من القول في نسب المتنبي ، لو كان على ذلك العهد (من سنة ٣٠٣ — ٣٥٤ من الهجرة) ، وفي البلاد العربية ، وفي غمرة تلك الفتن والوشايات والأكاذيب ، لما خفي على أهل الكوفة وهم قومه ، ولَا نتشر وملأ الأسماع والبقاع ، ولَأَخْفَت ذكر المتنبي ودسّ رأسه في التراب من الهوان والعار ، ولم يجعل من دأبه أن يفخر بتركه ذكرَ الآباء والأجداد .

وقد بقي في هـذا الفصل كثير من التناقض ، وسوء النظر ، وقلة التمحيص للآراء وتقليبها على وجوهها ، وضعفِ المنطق ، نتركه ولا نبالي

به ، إذ كان فيما يستقبل من فصول هذا الكتاب « مع المتنبى » ، ما هو أدلُّ عليه وأعلقُ به . وقد رأيتَ أن الدكتور فى هذا الفصل أراد أن يسلبنا شكَّنا فى نسب المتنبى الذى رواه الرواة ، وأنْ يعارض رأينا فى علوية أبى الطيب برأى لا يستقيم ولا يُسَمَّى رأياً ، إذ يتهدَّم فيقول إنه رجل لا يعرف أباه . وقد خرج الدكتور منه ، بعد الذى كتبناه ، بنصيب الرجل الذى سرق قميصاً فبعثه مع ابنه ليبيعه ، وكان ابنه هذا يعرف أن أباه سرق القميص من رجل بعينه ، فعارضه فى الطريق من سَرَقَه منه ، فأسلمه إليه . فلما رجع قال له أبوه : بعتَ القميص ؟ فقال الولد : نعم ! قال : بكم ؟ قال : برأس المال ! !

وأنا والله أشدُّ إشفاقاً على الدكتور طه حسين بك منه على نفسه ، ولكم وددت أن يأتى الرجل بشىء فى كتابه يقال له عنده : لم تخطىء ياسيدى . ولكن لعن الله الحظوظ ، فإنها ربما وَضَعت الرجلَ منا فى غير موضعه الذى هو له أوفق ، فيضطر إلى مالا مَعْدَى عنه من طَلب الشىء يحسِّن به مكانه ويثبته فيه ، فيكون فى طريقه المَزَلَّة والعطبُ والهلاك ، وما نعوذ بالله منه ، ورحم الله من قال : « العُرْىُ الفادح ، خيرٌ من الزِّىِّ الفاضح » .

وإلى السبت المقبل ، نستقبل الفصل الثانى من كتاب الدكتور حفظه الله .

يبدأ الفصل الثانى من كتاب الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك «مع المتنبى» من ص ١٨ – ص ٣٤، وهو عن نسبه أيضاً من قِبَل أمه وجدّته. وهو أيضاً فصل من الشك كالذى مضى ، بدأه الدكتور الجليل بهذه الكلمة الجليلة : « وهل كان المتنبى يعرف أمَّه ؟ مسألة فيها نظر ، كما يقول الأزهريون» ص ١٨ . ونحن بسبيلنا من اختصار هذا الفصل على القاعدة التى جرينا عليها فى الكلمة الأولى من حذف الحواشى ، والإبقاء على مادة الفكر ، وعلى الرأى ، وعلى الأسباب ونتائجها ، ثم نتبع ذلك بالنقد المفصل للفصل كله . يقول الدكتور :

« فديوان المتنبى صامت بالقياس إلى أمّه صمته بالقياس إلى أبيه ... ولكن الخطب فى أم المتنبى أعظم منه فى أبيه ... » ، فالرواة والمؤرخون « ذكروه فسموه الحسين » ، أما هى فلم « يذكروا من أمرها شيئاً » . « وكلّ ما نعرفه أن أمّها قد عطفت على المتنبى » ص ١٨ ، وهذه الأم (جدة المتنبى) أيضاً « لا نعرف لها اسماً ولا أباً » ، وإنما قال بعض الرواة : « إنها همدانية صحيحة النسب ، وإنها كانت من صوالح نساء الكوفة . . . » ، « هذا وديوان المتنبى لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور وصاغته الكبرياء ، ووضعه جموح الشاعر فى غير موضعه من الرثاء :

وَلَوْ لَمْ تَكُونِى بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ
لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِى أُمَّا »

ص ١٩ . وينتهى الدكتور بعد ذلك إلى قرارة الأشياء ! فلا يكاد « يشك فى أن المتنبى قد كان عربياً » ص ٢١ ، « وقد كان المتنبى يرى أنه عربى ، وسار حياته كلها سيرة ملائمة لهذا الرأى » ص ٢٣ . والدكتور الجليل يفهم كلَّ شىء ، ولكن لا يفهم « الشك فى عربية المتنبى ، مادامت القرائنُ لا تنسبه إلى أم أعجمية » ص ٢٤ . ويريد الدكتور أن يقرر بهذه الكلمة أن أم المتنبى عربيّة ، ثم يقول الدكتور إنه يظهر الشك فى معرفة المتنبى لأمه وأبيه ! ، لينتهى من هذه المسألة إلى « حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهى أن المتنبى لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن (يَجْهَرَ !!) بذكر أمّه وأبيه . التمسْ لذلك ماشئت من عِلة ، فهذا لا يعنينى ، وإنما الذى يعنينى ويجب أن يعنيك ، هو أن شعور المتنبىّ الصبىِّ بهذه الضّعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأَدْنَيْن ، قد كان العنصر الأوَّل الذى أثر فى فى شخصية المتنبى وبغَّض إليه الناس ، وفرض عليه أن يرى أن حياته بينهم لم تكن كحياة أترابه ورفاقه ، وإنما كانت حياةً يحيط بها كثيرٌ من الغموض ، ويأخذها كثيرٌ من الشذوذ . رأى نفسه شاذًّا لأمرٍ ليس له فيه يدٌ ، ففكر تفكير الشاذ ، وعاش عيشةَ الشاذ » ، ص ٢٦ .

ثم يقول : « وتسألنى ، ومن حقك أن تسألنى ، عن مظاهر هذا الغموض الذى أحاط بحياة المتنبى ، وعن مواطن هذا الشذوذ ... فلاحِظْ قبل كل شىء غموضَ الأمر فى نسبه ، ولاحظ بعد ذلك خلوَّ ديوانه من ذكر أمه وأبيه أو

الإشارة إليهما ، ولاحِظْ بعد هذا وذاك هـذا الـكِذَابَ الذى كان يكادُ به عن أبى العشائر . ثم لاحظْ آخرَ الأمر أنه حين عرف شوقَ جدّته إليه ، ووجد الشوقَ إلى لقائها ، وذهب لتنعم وينعم هو بهذا اللقاء ، لم يستطع أن يدخل الـكوفة . . . أليس هذا كلّه دليلاً على أن شيئاً كثيراً من الغموض قد أحاط بأسرة المتنبى ؟ » ، ص ٢٧ . ثم ينطلق يتكلم وينشد قصيدته فى رثاء جدته إلى أن يقول : « هذا يدل من غير شك على أن سراً من الأسرار كان يكتنف حياة أبى الطيب ويحيط بأسرته ، ويستر عنا حقيقةَ الصلة التى كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتى كانت بين الحسين السّقاء وهـذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتى اقتضت أن تُهْمَل أمُّ المتنبى إهمالاً تامًّا . . » ص ٣٢ .
والمتنبى يقول عن نفسه :

تَغَرَّب لا مُسْتَعْظِماً غيْرَ نَفْسِه
ولا قابلاً إلا لخَالِقِه حُـكْمَا

« فهو إذن لم يتغرب عن الـكوفة حباً فى الغربة » ، وإنما « تغرب منكراً للحياة فى الـكوفة » . وما الذى ينكر المتنبى من ذلك ؟ ينكر أمرين : « أحدهما يتصل بالحياة الاجتماعية ، والآخر يتّصل بالحياة السياسية . وليس من شك عندى ، ولك أن تشك ، فى أن المتنبى لما تقدّمت به السن قليلاً قد عرف من أمر نفسه وأمر أسرته ما أنكره ، وما لم يستطع أن يقيم معه فى الـكوفة فآثر الرحيل » ص ٣٣ . فهذا هو الأمر الاجتماعى . وأما السياسى فسيأتى ذكره فى فصل آخر ، « وهو عندى أثر من آثار الأمر الأول » ص ٣٤ . ثم ينتهى الدكتور بهذا : « ولعل هذا كله لم يقنعك كما أقنعنى بأن طفولة المتنبى

لم تكن طفولة عادية .. وبأن الكذاب الذى كان يُكادُ به عند أبى العشائر لم يكن كذاباً كُلّه ، وإنما كان له أصل يملأ صدر المتنبى غيظاً وحفيظةً » ، « هذا كله يكفينى لأقتنع بأن « مولد » المتنبى كان شاذاً ، وبأن المتنبى أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته كلها » ، ص ٣٤ .

فهذه سبع عشرة صفحة اختصرناها فى هذه الأسطر .. ولم نخل بموضع رأى للدكتور الجليل .

* * *

والدكتور فى هذا الفصل يقرر أن المتنبى « لا يعرف أمه » كما كان لا يعرف « أباه » ، وَبَيَّنَ أنه يبنى شكه فى معرفة المتنبى لأمه على العلل التى اصطنعها فى أمر أبيه . فالمتنبى لم يرثها ، ولم يظهر الحزن عليها حين ماتت ، ولم يذكرها !! ولم يمدحها أيضاً ، أليس كذلك ياسيدى الدكتور ؟ وقد جمع ذلك فى قوله : « فديوان المتنبى صامت بالقياس إلى أمه صمته بالقياس إلى أبيه » . وقد فرغنا فى الكلمات الماضية من القول فى أن إغفال ذكر الآباء ، وهم مادة فخر الشعراء ، لا يتخذ أصلاً فى تقرير النسب ، ولا يجدى فى الحكم بأن الرجل منهم « كان يعرف أباه » أو كان « لا يعرف أباه » .

وإذا تجاوزنا للدكتور فقلنا إن له بعض العذر فى أمر والد المتنبى ، وقلنا إن الخطب فى هذا الشك الذى اصطنعه هين ، وله وجه ، وفيه مقال ، فإن هذا الفصل من كتابه يحملنا نقول له مثل الذى قال : من أن « الخطب فى أم المتنبى (فى كتابه) أعظم من الخطب فى أبيه » . !!

إن الدكتور طه رجل لا يستقيم على رأى ، ولا يلم به إلمام العارف الذى لا يغفل عن موضع التناقض والاختلاف والفساد الذى يركب بعضه بعضاً . فهو يقول : « كان المتنبى يرى أنه عربى ، وسار حياته كلها سيرة ملائمة لهذا الرأى » ، ثم يقرر بعقب ذلك : « ولعل هذا الرأى كان أبلغ المؤثرات فى حياته العملية » ، ثم يزيده تقريراً بقوله : « وهو أبلغ المؤثرات فى حياته الفنية على كل حال » . ويعنى بهذا التقرير الأخير أن (عربيته) كان لها الأثر فى شعره . فإذا كان المتنبى كالذى قرر وبالغ فى تقريره ، فما الذى ينكر من أن « ديوانه صامت بالقياس إلى أمه ، صمته بالقياس إلى أبيه » ؟ وما الذى كان يريده من المتنبى ؟ أكان يريده أن يمدح أمه ؟ والعرب لا يفعلون ذلك = أم كان يريده أن يذكر اسم أمه فى الشعر ؟ والعرب أيضاً قلما يفعلون ذلك إلا لضرورة = أم كان يريده أن يفخر بأمه ؟ والعرب أيضاً لا يفخرون بأمهاتهم ... وإنما الفخر عندهم بالآباء ، وهم أصل الدم وصلة العصب = أم كان يريده أن يرثى أمه ويظهر الحزن على موتها ؟ والعرب أيضاً كانوا قلما يرثون أمهاتهم أو يظهرون الجزع على موت النساء عامة .. ولو كان لهذا الدكتور طريقة فى الفكر يتعقب بها المعانى ، ويستقصى الأغراض ، ويستوعب الأسباب والروابط ، لما جعل صمت ديوان المتنبى عن ذكر أمه أو مدحها أو الفخر بها أو الحزن عليها ورثائها موضعاً للنظر ، أو شبهة فى الغموض ، أو علة للشك وهو يقول إنه عربى ، وأن عربيته كان لها أبلغ الأثر فى حياته الفنية ... التى هى شعره .

أما كان أولى به أن ينظر نظرة العقلاء من العلماء فيقول : إن المتنبى رثى

جدته ، ولم يرث أمه ، ويسأل نفسه عن سرّ ذلك ؟ وسرُّ ذلك بغير شك أن أمه ماتت وهو صغير لم يشهدها وهو شاعر يقول ويفصح = أو لعـله وجد لموتها من الغمّ ماصرفه عن قول الشعر . وهذا ليس بغريب ولاعجيب ، فكم من شاعر ينكب النكبة تَرُضُّه رَضّ القَصَبة، فما يستطيع أن يثبت آلامه فى بيت واحد من الشعر ؟ أليس أحد هذين هو الأقرب إلى عقل العقلاء ، وتصرُّف أهل البصر ؟ ولـكن هذا الرجل ، كما قلنا لك مرارًا، يرى الرأى بادئ الرأى فلا يتبصّر فيه ولا يقلّبه ولا يَرُوزه ، ويعزم على القول متهجّماً فيصرفه هواه عن القصد ، فيُلجئـه ذلك إلى الاستعانة ببدوات عبقريته، فلاتزال به تيقمم هذا وذاك ، وهو لايبالى أن يناقض أو يخالف أو يتورط أو يغالط عقله ، ويفسد عقول الأشياع والمريدين من أصحابه .

ومن البلاء الذى لا بلاء بعده ، أنه حين يتخبّط فى مثل هذا ، يعمـد إلى « اصطناع » الهدوء فى إلقاء القول ، وكأنه على ثقــــة مما يقول ، ويزيد « فيصطنع » المنطق أيضاً ، ومايريد بذلك إلا إيهام من لا يقف متدبّراً عند القول وقرينه ، وما يترافدان به من المعانى والأغراض .

ثم يبالغ فى التلبيس فيسوق إثر ذلك شبهة أخرى يقول فيها : « ولكن الخطب فى أم المتنبى أعظم من الخطب فى أبيه . فقد سكت المتنبى نفسه عن أبيه ، ولـكن الرواة والمؤرخين ذكروه فسموه الحسين ، وعرفوا له أباً اختلفوا فى اسمه بعض الاختلاف ، وعرفوا له صناعة هى السقاية فى الـكوفة . وهذا على قلته وضآلته كثير بالقياس إلى ماعرفوا عن أم المتنبى ، لأنهم لم يعرفوا من

أمرها شيئاً ، ولم يذكروا من أمرها شيئاً . فنحن لا نعرف اسمها، ولا نعرف أباها ، ولا نعرف أكانت عربية من قبل أبيها أم أعجمية ، وكل ما نعرفه أن أمها قد عطفت على المتنبي وأحبّته وكَلِفَتْ به ، وعُمِّرَتْ حتى رأته رجلاً .. » ، ص ١٨ .

فتدبّر هذا الكلام الفضفاض الطويل ، وهو لَغْوٌ يبتدئ ، وثرثرة لا تنتهي ... وكل ذلك لأن المؤرخين لم يعرفوا من أمر أم المتنبي شيئاً ، ولم يذكروا اسمها ولا اسم أبيها !! والدكتور مُغْرًى بهذا الضرب من الإفاضة حتى يصدّع رأس القارئ بالضجيج اللفظي ، فينام فكرُه ، فيتلقى ما يريده هو من الرأي نائماً أو كالنائم . وإلا فالأمر أهون من ذلك بكثير أيها الدكتور العبقري . فلو أنك أمرت مستمليك أن يمد يده فيتناول كتاباً من كتب تراجم الرجال فيقرأ لك طرفاً منها ، لعلمت أن أصحاب هذه الكتب ، وهم المؤرخون ، قلّما يعرضون في التراجم لذكر أمهات الرجال أو ذكر أسمائهن أو أسماء آبائهن . ومن الإنصاف أن نلاحظ أن المؤرخين لم يكونوا يقدِّرون في أكبر الظن في سنة ١٩٣٧ ، أنه سيُتَشَكَّك في نسب المتنبي ، وسيُلْتَمَس وجهُ الحق فيه بعد أن يموت بألف سنة ! ولو أنهم قدّروا شيئاً من ذلك ، «لأمكنهم أن يحتاطوا له بعض الاحتياط» !! أو كما قال الدكتور في ص ١٩ .

ما أظن أحداً يستطيع أن يُخْرِج من شعراء العربية وهم ألوف لا تنتهي ، مئة شاعر يعرف المؤرخون أسماء آبائهم وصناعة هؤلاء الآباء ، وأمّهاتهم وأسماءهن . ولعل الدكتور يطلب بعد ذلك من المؤرخين أن يصفوا له الآباء

والأمهات ، وحِلْيَتَهُم ، وطولهم وعرضهم ، ولون عيونهم ، وما إلى ذلك = وإلا زعم أن هؤلاء جميعاً لا يعرفون آباءهم ولا أمهاتهم !

وهذه الأباطيل هى الأصل الذى بنى عليه الدكتور شكَّه فى هذا الفصل ، وهو أصل فاسدٌ كله .

وإنما شأن المتنبى من قِبَلها شأن مَنْ سبقه ومَن عاصره ومن جاء بعده . فلماذا نقذف المتنبى وحده بهذا « المَقْت » الذى طَلَع به الدكتور ، ولا نأخذه بالقياس على أشباهه ونظرائه ، ونجعل الأمرَ فيه أمرَهم ؟

هذا على أن المتنبى لم يذكر له أحد من شعراء عصره شيئاً عن أمه ، يهجوه بها أو يعرِّض أو يَغْمِز ، حتى يكون « صمت ديوانه عن ذكرها » سبباً فى توجيه النظر إلى أمرها . ثم يكون هذا الأمر من القبح والمَقْت بحيث ينكره المتنبى = ثم يكون هذا الإنكار داعية للمتنبى أن لا يجْهَر بذكرها !! = ثم يكون فى سنة ١٩٣٧ ، حافزاً للدكتور العبقرى ليشك فى « معرفة المتنبى لأمه » = ثم يكون هذا الشك سبباً فى اقتناعه غاية الاقتناع « بأن مولد المتنبى كان شاذاً ! وبأن المتنبى أدرك هذا الشذوذ ، وتأثر به فى سيرته كلها » !!

فإذا كان الأمر كما رأيت الآن ، فأىُّ عجب فى أن لا يذكر المتنبى أمَّه شاباً ومكتهلاً ، وراضياً وساخطاً ، ومسروراً ومحزوناً ، وما إلى ذلك من أوهام الدكتور طه .

وانظر إلى هذه الحقيقة التى يذكرها ، « حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهى أن المتنبى لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه

وأبيه ، التمس لذلك ما شئت من علة ، فهذا لا يعنيني ، وإنما الذي يعنيني ، ويجب أن يعنيك ، هو أن شعور المتنبي الصبيّ بهذه الضّعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأدنَيْن ، قد كان العنصر الأول الذي أثر في شخصية المتنبي » = ثم انظر إلى قوله : « لماذا احتاج المؤرخون أن يتحدثوا عن أبيه ، وعجزوا (أو لم يريدوا) أن يتحدثوا عن أمه !! » = ثم انظر إلى هذه الصلة الفاجرة التي يعنيها الدكتور بقوله : إن سراً من الأسرار « يكتنف حياة أبي الطيب ويحيط بأسرته ، ويستر عنا حقيقة الصلة التي كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتي كانت بين الحسين السَّقاء وهذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتي اقتضت أن تُهْمَلَ أم المتنبي إهمالا تامًّا » .

ألا إنّ أم المتنبي لم تُهْمَلَ إهمالاً تامًّا لسر من الأسرار ، بل شأنها شأن غيرها من أمهات الشعراء والرجال الذين لا نعرف عن أمهاتهم شيئاً وهم السَّواد ، وقلّ أن يكون قد ذكر من أمرهن شيء في كتب التراجم .

إن عادة الدكتور أن يعمد إلى الأصل الفاسد الذي يبني عليه كلامه ، فيطيل في ذكره والتنبيه إليه بشُبَه لا حقيقة لها ، ثم يديرُ الكلام من هنا ومن هنا ، ويحتالُ في الإكثار والإطالة ، متلبِّساً بالهدوء والوقار ، ملوِّحاً بالمنطق ، مخادعاً بالفكر ، ليتوهَّم من لا يدرك حقيقةَ هذا الأصل الفاسد الذي يعتمد عليه ، أن الرجل قد أتى بشيء ، وأنه قد فكر ، وأنه قد علم . . . . . . ثم أخيراً أنه قد أجاد وأحسن ! وما به شيء من ذلك .

وأنت إذا رجعت إلى هذا الفصل بعد الذي بيناه من أن صمت ديوان

أبى الطيب عن أمه ، وصمت المؤرخين عن ذكرها ، أمرٌ لاغبار عليه = عرفت أن هـذا الفصل وَحَلٌ كلُّه ، وليس فيه من جهد الفكر إلا جهد الاحتيال وإرادة التلبيس والتَّمويه على البسطاء ، ومن لم يدرُس على أصل حكيم مقرَّرٍ ، ومن لا يقفُ على المعانى والأغراض وقوف المتثبت .

ولا نحبُّ أن نقف طويلاً عند إبطال هذه الأباطيل ، فإن أمرها بيّنٌ ظاهر . وقد تكلمنا فى الكلمة السالفة عن المعنى الذى أراده الدكتور طه فجمع له كل هذا الغُثَاء من الألفاظ والمعانى والآراء والأفكار، ليقول إن المتنبى « لا يعرف أباه » و « لا يعرف أمه » ، وليقول إن « مولد » المتنبى كان شاذًّا ، ثم يفعل ذلك ليُوقع فى نفس القارئ أن هذا الرجل كان ولداً لغير رِشْدَةٍ بين رجل وامرأة من الناس لا يعرفهما ، وينكر من أمرهما ما كان . واللَّهمَّ إنا نعوذ بك من فضوح الدنيا والآخرة ! فهذه فضيحة عقلية « كبرى » ، لا يرضاها لنفسه إلا من تبع هواه ، وانقاد لغرائزه ، وأعطى السَّلَم لصاحب الأمر والنهى فى شهوات متَّبعيه .

ثم يريد الدكتور تغطية هـذا الفصل النَّغِل المعيُون برأى جديد ! ! (النَّغَل : تَثَقُّب الجلد من سوء الدِّباغ . ومعيون : ظاهر الفساد تراهُ العين)، وهو أن المتنبى « عربىٌّ » ! فمن الذى شك ، ياسيدى ، فى عربية المتنبى ، وهل فى الأرض أحد تكلم فى هذا ، أو خاض فيه ، أو عرض له ؟ وأىُّ شىء يحمل مؤلِّفاً على أن يملأ ستَّ صفحات من كتابه (من ص ١٩ — ٢٥) بكلام لا وزن له ، ولا غَنَاء فيه ، ولا معنًى يُراد له ؟ ويتعالم على الناس فيقول :

« ونحن إذا انتهينا إلى (قرارة الأشياء) لا نكاد نشك فى أن المتنبى قد كان (عربيًّا) » !! وقد أنصف الدكتور إذ وقع له لفظ (القَرَارة) فى هذا الرأى ، فإنه شىء ساقط حقاً لا يأتى إلا من القرار . ولماذا يدور لسانه بما يملأ صفحتين على هذا النمط : « إنما أفهم الشك فى عربيَّة المتنبى ، لو أن المؤرخين روَوْا له نسباً معروفاً أو قريباً من المعروف فى أمة غير عربية ، وأنه قد جحد هذا النسب وتبرّأ منه ، واصطنع لنفسه نسباً عربياً ... » ص ٢٤ ، « ولكنى لا أفهم الشك فى عربية المتنبى ما دامت القرائن لا تنسبه إلى أمَّة أعجمية ... » ص ٢٥ ؟؟

ولكن ، أيدرى القراء من أين أخذ الدكتور العبقرى هذا المعنى فأفاض فيه للَّجَاجة لا للغرض ؟ فاعلم ياسيدى أن الأستاذ الجليل المفكر العاقل عبد الوهاب عزام حين تكلم عن نسب أبى الطيب الذى يذكره الرواة قال فى ص ٣٤ : « ولكنا إذا رجعنا إلى الحقائق ، وتطلبنا الأدلة القاطعة ، لم نجد فى شعر أبى الطيب ما يدلنا دلالة صريحة على أن الرجل يمانٍ أو مُضَرىٌّ ، أو ما ينبىء بعشيرة أو قبيلة » ، ثم ذكر ثلاثة أدلة على خُمُول نسب أبى الطيب ، ثم قال بعدها فى ص ٣٥ : « ومهما يكن ، فلا ريب أن شاعرنا كان (عربيًّا قُحًّا) ، فلا يعيبه أنْ كان من بيت فقير ، وكفاه أنْ كان كما قال القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وعَلَّمته الكَرَّ والإقْدَامَا

وصَيَّرتْهُ مَلِكاً هُمَامَا »

« فالرجوع إلى الحقائق » ، فى كلام عزام انحط فى كلام الدكتور إلى « قرارة الأشياء » ، وكلام عزام فى أن الفقر لا يحطُّ من قيمة الرجُل العربىّ اقتُطع منه أن المتنبى « عربى » ، وتوهَّم الدكتور أن ثمة من شك فى نسب المتنبى ، أو من سَيَشك فيه لقول عزام : « فلاريب أن شاعرنا كان عربياً قُحًّا » ، ثم نفخ الدكتور فى الكلمة الواحدة من روحه حتى بلغت ست صفحات من فصل هو ست عشرة صفحة ... فهل يملك القارئ بعد ذلك شيئاً إلا العجبَ ، ثم الضحك ، ثم إسنادَ كفه إلى حَشاه من الإفراط فى هذا الضحك ؟

ومن عجب أمر الدكتور طه ، وهو الرجل العبقرىّ الحاذق ، أنه إذا كتب أراد أن يتظرف فى كلامه ، فيأتى من ظرفه كلام كقِطع الليل المظلم . يقول فى ص ١٩ : « ومن الإنصاف أن نلاحظ أن المتنبى لم يكن يقدِّر فى أكبر الظن ، أننا سنتشكك فى نسبه ، وسنلتمس (وَجْهَ الحق) بعد أن يموت بألف سنة . ولو أنه قدَّر شيئاً من ذلك ، لأمكن أن يحتاط له بعضَ الاحتياط ! ومن يدرى ؟ لعله كان يزدرى شكّنا ، كما كان يزدرى كَيْدَ المعاصرين ، ولعله كان يُجيبنا بكل ما أجابهم به حين قال :

أنا ابنُ مَنْ بعضه يفوقُ أبا الـ ... باحث ، والنَّجْلُ بعضُ مَنْ نَجَلَهْ
وإنَّما يذكرُ الجدودَ لهُمْ ... مَنْ نَفَروه وأنفَدُوا حِيَلَهْ

وأنت ظريفٌ ، ظريفٌ جدًّا ياسيدى الدكتور ، حين تتوهم أن المتنبى لو عرف أنك ستلتمس (قَفَا المباطل) الذى تسميه (وجه الحق) ، وقدَّر

موقفه منك (لأمكن أن يحتاط له بعض الاحتياط) !! آلمتنبي يحتاط لك !! وهو الذى وقف لهؤلاء المعاصرين الكائدين له فى حضرة سيف الدولة، ويخاطب سيف الدولة فيقول :

كَمْ تَطْلُبُون لَنَا (عَيْبًا) فيُعْجِزُكُمْ ... ويَكْرَهُ اللهُ مَا تأْتُونَ والكَرَمُ
مَا أَبْعَدَ العَيْبَ والنُّقْصَانَ مِنْ شَرَفِى، ... أَنا الثُّرَيَّا، وذَانِ الشَّيْبُ والهَرَمُ

آلمتنبي الذى استعْلَى على الملوك والسلاطين والخلفاء فى عهده !! ورمى فى وجوههم بهذا القول :

وجنَّبنى قُرْبَ السَّلاطِين (مَقْتُها) ... وَمَا يَقْتَضِينِى مِنْ جَماجِمِهَا النَّسْرُ
وأَنِّى رأيتُ الضُّرَّ أَحْسَنَ مَنظرًا ... وأَجملَ من مَرْأَى صَغيرٍ به كِبْرُ

يحتاط من أجلك أنت خوفاً وفَرَقاً ؟

آه لو علم الدكتور أسرار الألفاظ التى يستعملها الرجل فى شعره، إذن لتوصل إلى فقه نفسية المتنبي ودراستها، ولأخلد بكلامه هذا إلى الأرض، ودسَّه فى التراب وغيَّبَهُ وستره عن الناس.

وآلمتنبي يقول لك : « أنا ابنُ من بعضه يفوق أبا الباحث » !

كلاً ياسيدى، فثمّةَ أن المتنبي قال لكبير كتاب سيف الدولة أبى الفرج السامَرِّىّ :

أَسَامَرِّىُّ ضُحْكَةَ كلِّ رَاءٍ ... فَطِنْتَ، وكنتَ أَغْبَى الأَغبياء
صَغُرْتَ عن المديح فقلتَ : أُهْجَى ! ... كأنك مَا صَغُرتَ عن الهِجَاء !

وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِى مُحالٍ ، ولا جَرَّبْتُ سَيفِى فِى هَبَاءِ

هذه نفس المتنبي تطل علينا من شعره ، لا من خفة روح الدكتور طه .

وأنا قد أثبت هذه الكلمات وأثبت كلام المتنبي ، ليعرف القارئ أن الدكتور الذى يدّعى أنه يؤلف عن المتنبي ، ويقول فى آخر كتابه ص٧٠٦ : « فما أكثر ما بقى فى نفسى من المتنبي » ، يجهل كلّ الجهل نفسيّة المتنبي ! وإنّ كلمة واحدةً فى كلام مؤلف، لتدلُّ أكبر الدلالة على صدقه أو كذبه فيما يدّعى . وليس كذلك الخطأ ، فإن الخطأ بسبيل أخرى غير التغلغل فى نفس الشاعر الذى تكتب عنه ، والإحاطة بآرائه وعواطفه ، وما يحتمل أن يصدر منه ومالا يحتمل . فهذه الكلمات التى قالها الدكتور ، هى الدليل على أنه « لم يعرف المتنبي » كما لم « يعرف المتنبي أباه وأمه » ! ولشدّ ما عجبت من هذا « الاحتياط » الذى أراده الدكتور من المتنبي . وكلما قرأت ذلك أو مثله فى كتاب « مع المتنبي » تمثل لى أبو الطيب وهو يُنشد :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنه مالا يَرَى

وللسبت المقبل تتمة نقد هذا الفصل ، وإظهار شيء من سائر عيوبه ومآخذه ، والله المستعان !!

رأيت فى الكلمة السالفة وما قبلها أن الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك = عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ومؤلف كتاب « مع المتنبى » حالاً ، ومؤلف كتاب « فى الشعر الجاهلى » سابقاً = أراد أن يشك فى نسب المتنبى الذى رواه الرواة ، فشك على غير بينة أتى بها ، ولا لنقدٍ « اصطنعه » ، ولا لعلّة توقّف فيها ونظر إليها ، ولا لأصل من علم الرواية أحاط به ، ولا لضرورة ملجئة لهذا الشك تحمله على تفسير شعر المتنبى وتحليله على حقيقةٍ يهتدى إليها ، أو فَرْضٍ ينصب نفسه للجدال فيه بالحجة والبيان والتصريف .

ثم انطلق يهيم فى خياله إذ يزعم أن المتنبى « كان لا يعرف أباه ولا أمه » لأنه لم يذكرهما فى شعره ، وأنه كان لا يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه ، لأن « مولده » كان شاذاً . ونعوذ بالله من خَطَرات السُّوء ، ومن قذف أعراض الناس بالأباطيل والأوهام ، فما فى الدنيا شرٌّ من حديث الإفْك وتعاطى « التظرُّف » بإسقاط المروءات .

* * *

وأما هذه الكلمة فهى فى إظهار سائر فساد هذا الفصل الثانى من كتاب الدكتور ، وبيان مغالطاته وتناقضه ، وسوء ما يكون فيه من الرأى والتأويل والتخيُّل الفاسد .

وأوَّل ذلك أنه كان بمصر شريفٌ من ولد العباس يعرف بأبى جعفر الشِّقِّ ، فدخل عليه يومًا كاتبه أبو الحسين ، فوجده يبكى بكاءً شديداً ويقول: وانقصام ظهراه ، واهلاكاه ! فقال له : ما للشريف ، لا أبكى الله عينيه ؟ فقال : ماتت الكبيرة = يريد أمه وكان بها بارًّا . فقال الكاتب : ماتت ؟ قال : نعم ! فشقَّ الكاتب جيبه ، وأظهر من الجَزَع ما يجب لمثله ، ثم ما لبث أن أنكر الأمر إذ لم يجد دليلاً . لا أحد يعزِّيه ، ولا فى الدار حركة، فما هو إلا أن أتت الخادمة فقالت للشريف : الكبيرة = تعنى أمه = تقرئك السلام وتقول : إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولى لها : ومتى أكلت قطُّ بغير شهوتك ! فابتدر الكاتب يقول له : ياسيدى ، الكبيرة فى الحياة !! فقال : وإيش تَظُنُّ أنها ماتت من حق ، إنما رأيت البارحة فى المنام كأنها راكبة على حمار مصرىٍّ تسقيه من النيل ، فذكرت قول الشاعر :

إذا ذهب الحمارُ بأمِّ عمرٍو فلاَ رَجَعت ولاَ رَجَعَ الحمارُ

وكذلك الدكتور طه حسين بك ، توَهَّم بغير بينة أن المتنبى (لا يعرف أباه) ، ثم توهم أيضاً (أنه لا يعرف أمه) ، وجعل كلام أحلامه حقيقة يستنبط منها حقائق فى الفصلين الأولين من كتابه ، ثم يفيق فى سائر الكتاب

من تفسير هذه الأحلام ويَنزِع عنها . ولكن قبل ذلك يَحْلمُ مرة أخرى فى شأن جدته فيقول : « وكل ما نعرفه نحن أن جدته قد عطفت عليه ، وهذه السيدة التى قتلها حب حفيدها فيما يقال وكما سنرى (لا نعرفُ لها اسماً ولا أباً) ، وإنّما نعرف أن بعض الرواة كانوا يقولون إنها هَمْدانية صحيحة النسب ، وأنها كانت من صوالح نساء الكوفة ، وهذا كل ما يعرفه عنها التاريخ . وهو كذلك كل ما يعرفه عنها ديوان المتنبي . أستغفر الله ، فديوان المتنبي لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور ، وصَاغته الكبرياء ، ووضعه جموحُ الشاعر فى غير موضعه من الرثاء وهو قوله :

ولو لم تكُونى بنتَ أكْرَمِ وَالدٍ
لكان أباكِ الضّخْمَ كونُكِ لى أمّا

فأقل ما فى هذا البيت أن المتنبي يذكر لنا أن جدته قد كانت بنت أكرم والد ، ولكنها لم تكن محتاجة إلى هذا النسب لأنه حفيدها ، ولكن المتنبي لم يذكر لنا شيئاً عن هذا الوالد الذى كان أكرم الناس » ، انتهى بنصه من ص ١٨ و١٩ . ورحم الله من قال : « عِيُّ الصَّمت خيرٌ من عِيِّ المنطق » !

* * *

وما أدرى والله من أيِّ أمور هذا الرجل أعجبُ ؟ أمن أوهامه ؟ أم

من استخراجه (الحقائق) من أوهامه ؟ أم من توهمه أن هذا البيت من كلام المتنبي يشكك في نسب جدته ؟ أم من هذا الشرح العجيب الذى علق به على البيت ؟ وقد بينا فى الكلمات السالفة هذه الأوهامَ العجيبة التى طافت برأس الدكتور الجليل ، وكشفت عن فضوح الرأى التى استخرجها من هذه الأوهام ، ووصفها بأنها (حقيقة لا تقبل الشك) . وبقى هذا البلاء العريض الذى ابتُلينا به فى فهم الشعر ممن لا يُحْسِن فهمه ، ولا يُبْصر مواقع الألفاظ من المعانى . فالنحاة (يزعمون) أن « لو » حرف امتناع لوجود ، فيقولون فى التمثيل : (لو لم تكن جاهلا لفهمت) أى (وجود) الجهل (منع) الفهم ، فهذا تقرير للجهل لا تشكيك فيه . وهذه مسألة بينة واضحة وضوح الصُّبح لذى عينين . فكذلك المتنبى ، يقرر أن جدته بنت أكرم والد ، فوجود هذا الوالد الكريم هو الذى منع أن يكون (والدها الضخم كونها أمه) ، فهذا تقرير لكرم عنصرها من جهة ، وفخر بنفسه من الجهة الأخرى ، فلذلك قال فى البيت الذى يليه :

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِمَوْتِهَا ... لَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّى لِآنُفِهِمْ رَغْمَا

ثم انساق بعد ذلك يفخر بنفسه ويصفها بالجلال والحرية والشجاعة والمكارم ... فأين (بعض التشكيك) الذى خوّض فيه هذا الرجل الحاذق الفطن المتكلم ؟ ! .. وليس هذا فحسب ، فثم السوأة الأخرى فى شرحه حيث يقول الدكتور الجليل : « فأقل ما فى هذا البيت أن المتنبى يذكر لنا أن جدته قد كانت بنت أكرم والد » ، فهل فى القراء من يستطيع أن يفهم

معنى قوله (فأقل ما فى هذا البيت ...) ؟ وأين الباقى الأكثر ياسيدى الدكتور وماهو؟ لقد كان أولى بك أن تقول : « فكل مافى هذا البيت ... » لأن المتنبى يقرر أنها بنت أكرم والد ، وأن هذا قد منع ما وراء ذلك من قوله : « لكان أباك الضخم كونك لى أما » . وهذا من حيل الدكتور طه فى التعبير للإيهام والتلبيس ، وخلط الباطل بالحق حتى يفسد فى نظر من لا يتدبر .

ثم يقول الدكتور بِعَقِب ذلك : « ولكنها ، يعنى جدة المتنبى ، لم تكن محتاجة إلى هذا النسب لأنَّه حفيدها » .

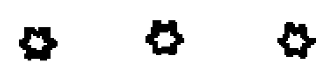
فهل يفهم أحد من الناس = ولو كان من الجهال = هذا الذى قاله الدكتور ؟ وهل يستطيع أن يستخرج المعنى الذى ذكره الدكتور العبترى من ألفاظ هذا الشعر ؟ هل قال المتنبى لجدته : إنك غير محتاجة إلى هذا الوالد الكريم لأنى حفيدك ؟ ياسيدى الدكتور طه ، هل تتكرم فتسمحَ لى أن أقول لك مرة أخري ، وما بين الأولى والآخرة إلا (فَرْكَة كَعْب) : إن النحاة يزعمون أن (لو) هذه التى استعملها المتنبى فى أول البيت هى حرف امتناع لوجود ، وأن (وجود) الأب الكريم (منع) أن يكون حفيدها المتنبى هو أباها الضخم ؟ فأين هذا ياسيدى من الخلط الذى تقوله من أنها (لم تكن محتاجة إلى النسب لأنه حفيدها) ؟

* * *

ثم ما هذا التعسف يامولانا الجليل ؟ وما هذا التحكم فى ألسنة من مات من الشعراء ؟ ثم ما هذه السيطرة التى حباك الله بها على عباده ؟ ثم ما هذا السلطان الذى مُلِّكْتَهُ على ما يجب أن يقال وما لا يجب ؟ ومن الذى خوَّلك الحق فى أن تقول بعقب هذا الغُثاء : « ولكن المتنبي لم يذكر لنا شيئاً عن هذا الوالد الذى كان أكرم الناس » ؟ لماذا يذكر المتنبي ذلك ؟ وأىُّ ضرورة فى الشعر تقتضيه أن يثبت لك فيه اسم هذا الوالد ونسبه وصفته وطوله وعرضه ؟ وهل كان جميلاً أو دميماً ؟ وهل هو أزرق الحدقة أم أسودها ؟ وهل هو أعمى أم مبصر ؟ وهل كان أقنى الأنف أم أفطس ؟ أئذا لم يذكر لك المتنبي شيئاً عن والد جدته ، نصبتَ له نفسك فى مكان مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ تحاسبه على الصغيرة والكبيرة حتى تبلغ ما تريد من الشك فى نسبه ، وقذفه فى أمه وأبيه ، وأنه لا يعرفهما ولا يستطيع أن يجهر بذكرهما !! وأن ثمة صلة بين الحسين السقاء وهذه الجدة (اقتضت أن تُهْمَل أم المتنبي إهمالاً تامًّا) ؟ ومن الإنصاف ، كما يقول الدكتور ، أن نلاحظ أنَّ المتنبي لو كُشِف له غيب الأيام وعرف أن مثلك سيتشكك فى أمره ، ويبلغ هذا المبلغ الذى بلغت ، متعسفاً متحكماً متهجِّماً ، وأن مثل هذا القول سيجد أُذُناً تصغى إليه وتسمع له ، لجمع شعره فأحرقه ، ولضرب الناس على روايته وهو يقول : « اتقِ الصِّبْيَان لا تُصِبْك بأعقائها » ، أو كما قال المثل. (الأَعْقَاء جمع عِقْى : وهو ما يخرجُ من بطن الصبى حين يولد قبل أن يطعم ، والعِقْى أسود لزجٌ كالغراء).

فهذا كما ترى استنطاق للشاعر بما لم يقل به ، وتلفيقٌ على فهم القراء

بالمقدمات الفاسدة ، وهوًى غالب على فكرٍ مضطرب ، وسوء فهم للشعر ليس بعده سوء ولا فساد ، وتعسّفٌ بغيض ، وتحكُّمٌ غليظ ثقيلٌ ، بغير ضرورة موجبة ، ولا معنى مستور يراد له التوضيحُ والبيان ... وهذا كما ترى أدب الدكتور الجليل طه حسين بك وفقهه فى العربية ومعانى ألفاظها ، وكرسىُّ الجامعة من وراء ذلك كله يُعينه ، فكأنه رُوحُ القُدُس ! !



وأعجبُ العجب ، والصيامُ فى رجب ، ما سنذكره لك من المثال المنصوب فى كتاب الدكتور طه للتناقض أوّلاً ، ولسوء الفهم ثانياً ، وللتعسف البغيض الغليظ ثالثاً ، إذ يتخيل الدكتور أنه وحده الذى له حَقُّ النظر والاستنباط والحكم ووضع النتائج من شعر المتنبى ، وأنه ليس لغيره مثل الذى له من ذلك . يقول : « وإذا كان الكائدون للمتنبى من معاصريه قد عجزوا عن أن ينفرُوه وينُفدوا حيله ، ويضطروه إلى أن يذكر لهم آباءه وأجداده ، فإن الباحثين المعاصرين لنا أعجز من أولئك الكائدين . فليس بين هؤلاء المعاصرين الباحثين وبين المتنبى منافسة ولا خصومة ، وليس هؤلاء الباحثون المعاصرون من العلم بأمر المتنبى ودخيلته بحيث كان خصومه ومنافسوه فى القرن الرابع . فليس هناك شك فى أن الذين عاصروا المتنبى وخاصموه ، كانوا يعرفون من سيرته ومن أمره جملةً أكثر جداً مما نعرف ، لأننا لا نعرف شيئاً ، أو لا نكاد نعرف شيئاً .. » ، ص ٢٠ .

وأوّل ما فى هذه العبارة أنه قد أراد بها الردَّ على رجل واحدٍ ، لا على

(هؤلاء المعاصرين الباحثين) ، وهذا الرجل الواحد هو (محمود شاكر) الذى شكَّ فى النسب الذى رواه الرواة ، وزعم أن المتنبى كان علويًّا ، فما من أحد غيره حاول أن يعرف حقيقة الأمر فى نسب المتنبى . وكتمان هذا الرجلِ المؤلفِ أسمى وذكرى لايجدى عليه شيئاً ، ولا يَنْقُصُنى . بل إن جعله المعاصر الواحد والباحث الواحد « معاصرين وباحثين جملة » ، دليلٌ على أنه متخلف عاجز عن الفكر فى القول الذى يريد أن يردّه بهذه الكلمات . وأنا أشهد ، والدكتور الجليل يشهد معى ، أنه أعجز الناس عن النقد ، ثم أبلغهم عجزاً عن نقدى أنا خاصة ... وسيرى القارىء أمثلة كثيرة من هذا العجز ، حين أراد أن يتعرض لذكرى فى كتابه بالتلميح لا بالتصريح ، حتى بلغ من عجزه أنه كان يعمد إلى النص الذى اعتمد عليه فى استنباط رأيى ، فيهمل النص ويرويه فى ألفاظ من عنده ملفقة ، حتى يفسد معناه الذى هو له . ومع ذلك فلا يتحرج ولا يتذمّم من أن يشير فى أسفل الصحيفة إلى الكتاب الذى نقلنا عنه بالجزء والصحيفة !!

ودع هذا ، فإذا كان هؤلاء المعاصرون الباحثون عاجزين عن إدراك حقيقة القول فى نسب المتنبى للعلل التى ذكرها ، فلماذا لم يكن هو من جملة هؤلاء الباحثين المعاصرين ؟ ولماذا يكتب إذن عن نسب الرجل حتى يرميه بالداء القبيح فى عرض أمه وأبيه ؟ وكيف يبيح لنفسه أن يقول أنه اقتنع بأن (مولد) المتنبى كان شاذًّا ؟ إلى آخر هذا السخف الذى عرضناه ! أترى هذا الدكتور ليس من المعاصرين ؟ أتراه يملى على غلامه هذه الفصول وهو

مِنْ وَرَاء حدود الدنيا فى بحبوحة الآخرة ؟

وإذا كان هذا الرجل يعترف بأنه لا يعرف عن المتنبي شيئاً أو لا يكاد يعرف شيئاً ! ! فما غَنَاء هذا الكتاب الذى كتبه ؟ وعلى أى شيء اعتمد ؟ وممن أخذ ؟ وكيف استوحى ؟ ألا إن فى الكلام ما يسمى (فاسداً) كما قالوا — وعندى أنا أن فى الكلام مالا يستحق أن يسمى (فاسداً) ، لأن هذا اللفظ لا يستغرق كل معانى الفساد الذى يكون فيه . ألا ترى ذلك ياسيدى الدكتور ؟ فإن لم تكن تراه ، أفلا تراه أنت ياسيدى القارئ ؟ بلى وَرب الذى قال (صلى الله عليه وسلم) : « الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبَذاء من الجَفَاء ، والجفاء فى النار » .

* * *

ومن أعجب السخف وأغربه وأعرقِهِ نسباً فى الأباطيل ، ما عرض له الدكتور فى ض ٢٣ و ٢٤ إذ يقول : « وقد أنبأنا المتنبي برأيه هذا (يعنى عربيته !!) فى نفسه حين قال :

لا بِقَوْمِى شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بِى ، وبِنَفْسى فخرتُ لا بجُدُودِى
وبهم فَخْرُ كلِّ من نَطَقَ الضَّا دَ ، وعَوْذُ الجانِى ، وغَوْثُ الطَّرِيد

فهذا البيت الثانى صريح فى أن المتنبي كان يعلن إلى الناس أنه لا يَشْرُف بقومه وإنما يشرف به قومه ، وأنه يفخر بنفسه لا بأجداده ، وإن كان قومه فخرَ العرب ومجتمعَ خِلالهم وخِصالهم » . ولا يفوتنَّك أن تسمع

لهذا العبقرى حين يقول إن البيت الثانى صريح « فى كذا وكذا » — وعلم الله أن هذا الصريح الذى أتى به فى كلامه هو البيتان جميعاً ، وليس بيتاً واحداً ! ! ثم يقول فى إثر ذلك : « فما الذى يمنعنا أن نصدق المتنبى ، ونرى معه أنه كان عربياً قحطانيًّا ، لاشىء إلا أنه لم يحْفَظ نسبه ، ولم يحفظه له المؤرخون ، فأمره فى ذلك أمر الكثرة التى لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم (تأمل هذا جيداً) ، أفنجحد عربيتهم لأنهم قد أضاعوا هذه الأنساب ؟ وما يمنعنا إذن أن نجحد إنسانية الناس ، لأنهم لم يحفظوا أنسابهم إلى الإنسان الأول ، أو إلى الأناسىِّ الأوَّلين » ، ووقفته العبقرية فى ص ٢٤ .

فأنت ترى أن هذا الرجل يزعم لك أن المتنبى فى هذين البيتين يرى (أنه عربىٌّ قحطانىٌّ) ، ولم يقل المتنبى ذلك كما ترى ، بل قال : « وبهم فخر كل من نطق الضاد » والقحطانيون والعدنانيون كلاهما ينطق الضاد ، والإجماع على أن فخر (من نطق الضاد) ، وهم العرب ، هم قريش من عدنان ، فأين المرجِّح الذى جعل الدكتور يستخرج من كلام المتنبى أنه كان يرى (أنه عربى قحطانى) فى هذا البيت ؟ وأين الدليل على أن (فخر من نطق الضاد) هم قحطانيون لا عدنانيون ياسيدى الدكتور ؟ أفتدرى لماذا أتى هذا الرجل بهذه الكلمات ، وبهذا التأويل الفاسد ، وبهذا التعسُّف الغليظ ، وبتحميل البيت مالا يتحمل من المعانى والأغراض ؟ إذن فاعلم أنه ما أتى بذلك إلا ليعارض هذا المسمَّى (محمود شاكر) ، لأنه هو الذى قال

فى كتابه أن (نحر من نطق الضاد) ، هم ـ ولاشك ـ أبناء على رضى الله عنه وفاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجعل ذلك من الأدلة على (علوية) أبى الطيب فى باب النسب .

وأكثر من ذلك أن الرجل حين غَلَى صدره بهذا الغُثاء الذى يقذف الناس به ليردّ عليّ قولى فى (علوية) أبى الطيب ، ناقض نفسه ، وأتى بالدليل على اضطراب فكره ، وقلة تبصره ، و سرعة تهجمه على الحق والباطل برأيٍ ضعيف وإدراك واهن . فهو حين شك فى نسب أم المتنبى وأبيه ، وقذفهما بالكبيرة الفاجرة ، حصل من الأدلة على ذلك أن المتنبى لم يذكر لنا نسبه ولا نسب أمه ولاجدته ، ولا ذكر المؤرخون شيئاً من ذلك ، فانتهى إلى الرأى الذى قال به : من أن المتنبى (لايعرف أباه ولا أمه) ، أو أنه لقيط لغير رِشْدَة . ولكنه فى هذا المكان لايرى أن هذا الإغفال للنسب مما يمنعنا من القول بأن المتنبى (عربى قحطانى) ، وجعل أمرَه فى ذلك أمرَ « الكثرة التى لاتحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم » . فلماذا ، أيهذا العبقرى ، لم تجعل أمره فى معرفة (أبيه وأمه) ، أمرَ هذه الكثرة التى لاتحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم وأضاعها المؤرخون؟ بل عمدت إلى القذف فى عرض الرجل ، ولم تتق الله ، ولم تحفظ على نفسك شمائل أصحاب المروءة والحياء والستر ؟ أم تُرَاك تزعم أيضاً فى إحدى بدواتك أن هذه (الكثرة التى لاتحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم) ، هى كثرة من الناس لاتعرف آباءها ولا أمهاتها ، وأنها ولدته لِغَيَّة من غرور الشيطان وتسويله وتزيينه ! !

وليس هذا فحسب ، بل انظر إلى هذا الرجل إذ يأتى للتدليل على هذا الذى قال بقوله : « وما يمنعنا إذن أن نجحد إنسانية الناس ، لأنهم لم يحفظوا أنسابهم إلى الإنسان الأول أو إلى الأناسيِّ الأولين ؟ » .

أين هذا من ذاك أيها الرجل ؟ أتجعل الانتساب إلى قبيلة بعينها أو إلى رجل بعينه ، كالانتساب إلى جنس الإنسان ؟

اسمع ، ياسيدى الدكتور ، إنك لرجل كثير المغالطة ، شديد اللَّدَد ، غير مستقيم الرأى ، مضطرب الفكر ، متخلف النظر ، فإن الشرط فى أن تكون عربياً هو أن تكون متحدراً من سلالات عربية رجلاً رجلاً . هذا هو الأصل. وأما أن تكون إنساناً فقد قال المناطقة فى تعريفه أنه « هو الحيوان الناطق » الذى يمشى على اثنين لا على أربع ، وبذلك يمتاز الإنسان ، وليس يشترط فى إثبات إنسانيته أن يكون حافظاً لنسبه إلى الإنسان الأول أو الأناسيِّ الأولين!! فإذا تكلمت بكلام المنطق فلتنظر نظر المنطق ، وإلا فالعىّ والسكوت خير كله ، وقد قالوا ، أو رحم الله من قالوا : « عِىّ الصمت خير من عىّ المنطق » ، فوالله إن هذه الأقوال التى تأتينا بها لتفضح أمة بأسرها ، لا رجلاً واحداً .

ومن ظريف تخايط الدكتور الجليل أنه يقول فى معرض حديثه عن اللغو الجميل فى عربية المتنبى : « ولكنى لا أفهم الشك فى عربية المتنبى ، مادامت القرائن لاتنسبه إلى أمة أعجمية ، ومادام خصومه على كثرتهم وشدة بأسهم لم يفعلوا ذلك ، ومادام هو ينبئنا أنه عربى صريح » ص ٥٢ . فالقرائن وصمت الخصوم = فى منطق الدكتور ، وفى هذا الموضع خاصة =

هو مما لا يجعله يشك أو يقارف الشك على الأصح ، ولكنه حين دفعته طبيعته وغريزته إلى ذكر السوءات فى صلة والد المتنبى بأمه ، وصلته بجدته ، وصلة المتنبى بهم جميعاً ، لم يقم للقرائن ولا لصمت الخصوم وزناً ، ولم يحفل بهم ، بل جعل هذه القرائن نفسها وهذا الصمت نفسه ، دافعاً من دوافع الشك ، وسبباً من أسبابه ، ودليلاً على الرأى الفاجر الذى اعتمده وامتدّ فيه واستطال ، فأطلق لسانه فى عِرض الرجل وأمه وأبيه وجدته .



وقد أردنا الإطالة والتكرار فى هذا الفصل من كلامنا خاصة ، لنكشف للقراء عن هذه الفوضى العقلية ، وهذا الاضطراب الفاسد المفسد ، وعن التعسف القبيح والسيطرة الباغية ، وعن ثقل النفس التى يَعُدُّها من يجهل ظرفاً وتظرُّفاً ، وعن البَذاء الذى لا ينتهى أبداً إلى غاية يقف عندها وقفة المتحرّج ، وعن سوء الفهم للشعر وقلة البصر به ، وعن تحميل الألفاظ العربية ما لا تحتمل من المعانى ، وعن فساد الاستنباط الذى « يصطنع » صاحبُه الهوى ، والتهجم على غير هدى ولا بيان = وما نفعل ذلك إلا لنؤدِّى أمانة الله التى حملناها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَحمل هذا العلمَ من كل خَلَفٍ عُدُولُهُ ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . وقد رأينا من شباب هذا الجيل مَنْ أخذ يقول فى العلم عن هذه الأصول الفاسدة من التعسف والتهجم والانطلاق إثر الغرائز الدنيا ، وهؤلاء هم الذين يتعبَّدون بذكر الدكتور الجليل طه حسين بك ومَنْ لفَّ لفَّه ، فتقاذفتهم هذه العبادة بتزكية من الدكتور طه حسين إلى الصحف والمجلات والمطابع ، فرموا فى

وجوه الناس بالغث البارد الغليظ من الفهم والظرف والأدب ، حتى اختلط على الناس الأمر ، فكرهوا الأدب واستنقصوا أهله ، واستسقطوهم واسترذلوهم ، وبادروا إليهم بالمهانة والمذمة ، ثم انتهوا إلى الإعراض عنهم وإغفالهم ، فضاع المُجيد وهو قليل ، فى هذا الغبار الثقيل الذى ثار فملأ الجو وأعمى الأعين ، وتحوَّلَ فى الأنوف إلى مثل السدادة من الجيفة المتعفنة .

لايَهُولنَّك ، أيها القارئُ الكريم ، ما ترى من ضخامة بعض هؤلاء الفلاسفة الذين يملأون الأوراق والمجالس وقاعات المحاضرة بالثرثرة والإفاضة والتطويل ، فكثيرُ ذلك لَغوٌ وعَبَثٌ وعُدْوان على جهود الوادعين المتواضعين الساكنين ، وإنما هم قوم حَشْوُهُم ألقابٌ لها رنين وصوتٌ وصَدًى تتجاوب فيه الأصداء ، وإنما هم قوم يتصدّقون على القراء بالذى يستلبونه من قول الناس وآرائهم وفنونهم ... كالذى زعموا من أن ابن أبى ليلى كان يساير رجلاً من وجوه أهل الشام ،[1] فمرّا بحمال معه رُمَّان ، فتناول هذا الشاميّ رمَّانة فأخفاها فى كُمّه ، فعجب ابن أبى ليلى من ذلك واستكبرَه ، ثم رجع إلى نفسه وكذَّب عينيه ، حتى مرَّ بهما سائل فقير ، فأخرج الشامى الرمانة من كُمّه فناوله إياها ، فقال له ابن أبى ليلى : قد فعلت عجباً ! قال الشامى : وما هو ؟ قال: رأيتك أخذت رمانة من حمَّال وأعطيتها سائلاً . قال الشامى : وإنك ممن يقول هذا القول ؟! أمَا علمت أنى أخذتها سيئة ، وأعطيتها فكانت عَشْرَ حسنات ! فقال ابن أبى ليلى : أما علمت أنك أخذتها فكانت سيئة ، وأعطيتها فلم تُقْبَل منك ؟

وكثير من هؤلاء الأدعياء من الفلاسفة يذهبون مذهب هذا الشاميّ الكبير الوجيه ، فيعتقدون فى أنفسهم أنّ لهم حقّ السّطو على مجهود الناس ،

(١) ابن أبى ليلى : هو عبد الرحمن ابن أبى ليلى قاضى الكوفة ، كان فقيهاً عالماً نبيلاً . توفى سنة ١٤٨ هـ .

وأنهم حين يُعطون الناس ما أخذوه ، يزيدونه من أسمائهم سمُوًّا ، ويمنحونه من جاههم جاهًا ، ويضعون فيه سرّهم وسرّ عظمتهم ، وتراهم يجترئون على النـاس ، ولا يتذمَّمون من العـدوان والإغارة والتبجُّح بادّعاء المِلْك فيما لا يملكون ... ويغريهم بذلك أن أكثر المنكوبين بهم هم من المستضعفين الذين يتهيَّبون أن يقاضوهم ، أو أنْ يُغِيروا عليهم فيستردُّوا أقوالهم وآراءهم على الرغم والممارسة والتشبث .

وقد شاء الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك ، عميـد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، أن يؤلف كتاباً يسميه (مع المتنبى) ، ويشاء هذا الكتاب أن يسير بين صَفَحات الكتب ، فيتناول ما يشاء منها بغير إذن ولا نسبة ، غيرَ متذمِّم من إثم ، ولا متحرِّج من عدوان .

وقد كشفنا فى الكلمات السابقة السالفة عن الأنحاء والآراء والأصول التى استلبهـا أو « اصطنعها » كتاب الدكتور طه حسين من كتابى عن المتنبى ، ومن كتاب العالم الجليل الأستاذ عبد الوهاب عزام . على أن للدكتور فى ذلك فضيلةً ليست لغيره ، فإنه كان يبدّل ويغيّر ، ويضع هـذه الأشياء فى غير مواضعها ، متحرّياً إخفاءها بالحيلة والجرأة ، متوخِّياً أسلوب الإفاضة والثرثرة الذى لزمه وانطلق فيه وامتدّ عليه .



وهـذا حينُ القول فى سائر ما أخذه من كتابنا فى الفصلين الثـانى والثالث من كتابه من ص : ٩ إلى ص : ٣٤ ، وسنترك أشياء مما كان لنـا

الفضل فى تنبيه الدكتور إلى النظر فيها ، والوقوف عندها ، لندع لقارئ كتابنا وكتاب الدكتور موضعاً يُعمل فيه فكره ، ويصرِّف فيه رأيه ، و« يصطنع » أسلوب (شرلوك هولمز) فى استجلاء الغوامض ، وحُسْن البصر ، وتتبع الدقائق التى تفضى به إلى جمع الأدلة لتكوين الرأى ، ثم وضع الجانى بحيث لا يجدُ مساغاً للتخلُّص من الاعتراف بجنايته .

١ — يقول الدكتور الجليل فى ص ٢٧ : « وتسألنى ، ومن حقك أن تسألنى ، عن مظاهر هذا الغموض الذى أحاط بحياة المتنبى وعن مواطن هذا الشذوذ . . . فلاحظْ قبل كل شىء غموضَ الأمر فى نسبه ، ولاحظ خُلُوَّ ديوانه من ذكر أمه وأبيه ، أو الإشارة إليهما ، ولاحظ بعد هذا وذاك ، هذا الكذابَ الذى كان يُكاد به عند أبى العشائر ، ثم لاحظْ آخر الأمر أنه حين عرف شوق جدته إليه ووَجَد الشوق إلى لقائها ، وذهب لتنعم وينعم هو بهذا اللقاء ، لم يستطع أن يدخل الكوفة ، فذهب إلى بغداد ، وكتب إلى جدته لِتَشْخَص إليه » .

٢ — ثم قال فى ص ٢٨ « لماذا كاد الكائدون للمتنبى فى نسبه ؟ لماذا تعمَّد الغُرْبة عن الكوفة وألحّ فيها ، وتجنَّب الحياة فى العراق ما وَسِعَهُ هذا التجنُّب ؟ لماذا « عجز » عن دخول الكوفة حين خفَّ للقاء جدَّته ، فمضى إلى بغداد وطلب إلى جدَّته أن تشخص إليه ؟ كل هذه حقائق واقعة لا نستطيع أن نشكَّ فيها (هكذا) ، ولكننا لا نستطيع أن نعللها تعليلاً قاطعاً » .

٣ — ثم يثبت الدكتور أبياتاً من رثاء المتنبي لجدته من ص : ٢٨ — ٣١ ، ويقف عند أبيات من هـذه القصيدة فيستخرج منها مواضع للقول والسؤال والشبهة ، فيقول تعقيباً على هذا البيت :

طَلَبْتُ لها حظًّا فَفَاتَتْ ، وفَاتَنِي
وقَدْ رَضِيَتْ بِى ، لَوْ رَضِيتُ بها ، قَسْمَا

« فهو قد طلب لجدته حظاً لم تدركه لأنها أسرعت إلى الموت ، ولأن هذا الحظ أبطأ على صاحبه » ص : ٣١ . وأرجو أن يقف القارىء عند هذا الكلام العربى المبين من أستاذ الأدب العربى بالجامعة المصرية . فظاهرُ كلام هذا الفَطِن الفهّامة البليغ ، يُفصح عن أن المتنبى « لم يدرك هذا الحظ » ، والسبب فى هذا الإخفاق أن جدّته ماتت ، وأن الحظ أبطأ عليه . فليقرأ القارىء بَيْتَ المتنبى وشرحَ الدكتور الجليل ، ليعلم صدق الذى نقول به : من أن الرجل متخلِّف الفهم فى العربية ، مُضْطرب الفكر فى المنطق ، لابَصَر له بالشعر ، ولا طاقة له على استيعاب معانيه . ومادام الأمر كذلك ، فهو لا قُدرة له على استنباط المعانى من الشعر . ودعواه فى التوقُّف عند الأبيات لرَبْطها بحوادث حياة الرجل ، دعوى باطلة ، يبطلها هذا التخلُّف فى الفهم وسوء العلم بمعانى الكلام العربى ؟ !

٤ — ويقف أيضاً عند قول المتنبى :

هَبِينِى أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِنَ العِدَى
فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الحُمَّى

فيقول معلقاً عليه : « فمن حقنا أن نسأل عن هؤلاء الأعداء من هم ، ومن عسى أن يكونوا ؟ » ص : ٣١ .

٥ — ويقف أيضاً ، وما أكثر وقوفه ، عند قول المتنبي :

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِمَوْتِها ، لَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّى لآنُفِهِمْ رَغْمَا

فيقول فى ص ٣٢ : « فهو يحدثنا بأن قوماً قد يسرُّون بموت جدته ، ويشمتون بموتها ، ولكنه يعلن إلى هؤلاء الناس أنها إن مضت ، وأعجزها الموت عن أن تَكْبِتَهم وتردَّ كيدهم فى نحورهم ، فقد ولدتْهُ رَغْمًا لأنوفهم ، وكَبْتًا لما فى صدورهم من الحقد والشَّنآن » .

٦ — ثم يقف أخيراً ويقول : « ولكنك تقف من هذا الوصف المألوف فى شعر المتنبي عند هذا البيت الذى لا يخلو من غرابة تدعو إلى التفكير :

تَغَرَّبَ ، لا مُسْتَعْظِماً غَيْرَ نفسِهِ ولا قَابِلاً إلا لخالقِهِ حُكْمَا

فهو إذن لم يتغرب عن الكوفة حُبًّا فى الغربة ، ولكن إيثاراً لها ولمشقّاتها وأخطارِها على العافية فى الكوفة . وهو لأمرٍ ما قد آثر هذه الغربة ، وتعرض لما قد تنكشف عنه من الأخطار والأهوال » ، ص : ٣٢ — ٣٣ .

فهذه ستة مواضع من كلام هذا الدكتور الجليل من ص : ٢٧ إلى ص : ٣٣ ، كلها مأخوذة من كتابنا كما سترى .

* * *

فنى الفقرة الأولى يقول إن المتنبى « لم يستطع أن يدخل الكوفة »، وفى الثانية يسأل : « لماذا عجز المتنبى عن دخولها » ؟ ونص هذا من ديوان أبى الطيب :

« وردَ على أبى الطيب كتاب من جدَّته لأمه ، تشكو شوقها إليه ، وطولَ غيبته عنها ، فتوجَّه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة (على حالته تلك) ، فانحدر إلى بغداد » .

وقد جعل الدكتور الجليل (انظر ص : ٢٧) هذا النصّ ، على تأويله واختصاره ، دليلاً على أن « شيئاً كثيراً من الغموض قد أحاط بأسرة المتنبى » ، فليسأل القارئُ ، أيَّةُ صلةٍ بين هذا وبين أسرة المتنبى ؟ وأىُّ سببٍ يصل قولهم بأن المتنبى (لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك) بقَوْلِ الدكتور : إن المتنبى كان (لا يعرف أباه ولا أمه) ، وأن الغموض والشذوذ كان يحيط به وبأسرته ؟ والدكتور قد ألغى ، كما ترى ، قولهم (على حالته تلك) ، وهى تقيِّد معنى (لم يمكنه) . وفعل الدكتور ذلك لغير سبب ولا علة ولا فرض ، وهو لم يعرض هذا النص على القارئ ولم يتكلم فيه ، فهل من أمانة العلماء أن يفعل أحدُهم هذا الفعل ؟ ولكن الدكتور معذور معذور . .

فقد سقت هذا النص فى كتابى (ص : ٤٤ من هذه الطبعة الثانية) ، وقلت : « وهو نص غريب كما ترى ، وليت شعرى وشعرك ما الذى أرادوا بقولهم : (لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك) ، وهو قد أتاها قاصداً دخولها ، ورؤيةَ جدته التى تحبه ويحبها؟... ويقطع صاحبُنا الأرضَ من أقصى

الشام إلى أسفل العراق ، ودخولُ الـكوفة همُّه ، ثم يمتنع لغير سببٍ مذكور. أو معقول !! إذن فلا مناص من القول بأنه (قد مُنِـع من دخول الـكوفة) » :

وهذا هو التأويل الصحيح ، كما ترى . وقلنا بهذا ، لأننا ذهبنا إلى وجود مشكلة بين أبى الطيب والعلويين فى الـكوفة ، وأن هذه المشكلة اقتضت أن يُصِرَّ العلويون على منع أبى الطيب من دخول الـكوفة ، وبَيَّنَّا ذلك فى (ص : ٤٧ من هذه الطبعة) من كتابنا ، ... ولـكن ما الذى يحمل الدكتور طه على الأخذ بهذا التأويل الذى أوَّلنا به النص ، فيقول (لم يستطع)، ويقول تارة (عجز) ؟ فالعداوة بين أبى الطيب والعلويين فى الـكوفة ـ كما فرضنا ـ كانت هى العلةَ فى أن أبا الطيب (لم يستطع) وعجز عن أن يدخلها . ولـكن الدكتور فرض أن المتنبى (لم يعرف أباه ولا أمه) ، فهل فى هذه علة تجعل المتنبى (لا يستطيع) أو (يعجز) عن أن يدخل الـكوفة ؟ وإذا فرضنا أنه يستطيع أن يُجْرِى هذا الفرضَ مجرى العلة للعجز عن دخولها ، فلماذا جاء هذا الأحمقُ المتنبى من الشام إلى الـكوفة يقطع الفلوات ؟ ألم يعرف أنَّه (لا يعرف أباه ولا أمّه) إلاّ حين دَخل فى حدود هذه البلدة ؟ فمنذ ذلك (عجز) عن دخولها = أم تُرَى أنّ جهل المتنبى بأبيه وأمه قد يكون سبباً فى أن يمنعه أهل الـكوفة من دخول بلدتهم ؟ . . هذه مشكلة عجيبة نرجو أن يتولّاها الدكتور الجليل بما عهدنا فيه من قوة المنطق والفلسفة والإفاضة والثرثرة والتعسُّف الغليظ . وهذا الاضطراب القبيح هو الدليل على أن

الدكتور لم (يُعْطِ) رأياً ، وإنما (أَخَذ) رأياً لم يحسن فَهْمَه ولا عَرَف موقعه من الكلام .

* * *

والدكتور الجليل يقول فى الفقرة الثانية : « كل هذه حقائق واقعة ، لا نستطيع أن نشكَّ فيها ، ولكنا لا نستطيع أن نعللها تعليلاً قاطعاً » . ومع أنه لا يستطيع أن يعللها ، أى أن يُجرِيَها من فَرْضِهِ الذى فَرَضَهُ مجرًى منطقيًّا ، فهو برغم ذلك يجعلها من أسباب الشكّ فى نسب الرجل وصلة أبيه بأمه وجدته ، ومن الأدلة على أن الرجل لم يكن (يعرف أباه ولا أمه) ، ... هذا أعجب العجب ! !

* * *

وأما الفقرات الأربع الباقية التى وقف عندها فى أبيات من قصيدة المتنبى ، فهى مع الأسف العظيم ، بعضُ مما وَقَفْنا نحن قراءَ كتابنا عليه ، وشرحناهُ لهم ، ووصلناهُ بحياة المتنبى صلةً لا تنقطع ، ولا يدخلها الضّعف والتناقض ، ولا تختلُّ معانيها بالفرض الذى زعمناه من أن المتنبى كان علويَّ النسبِ ، وأن بينه وبين العلويين مُشكلة سببت شيئاً من العداوة ، بل تكاد تكون من السُّبُل المفضية إلى القول به وتحقيقه تحقيقاً صحيحاً . أما الدكتور الجليل فقد وقف عندها على آثارنا ، ولم يستطع أن يوفِّق بينها وبين الفرض الذى زعمه ، فلذلك لم يستطع أن يعلِّلها تعليلاً قاطعاً أو شبيهاً بالقاطع ، وعمد إلى الحِيلة فجعلها من أسباب الغموض ومن أسباب الشّك ، ثم

زادها سُقوطاً فجعلها من الأدلةِ على هذا الفرض ، بعد هذا العجز كلِّهِ ، وبعد هذا التخلفِ العقليّ البّينِ .

فقد وقفنا عند قول المتنبي :

طَلَبْتُ لها (حظًّا) ففاتَتْ ، وفاتَني،
وقد رَضِيتُ بى ، لَو رَضِيتُ بها ، قَسْمَا

فى كتابنا (ص : ٤٨ ، ٤٩ من هذه الطبعة) ، وشرحنا البيت شرحاً وافياً ، وصححنا أقوال شراح الديوان فيه ، ثم ضممنا إلى البيت قوله :

سَأَطْلُبُ (حَقّى) بِالقَنَا وَمَشَايِخٍ
كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ ماَالتَثَمُوا مُرْدُ

وقلنا فى (ص : ٥١ ، ٥٢) إن (الحظ) الذى طلبه ، و (الحق) الذى سيطلبه ، أمرٌ واحدٌ ، هو حل المشكلة التى بينه وبين العلويين فى مسألة نسبه إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، هذا فى الفقرة الثالثة .

* * *

أما الرابعة التى وقف عندها الدكتور فى قوله :

هَبِينى أَخَذْت الثَّأْرَ فِيكِ مِن العِدى ،
فَكَيْف بأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِن الحُمَّى

فقد وقفنا عنده فى مواضع (ص : ٤٤ ، ٤٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣) ، فقلنا فى ص : ٤٤ « فقد أثبت أبو الطيب أنّ لجدته ثُمَّ له أعداء ، كان همّه كله أو

أكثره أن يأخذ منهم ثأرها وثأره » ، ثم دللنا على أن هؤلاء الأعداء هم العلويون على مذهبنا . . أما الدكتور الجليل فهو لم يَزِد على أن سأل . ! وما سؤالٌ لا جواب له ! !

إن الرجل يريد أن يُعرِّفَ قارئَ كتابهِ أنه قد تدبَّر شعر المتنبى ونظر فيه ، ولكن ... أين يذهب عن القارئ الفطن أن الدكتور طه قليلُ البصَر بالشعر ، سيِّءُ الفهم له ، بعيد كل البعد عن القدرة على الاستنباط منه ؟ خاصة وأن الدكتور الجليل لا يفتأ يَرْمى فى كلامه بالدليل إثْر الدليل على صِدْق ذلك ... كما بيناه فى مواضع من الكلمات السابقة وفى هذه الكلمة .

* * *

وأمّا الخامسة التى وقف عندها فى قول أبى الطيب :

لَئِن لَذَّ يَوْمُ الشّامتين بِيَوْمِها ، لَقَد وَلَدَتْ مِنّى لآنُفِهِمْ رَغْمَا

فهى فى كتابنا (ص : ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٢٢) وقلنا فى ص ٤٩ :

« إنّ هؤلاء الأعداء والشامتين كانوا من أشراف الكوفة ، إذ لا يُعقل أن يكونوا غير ذلك ، لا يُعقل مثلاً أن يكونَ أولئك الأعداء والشامتون من طبقة السّقائين والنساجين ومن إليهم . فلو كان ذلك

كذلك ، لما حفل المتنبي بذكرهم ولا التعريض بهم ، وأن يجعل نفسه رَغْماً لأنوفهم ، وهو مَنْ هو في الكبرياء والتسامي والغلوّ في الترفع والعظمة » .

* * *

وأما السّادسة التي وقف فيها الدكتور الجليل عند قول أبي الطيب :

تَغَرَّبَ لاَ مُسْتَعْظِماً غيرَ نَفْسِه
ولاَ قابلاً إلاّ لِخَالِقِهِ حُكْمَا

فقد وقفنا عندها أيضاً من قبله وقلنا (في ص : ١٢٣) في سبب تغرُّبه : « إن العلويين ، وهم هؤلاء الأعداء والشامتون بموت جدته ، كانوا في سنة ٣٢٦هـ حين ترك الكوفة في غبار راحلته : « قد أرادوه على خُطَّةِ خَسْفٍ ، فأبى أبو الطيب أن يركبها ، وشمخ بأنفه أن يذلّ لأحدٍ من الناس ، أو أن يقبل له حكماً يُريد أن يجريه عليه، وفيه المذلة والهوان وإهدار الكرامة ، وإسقاطُ الفتوة والمروءة ، وآثرَ أن يخرج عن الكوفة مراغماً لهم ، مفضِّلاً آلامَ الغربة على الهوان في الوطن » .

وليعد القارئُ إلى تعليق الدكتور في هذه الفقرة ليرى مشابه القول ، وظَرْفَ هذا الدكتور العظيم ، إذ كان كل همّه أن يغيِّرقولَنا « على الهوان في الوطن » إلى « على العافية في الكوفة » ، وهو تغيير يدلّ أصدق الدلالة على عقل صاحبه وحسن فهمه للمعاني التي ينمو إليها في كلامه ! !

* * *

وبَعْدُ :

فإن قارئ كتابنا يعلم أننا وقفنا عند أبيات كثيرة من هذه القصيدة غير التى ارتطم فيها الدكتور الجليل ، وقد تجاوزنا عنها ، إذ لم يبق فيه موضع لتناول شىء أكثر من ذلك . فهذه الأربعة الأخيرة وحدها ثقيلة الحمل ، قد نآءَ بها كتابه الجليل ، فاضطرب وتخاذل واسترخت مفاصله ، فكيف ، بالله ، يطيق بعدها تناول شىء هو عليه أثقلُ وله أقتل ؟

هذا مع أننا بعد كتابة هذا الكتاب الذى نشره المقتطف فى يناير سنة ١٩٣٦ ، قد وقفنا على أشياء من معانى هذه القصيدة لها شأن وفيها مَقال ، لا أظن الدكتور طه يتنبه لها ، ولو طفق يقرأ هذه القصيدة وحدها سنوات .

وتسألنى ، ومن حقك أن تسألنى ، لم هذا التبجُّح ؟ وفيم هذا التعسُّف ؟ وعلامَ تدّعى حق الوقوف عند هذا الشعر ؟ أكان شعر المتنبى (تَرِكَةً) لا يدخل فى ميراثها غيرُك ؟ أم هو (وَقْف) قد حَبَسه المتنبى عليك ؟ فأجيبك ، ومن حقى أن أجيبك ، أنَّ هذا الذى وقفت عنده ونبَّهت إليه ، ودعوت إلى النظر فيه ، وسُقته فى كتابى على سبيلٍ من التدبُّر والتأمُّل والتبصُّر ، إنما هو من شعر المتنبى ، وليس من شعرِ غيره ، وقد زعموا أن أكثر من ستّين شارحًا شرحُوا هذا الديوان ، وأنَّ أكثر القدماء قد ترجموا لأبى الطيب ، وأن عشراتٍ من المؤلفين فى هذا العصر قد ترجموا لهذا الرجل ، وتناولوا شعره على طريقة أهل العصر من التحليل والتشريح ،

وقد انقضى على ذلك ألفُ سنة ، ومع كل هذا فأنا أجزم لك ، وأصرُّ على هذا الجزم ، أنّ أحداً من هؤلاء جميعاً لم يقف عند بيت واحدٍ مما وقفتُ عنده ، وتكلّمت فيه ، وتأوّلت معناه ، ووصلته بتاريخ الرجل = وأنّ أحداً من هؤلاء لم يَستنبط من هذا الشعر الذى تدبَّرته شيئاً من الذى استنبطته أنا من الحالات النفسية والعقلية التى كانت تعتلج فى صدر المتنبي وفكره . ثم أنا أزعم لك فوق ذلك أن الدكتور طه فى مثل قوله فى ص : ٢٨ حين قدّم للأبيات التى أثبتّها من رثاء المتنبي لجدته فقال :

« فاقرأ معى هذه الأبيات ، ولكن قراءةَ المستأنى المتمهّل الذى لا يمرّ بالشعر مرّاً ، والذى لا يشغله الجمال الفنّى عن التماس نفس الشاعر ، ومايكنّ فى ضميره من العواطف المكظومة ، والأهواء المكتومة ، والخواطر التى لا يعرب عنها إلا بالإشارة والتلميح » = أقول بلا مَثْنَوِيَّة : إنما أخذ الدكتور طه ذلك كله من فضول كلامنا عن هذه القصيدة ، وهداه إلى هذا التنبيه منهجُنَا فى الكلام عنها ، وتنبيهُنَا نحن على مثل ذلك فى ذيل (ص : ١٢٢ من هذه الطبعة) ، عند ذكر هذه القصيدة ، وفى أكثر من عشرة مواضع فى أثناء كلامنا فى الكتاب كله .

وقد قلتُ إن هذا إنّما هو أصل من أصول العلم والاستنباط ، وقارىء كتابى يعرف ذلك حق المعرفة ، والدكتور طه أحد هؤلاء ، ولكنه مؤلِّفه أيضاً !! ولَه فى التأليف مذهبٌ لم يخرج عنه فى أكثر ما ألَّف، مذهَبٌ قد استخرجه من مذهب الأُحَيْمِرِ السعدىّ اللصِّ الذى يقول :

وَإِنِّى لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ أُرَى
أُجَرِّرُ حَبْلاً لَيْسَ فِيهِ بعيرُ
وَأَنْ أَسْأَلَ النِّكْسَ الدَّنِىءَ بَعِيرَهُ ،
وَبُعْرَانُ رَبِّى فِي البلادِ كَثِيرُ !!

= بُعْرانُ كثيرة ، يأخذ منها ما يشاء كما يشاء ، ويذهب بها أين شاء !
وللسبت المقبل البدء فى نقد الفصل الخامس من كتاب الدكتور الجليل .

* * *

لقد كان من عملنا فى الكلمات الماضية أن كشفنا عن عَوار الفصل الثانى والثالث من كتاب الدكتور طه الذى سماه « مع المتنبى » ، وأبنَّا عن الأصل الذى بناها عليه ، ومن أين أخذه ، وكيف أحاله عن وجهه ، وأخرجه عن طريقته ، وتعهّده بطبيعته الجبارة !! فأفسده أيّما إفساد ، وأراد أن يجعله فنًّا جديداً فى نسب أبى الطيب ، فكان قَذْفاً جريئاً فى عرض الرجل . ثم زدنا فرددنا مواضع القول = الذى أفاض فيه الدكتور حين اطمأن له ، واتكأ عليه ، واسترخى فيه ، وتوخَّى به الراحة والدعة = إلى أصله وشبيهه من كتابى عن المتنبى ، ومن كتاب الأستاذ العالم الجليل عبد الوهاب عزام . ثم ختمنا القول فى الكلمة السادسة بالجمع بين ماوقف عنده الدكتور فى كتابه من شعر المتنبى ، والذى وقفتُ عليه أنا من قَبْلُ من هذا الشعر نفسه ، ولم يسبقنى إليه سابقٌ على امتداد ألف سنة تحطّم عامٌ منها على عام .

ومن رجع إلى ما كتبته جملةً واحدة ، ولم يدع طرف عينه من كتاب الدكتور طه ، استيقن يقيناً لايخامره الشك أن الدكتور طه إنما كان فى هذين الفصلين كالناقل المسىء ، وكالمترجم المتخلِّف الذى لا يعرف معنى الكلام ، ولا يبصر عُنْصُر القول من أين أتى ، وكيف تدرَّج ، وإلى أين انتهى !!

وما ذلك إلا لما قلنا به من أن الدكتور الجليل رجل هو فى فهم الشعر وإدراك معانيه ، ثم فى العربية وحدود ألفاظها ، ومقاطع جُمَلها ، ومطالع

تراكيبها وفصولها وغاياتها ، كالذى زعموا من أن خالدَ بن صفوان الخطيب البليغ ، دخل يوماً إلى الحمام ، وفيه رجلٌ ومعه ابنه ، فأراد الرجل أن يعرِّف خالدًا ماعنده من البيان والفصاحة فقال لابنه : يابنى ابدأ بيداك ورجلاك !! ثم التفت إلى خالدٍ كالمتباهى فقال: يا أبا صفوان ، هذا كلامٌ قد ذهب أهله !! فقال خالد : هذا كلامٌ لم يخلق الله له أهلاً قط ! وإنما الدكتور رجل يتعالم فى الشعر العربى والأدب العربى بما سُوِّغ من شهرة وصِيتٍ ، وما استوطأ من سكوت الناس عنه ، وما استعلَى به من كرسى الجامعة = وإلا فهو أديب من الأدباء ، إذا أردت أن تصف أدبه بما تصفه به كُتُبه قلت : ليس بذاك ! ولَوَيْتَ عنقك ، وانصرفت إلى شأنك ، وشغلت نَفسك بما هو أجدى عليها وأليق بها من أدبٍ غيره ، ممن طمست أسماءهم هذه الطبول ذَوَاتُ الدوىِّ والطنين والعَجِيج الذى لاينتهى من الدكتور فلان إلى الأستاذ علان .

هذا خلاصة ماتخرج به من مَغْناةِ كلامنا فى الفصول الماضية التى نقدنا بها الفصل الثانى والثالث من كتاب الدكتور الجليل .

وأما الفصل الرابع الواقع فى الكتاب من ص ٣٥ — ٤٨ ، وقد سماه الدكتور : (الحياة الإسلامية حين ولد المتنبى) ، فقد كنتُ على نية الكلام فيه ، ولكنى وجدته مما لايتعلق بشىء مما نحن بسبيله ، وما رأيت فى نقده غناءً للقارئ ، ولا فى الفصل نفسه موطناً يستحق أن يتكلف له الناقد مؤونة التسطير ، فلذلك أغفلناه . ونبدأ بعون الله فى الفصل الخامس وقد سماه :(صِبَى المتنبى فى العراق) وموقعه من (جغرافية) هذا الكتاب بين ٤٩ و٩٢ .

وما أظن القارئ بالذى يكلفنى أن أختصر له هذا الفصل قبل البدء فى النقد ، على ما تعوَّدناه فى الكلمات السالفة ، ولكنى له زعيم بأن أجعله على حالة يكون فيها كالذى قرأ الفصل كُلَّه لم يفته منه شىء ، مضمّناً قولى ما لابد من ذكره من كلام الدكتور طه ، بعد إسقاط لَغْوه ، وقصِّ ذيوله ، واطِّراح فُضُوله .

هكذا يبدأ الفصل الخامس فى ص٤٩ : « وطفولة المتنبى مجهولة بالطبع كطفولة غيره من الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه » ، ثم يقول بعد لَغْو : « والذى نعرفه عن صِبَى المتنبى ينقسم قسمين : أحدهما ينبئنا به الرواة ، وأنا أقف منه موقف التحفُّظ والاحتياط ، ولكنى لا أهمله ولا ألغيه = والثانى ينبئنا به المتنبى نَفْسُه فيما حُفِظ لنا من ديوان شِعْر الصبى ، وأنا أطمئن إليه اطمئناناً تامًّا ، وآخذه أخذ الناقد الذى لا يصدِّق كل ما يلقى إليه فى غير تفكير » .

وليقرأ القارئ هذا الكلام مرة وأخرى ، وليتدبَّره ، وليعرف أوَّله من آخره قبل أن يقرأ كلامنا ، وما نريد له ذلك إلا ليختُبر بنفسه ، ويقيس ما عنده ، فإن جودة العلم لا تتكون إلا بجودة النقد . ولولا النقد لبطل كثيرٌ علمٍ ، ولاختلط الجهل بالعلم اختلاطاً لا خلاص منه ولا حيلة فيه ...

ثم إن هذا الكلام الذى نقلناه ، لنا فيه وجهان من القول : أمَّا أحدهما ، فالدَّلالة على موضع النقل من كتابنا نقلا بيِّناً لا خفاء فيه ولا لَبْس = وأمَّا الآخر فَفَساد الكلام فيه فساداً لا إصلاح له .

يقول الدكتور إنّ صبى المتنبى ينقسم إلى قسمين : « أحدهما ينبئنا به

الرواة ، (وأنا) أقف منه موقف التحفظ والاحتياط ، ولكنى لا أهمله ولا ألغيه » ص ٤٩ . والقارئ يعلم كما قدمنا أننا أوّل من شكّ فى الروايات التى رُويت فى ترجمة أبى الطيب جميعها ، من مبدأ القول فى نسبه إلى غاية القول فى مقتله ، ولم نجعل شكّنا كما جعله الدكتور حين سُوِّل له أن يشك ، لغير علة حاضرة أو سبب مذكور .

كلاَّ ، فقد تتبعنا نقد سند الرواية ونصّها على طريقتنا حتى زيّفنا زَيفَها وأبطلنا باطلها ، وميّزنا المدخول من الأصيل ، والصّحيح من السليم ، فقول الدكتور هذا هو وصفٌ لما فعلناه نحن ، وكان من حقّنا عليه أن يضع مكان قوله : « (وأنا) أقف منه موقف التحفظ والاحتياط فلا أهمله ولا ألغيه » ، مانَصّه : « (ومحمود شاكر) يقف منه موقف التحفظ ... » إلى آخر العبارة ، وذلك للسبب الذى ذكرناه ، من أن تحفظنا واحتياطنا وشكّنا ، إنما بُنى على أسبابٍ وعلل . وأما الدكتور فلم يفعل من ذلك فى كتابه شيئاً .

وثَمّ شيء آخر أحب أن يعلمه الدكتور طه ، وهو أنى أعرف من الأسباب التى يترفق بها فى استجلاب الأدب إلى نفسه ، مالاقبل له بإنكاره ولا المكابرة فيه ، ثم ليقرأ القارئ قولى فى (ص : ١٩٤ من هذه الطبعة) من كتابى مانصه :

« واعلم أن أكثر مايروى فى ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالس الأدباء ، ولا يُراد بها التحقيق ، ولا يُنظَر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً

مما يروى فى تراجم رجالنا ، كان مما يراد به مَضغُ الكلام فى مجالس الأمراء أو فى سامر الأدباء . هذا على أنها ربما حَمَلت فيما تحمل أشياء لولا ورودها فى هذه النصوص ، لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقاتٍ لاينتظم أمره إلا بها ، ولا يستمرّ إلا عليها ، فلمثل هذا كان لا بد لنا من النظر فى النصوص وتمييزها ، وردّ بعضها والأخذ ببعض، حتى لاتنقطع بنا السبل فى الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يَفوتنَّك هذا إذا قرأت ما نكتب ، أو أردتَ أن تقرأ أو تكتب » . انتهى من كلامنا .

* * *

والدكتور فى هذا الباب « يصطنع » التحفظ والاحتياط فى الشك ، ويقول إنه (لايهمل النص ولايلغيه) تقليداً لقولنا : (فلمثل هذا كان لا بد من النظر فى هذه النصوص ، ورد بعضها والأخذ ببعض ...) ، فإن لم يكن هذا تقليداً قبيحاً ، واعتداء مفرطاً فى العدوان ، وتأثراً لخطواتنا على غير بصيرة من النفس والرأى والفكر والتدبير ، فما يكون ؟

أرأيت أيها القارئ الكريم أنه فى هذا الموضع يقلدنا ، ويدل بالدليل القاطع على أنه مقلد ، وأنه مع ذلك لايحسن أن يقلد ؟ أمَا رأيت قبلُ فى الفصول الماضية أنه حين تكلم فى نسب المتنبى ، والرواية عنه منقولة عن هؤلاء الذين نقلوا هذه الأخبار نفسها ، لم يستطع أن يقول إنه (يتحفظ أو يحتاط) ، أو (لايهمل النص أو يلغيه) ، بل تغلو به الجرأة ، ويتقاذفه الوهم « فيشك فى غير تحفُّظ ولا احتياط » ويُهمل النصوص ويلغيها جملةً ، ليذهب إلى رأىٍ فاسد ، يقذف به عِرْض الرجل حيث جعله (لا يعرف أباه ولا أمه) ،

وأن مولده كان (شاذاً) . فما الذى حمله بَدْءاً على نبذ الاحتياط ، واطِّراح التحفظ ، وإسقاط الرواية جملةً واحدة ؟ ثم ما الذى حمله على (اصطناع) الاحتياط والأخذ بالتحفظ والتعلق بالرواية ، فيأخذ بعضها ويردُّ بعضها أو (أن لا يهملها ولا يلغيها) ؟ هل تجد عندك أيها الدكتور علة تنبذها للناس، علّها تستر هذا العَوار الذى فى كلامك ؟ وما أصدق ما قاله مبذول العُذْرىُّ :

وما كُلُّ مَنْ مدَّدتَ ثَوْبَكَ دُونه
لِتَسْتُرَهُ فيما أتى أنتَ سَاتِرُهْ

وما الذى جعل الرواة فى قولهم : إن والد المتنبى هو الحسين السقاء ، وأن جدته كانت همدانية صحيحة النسب ، وأن نسب أبيه ينتهى إلى جُعْفِىّ = أَكذبَ منهم حين يقولون : إن المتنبى فى صباه فعل كذا ، وكان من أمره كذا ؟ وما العلة فى أن الرواة حين ذكروا جدَّه لم يتفقوا عليه ولا على الاسم (يلصقونه) به كما قلت فى ص ١٠ ، أو حين ذكروا صباه أثبتوا شيئاً صحيحاً (وألصقوا) معه شيئاً كذباً موضوعًا ؟ أفى المنطق أن يكون ذلك كذلك ؟ أم المنطق أن يكونوا فى ذكر صباه أكذبَ منهم فى ذكر أبيه وأمه وجده وجدته ! « نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » !

* * *

وأما القسم الثانى ، وهو الذى « ينبئنا به المتنبى نفسه ، فيما حفظ لنا ديوانه من شعر المتنبى » = يقول الدكتور الجليل المفكر العبقرى أنه « يطمئن إليه اطمئناناً ما ، ويأخذه أخذ الناقد الذى لا يصدِّق كل ما يُلْقَى إليه فى غير تفكير » . فهذا كلام لا أدرى ، والله ، كيف أصفه ؟ وإنما أدع للدكتور طه

نفسه أمر هذا الوصف إذ يقول فى ص ٧ من كتابه وعن كلامه هذا وأمثاله: « قل ما تشاء فى هذا الكلام الذى تقرؤه ، قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، قل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً ، قل إنه كلام يصدُر عن رأى وأناة ، وقل إنه كلام يصدُر عن شذوذ وجموح ، فأنت مُحق فى هذا كله » ، وليختر القارىء بعد هذا أحقَّ القولين بالإثبات ، وأليقهما بالصفة ، وأدلّهما على الغرض الذى يوحيه كلام الدكتور .

فمن قرأ شعر المتنبى فى زمان صباه لم يجد فيه خبرًا واحداً يكون كالرواية عن أمر هذا العهد من عمره ، وإنما هو شعر لاخَبر فيه ولاحديث . والدكتور قد جعل هذا الشعر — كما هو بيّنٌ من كلامه — قريناً لأخبار الرواة ، فلذلك يقول : « فأنا أطمئن إليه اطمئناناً ما » ، وجعله أحد قسمين مما نعرفه عن صِبى المتنبى . وإذا ظن ظانٌّ أنّ الدكتور يريد بهذا القول مايستنبطه من هذا الشعر من حالته النفسية وتعليقها ببعض الأخبار التى رويت ليتمِّم النقص ، ويزيد فى تصوير هذا العهد من حياته ، فالدكتور نفسه قد سدَّ عليه هذا الباب بقوله : « فأنا أطمئن اطمئناناً ما ، وآخذه أخذ الناقد الذى (لايصدِّق) كل مايلقى إليه فى غير تفكير » ، فإنّ الاطمئنان لا موضع له هنا ، إلا أن يكون فى صحة نسبة هذا الشعر إلى أبى الطيب ، وهو مما لايشك فيه الدكتور ، ولا يدعى فيه أنه موضوع على لسانه ثم يقول : إنه يأخذه أخذ الناقد الذى (لايصدق) كل مايلقى إليه فى غير تفكير . وليس فى هذا الشعر ولا فى استنباط الدكتور منه ، مايصحّ أن يكون

موضوعاً (للتصديق أو التكذيب) ، حتى يستطيع هذا الظانّ أن يذهب بكلام هذا الرجل الدكتور العبقرى هذا المذهب الجميل .

وإذا أردت أن تتحقق من أن هذه العبارة لامعنى لها البتة ، فارجع إلى الفصل كله من ٤٩ — ٩٢ فاقرأه ، فلا تجد الدكتور أتى ببيت واحد من شعر المتنبي فى صباه يكون فيه ذكر حادثة فى هذا العهد . وإذا كان الأمر كذلك ، وصحَّ عندك ، وتحققت منه ، علمت أن هذا القسم الثانى الذى زعم أنه يعرفه عن (صبى المتنبى) ، إنما هو من اللّغو والفضول ، وأن الدكتور لم يعمد إلى هذا التقسيم إلا ابتغاء الحِيلة ، وطلباً لإيهام قارئ كلامه بحُسْن الوصف وجمال الترتيب والتقسيم = وأن الرجل قد تعوَّد الكلام ، فصار عنده شهوةً تطلب لَذَّةً ، فلا يغلبها عقله ، وإنما لها عليه الغلبة . وقد قالوا فى مثل ذلك : إن الحجاج بن يوسف نَابَتْهُ فى صديق له مصيبة الموت ، وكان رسولُ عبد الملك بن مروان عنده ، فقال الحجاج : ليت إنساناً يعزِّينى بأبيات . فقال رسول عبدالملك : أقول؟ قال: قل . فقال : « وكلُّ خليل سوف يفارق خليله ، يموت أو يُصْلَبُ ، أو يقع من فوق البيت ، أو يقع البيت فوقه ، أو يقع فى بئر ، أو يكون شيئاً لا نعرفه » . فقال الحجاج : قد ، والله ، سلَّيتنى عن مصيبتى بأعظم منها فى أمير المؤمنين ، إذ وَجَّه مثلك رسولاً = فانظر إلى شهوة الكلام ماتفعل .

ثم يقول الدكتور : « فأما الرواة فيحدثوننا أن المتنبي دفع إلى مدرسة

من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين ، نبدأ فى هذا المكتب تعليمه ، ولا يزيد الرواة على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ص ٤٩ — ٥٠ ، ويقول فى ذيل هذا الكلام (خزانة الأدب ج ١ ص ٣٨٢ طبع القاهرة) ، ثم يعقب فى ص ٥٠ : « ولكن المتأخرين ، والمُحْدَثين منهم خاصة ، يذهبون فى فهم هذا الخبر مذهباً ، أقلُّ مايوصف به أنه لايخلو من مبالغة . فهم يظنون أن هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرستقراطية ممتازة ، وهم بعد ذلك يرسلون لأنفسهم العنان (هكذا هكذا يادكتور طه) فى تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الأرستقراطية ، ويفسرونه تفسيرات مختلفة .

« أما أنا فلست أدرى ، أ كانت المدرسة العلوية هذه ممتازة أرستقراطية حقاً ، أم كانت مدرسة كغيرها من المدارس ، ولكنها تعلم على مذهب الشيعة العلويين . فلفظ « العلويين » فى هذا الخبر عندى ، يوشك أن يكون مرادفاً للفظ الشيعة . وواضحٌ جداً أن المدارس فى مدينة كمدينة الكوفة كانت تختلف باختلاف السكان لهذه المدينة . فللشيعة من هؤلاء السكان مدارسهم ، وللسنيين منهم مدارسهم أيضاً . وجائزأن تسمى مدارس الشيعة مدارس علوية ، كما تسمى مدارس أهل السنة مدارس عباسية .

« وأكبر الظن عندي أيضاً أن الأرستقراطيين الممتازين من الشيعة العلوية ومن أهل السنة ، لم يكونوا يرسلون أبناءهم فى طور الصبا إلى المدارس العامة ، وإنما كانوا يتخذون لهم الأساتذة والمؤدبين . . . إنما كان أوساط الناس وعامتهم هم الذين يرسلون أبناءهم إلى هذه المكاتب .

« ... فاختلاف المتنبي إلى هذه المدرسة العلوية لايدلُّ على امتياز ولا على استثناء ، وإنما يدلُّ على الاتجاه الديني الذى وجه إليه الصبي » ، انتهى كلام الدكتور ص ٥٠ — ٥١ .

* * *

وفى هذا الكلام أعاجيب ! فالدكتور ينقل عن كتاب مطبوع متداول هو خزانة الأدب للبغدادى ، ويحدد الجزء ١ والصفحة ٣٨٢ ويقول : « إن المتنبي دفع إلى مدرسة من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين » . والنص هناك أن المتنبي : « اختَلَفَ إلى كُتَّاب فيه (أولاد أشراف الكوفة) ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً » . وفى هذا النص من كتاب البغدادي سقط أو خطأ لاشك فيه ، فما فى العلم شيء يمكن أن يسمى « دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً » ، وصواب العبارة « فكان يتعلم دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً » ، كما روينا النص بتمامه وصححناه فى هامش ص : ٤١ من كتابنا عن المتنبي . وليس العجب فى أن لايدقق الدكتور طه فى نص مايقرأ ، فهذا شيء ليس فى طبيعته ولا مما يتأتَّى له إن أراده وعمد إليه ، واجتهد فيه وبالغ فى الاجتهاد = ولكن العجب فى أن هذا الذى يقوله الدكتور طه ليس نصًّا حتى يشير عنده إلى كتاب البغدادى ، فإن الدكتور يزعم أن المتنبي « دفع إلى مدرسة من مدارس العلويين أو مكتب من مكاتبهم » ، والبغدادى يروى أنه « اختلف إلى كُتَّاب فيه (أولاد أشراف الكوفة) » ، (فالكُتَّاب) صار فى كلام الدكتور طه مدرسة أو مكتباً (وأشراف الكوفة) ، صار فى كتاب الدكتور هذا (العلويون) ، فلماذا فعل ذلك ؟ فعل الدكتور هذه الفعلة

المستهجنة ، لأنه أراد أن يتأوّل كلمة (العلويين) إلى (الشيعة)، وهو الاسم الذى يجمع (العلويين نسباً) ، ومن يتشيع للعلويين ممن لاينتهى نسبه إلى على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، ولذلك قال : « فلفظ العلويين فى هذا الخبر عندى يوشك أن يكون مرادفاً للفظ الشيعة » ، وليس فى الخبر هذا اللفظ (العلويون) كما نقلناه لك ، بل فيه (أولاد أشراف الكوفة) ، وهى كلمة لايمكن تأويلها ولاتحويلها عن معناها إلى معنى (الشيعة) ، كما أراد الدكتور طه . وخبر البغدادى نصٌّ لايقبل المكابرة ولااللجاج ، فلذلك أزاله الدكتور ورواه بألفاظٍ من عنده تمهيداً للمذهب الذى أراد أن يذهبه . فكيف يرى القارىء تصرُّف الدكتور فى نقل العلم ؟ وهو قد خشى أن ينقل النص ، وتجنب ذكره لما يعلم من فساد رأيه ، وفُسُولة مذهبه ، ولما هو عليه من قبح التهجم ، وسوء الاستنباط .

وإذا قيل إن المتنبى اختلف إلى (كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة)، فمعنى ذلك بغير شك أنه (كتاب فيه أبناء العلويين نسباً من أهل الكوفة)، وإلا فما معنى ورود هذا اللفظ فى الخبر ؟ أوَ لَمْ يكن راوى الخبر ، وهو الأصفهانى المعاصر للمتنبى ، على علم كعلم الدكتور طه بأن للشيعة عامةً مكاتب ، سواء منهم العلويون نسباً أو غيرهم من شيعة أهل البيت ، كما كان لأهل السنة مكاتب ؟ أوَ لم يكن يستطيع الأصفهانى أن يقول إن المتنبى (اختلف إلى كُتّاب للشيعة) ؟ لو أنه أراد هذا المعنى الذى تطلّبه الدكتور طه ، فحرّف ، وبدّل ، وأفسد ، وتهجّم بغير علم ولا بينة ولاتثبت .

* * *

ومسكين هذا الدكتور طه ، أفتدرى لم رَكب هذا المركب ؟ ولم حرَّف وعمد إلى التلبيس والتمويه ابتغاء استمالة الدهماء من قُرّاء كتبه ؟ أتدرى لم تورَّط فى هذا كله ؟ ألا فاعلم أنه أراد أن يخالفنى (أنا) وحدى . فإنى جعلت اختلاف المتنبى إلى (كتَّاب فيه أولاد أشراف الكوفة) موضعَ النظر ، وأخذت أعلِّل ذلك ، وقلت : « فدخول (أحمد بن عيدان السَّقاء ، كما زعم الرواة فى نسبه) ، والذى هو المتنبى ، بين أبناء العلويين (نسباً) فى كُتَّاب لهم ، غريبٌ عجيبٌ ، فيجب هنا أن نفهم من هذا الشاهد أن بين جدة المتنبى وبين العلويين سبباً موصولاً قوياً ، هو الذى شرَح صدورهم وأرضاهم أن يدخلوا بين أبنائهم غلاماً (كان أبوه سقّاء فى بلدهم !!) » ص ٤٢ من كتابنا . ثم قلت : « هذه واحدة من علاقة أبى الطيب وجدته بالعلويين » ، ثم انطلقت أجمع الدلائل من الروايات ومن شعر المتنبى على وُجود هذه الصلة ، لأنتهى إلى القول بأنه كان علويّ النسب . والدكتور طه خالفنا فى أوَّل كتابه ، فجعل المتنبى (لا يعرف أباه ولا أمه) ، وزعم أن (مولده كان شاذاً !!) ، فخشى أن ينتقض عليه قوله إن هو نقل هذا النص وذهب يتكلم فيه ليزيده إيضاحاً وبياناً ، فما وجد محيصًا من أن يطْمِسه ليزيده عمًى وخَفاء ، فترجمه إلى لُغته الضعيفة المستهجنة ، ثم تكلم فيه بعد ذلك على الهوى لا على التثبت ، وعلى التلبيس لا على التوضيح .

ثم أعجب من ذلك أن يقول : « ولكن (المتأخرين والمحدثين منهم خاصة) يذهبون فى فهم هذا الخبر مذهباً أقلّ ما يوصف به أنه لا يخلو من مبالغة ، فهم يظنون أن هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرستقراطية

ممتازة ، وهم بعد ذلك يرسلون لأنفسهم العنان (!!) فى تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الارستقراطية ، ويفسرونه تفسيرات مختلفة » .

(فالمتأخرون والمحدثون) ، فى كلام هذا الرجل ، جميعاً قد تقمصوا فى فرد واحد هو « محمود شاكر » . ويدلك على اضطراب الرجل حين ذكرنى وعرض لى أنه قال بعد ذلك أنهم يذهبون (مذهباً) ، ولم يقل (مذاهب) ، وإلا لكان ذلك المذهب منهم جميعاً حجة على من هو مثل الدكتور طه . ونحن لم نقل إنها كانت (مدرسة أرستقراطية ممتازة) ، بل قلنا إن العلويين نسباً (كانت لهم مكاتب خاصة يتلقى فيها أولادهم مبادئ العلوم) ص : ٤١ = ثم يزعم بعد هذا وذاك وذلك أن هؤلاء (المتأخرين المحدثين) الذين هم (محمود شاكر وَحده) ، يرسلون لأنفسهم العنان!! فى تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الأرستقراطية ، ويفسرونه « تفسيرات مختلفة » . ويشهدُ الله أننا لم نفسره إلا (تفسيراً واحداً) لا ثانى له فى كلامنا الذى قيدناه فى كتابنا .

ومن قبلُ مافعل الدكتور هذه الفعلة فى ص ٢٠ من كتابه حيث زعم أن شيئاً يسمى (الباحثين المعاصرين) قد تكلموا فى نَسَب المتنبى وحاولوا أن يعرفوا حقيقة الأمر فيه ، ثم طفق يُزْرِى بهم . وقد مضى أن بينا فى الكلمة الخامسة : أن هؤلاء (الباحثين المعاصرين) هم جميعاً جملةً واحدةً (محمود شاكر وحده) ، ثم نقضنا هذا اللغو والفضول الذى أتى به ، وقلنا إن علة ذلك الفعل أن هذا الرجل عاجزٌ عن النقد ، ثم هو أبلغ عجزاً حين ينقدنى أنا خاصة . أفرأيت الآن أيها القارىء الكريم كيف يضطرب الرجل وكيف

يختلط رأيُه ، وأين يذهب بفكره حين يعرض لنقدى أو الحديث عن كتابى» .
فتراه لا يكتفى بإضمار اسمى وتجاهله وإغفاله ، حتى يزيد ذلك بأن يجعل
(الباحث الواحد) و (المعاصر الواحد) : باحثين ومعاصرين = وأن يجعلنى
(أنا وحدى) : المتأخرين ، والمحدثين ، جميعاً ؟ أرأيت كيف يُدَلِّس فى
كلامه ؟ إنَّهُ لا يدع هذا الداء الذى يلجئه إلى مثل الذى يُقال فيه : « شرٌّ من
الموت ما يُتَمَنَّى معه الموت » !

وللأسبوع المقبل تتمة القول فى هذا الفصل العجيب .

فرغ الدكتور طه من الكلام عن النص الذى حرفه وبدّله وأفسد معناه ، ابتغاء الرد علىّ فيما ذهبت إليه من دخول المتنبى كتاباً بالكوفة فيه « أولاد أشرافها » من العلويين نسباً . فكان من جراء ذلك أن استظهر بالعلم ، واستعان بالعبقرية ، ولجأ إلى التحقيق الفذ الذى هو فيه نسيج وحده وإمام أهله ، فخلص إلى نتيجة عجيبة لم تكن من قبل فى هذا النص . وتأويلُ ذلك أن الدكتور الجليل زعم — فيما يُسَوِّل له أن يزعم — أن البغدادى صاحبَ خزانة الأدب روى فى الجزء ١ ص ٣٨٢ : « أن المتنبى دُفع إلى مدرسة من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين ، فبدأ فى هذه المدرسة أو هذا المكتب تعليمَه ، ولا يزيد الرواة على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ص ٤٩ — ٥٠ .

وأظن القارئ يعلم أن هذا الباطل كله الذى نسبه الدكتور طه إلى (خزانة الأدب) ليس فيها ، وإنما هو نص محرَّف مبدَّل ليس بينه وبين نص البغدادى فى الخزانة سبب ولا نسب ، كما بينا فى الكلمة السالفة . ويتمخض الدكتور الجليل عن النتيجة العبقرية التى احتفل لها فى ص ٥١ فيقول :

« ولسنا فى حاجة إلى أن نطيل البحث لنعرف ماذا كان يتلقى المتنبى فى هذه المدرسة التى اختلف إليها فى صباه ، فالراجح بل المحقق أنه تعلم فيها الكتابة والقراءة ، وقرأ فيها القرآن كلَّه أو بعضَه ، وتلقى فيها أصول

الدين وفروعه على مذهب الشيعة العلويين (! !) ، وسمع الشعر وروى منه أطرافاً ، وتعلم فيها شيئاً من علوم اللغة والأدب بوجه عام » .

ولست تشك أيها القارئ أن هذه فائدة جليلة ، وعلم ضخم قد استخرجه الدكتور واستنبطه واحتفره من صخرة جافية نابية هي هذا النص : « أن المتنبي دُفع إلى مدرسة من مدارس العلويين »، فأنت تعلم كما علمك الدكتور الأمين الوثيق الرواية المتثبِّت ، أن الرواة « لم يزيدوا على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه »، فأتى هو ففصله ووضَّحه بعد (بَحْثٍ لم يَطُل) ، ثم رجح مافصله ووضحه ، أو حققه على الأصح ، ولكن . . ما يقوله الدكتور طه شيء ، والواقع شيء آخر، فإن نص البغدادى فى خزانة الأدب ج ١ ص ٣٨٢ هو هذا :

« اختلف المتنبي إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً ». وقد قلنا إن فى هذا النص خطأ ، وصوابه: «فكان يتعلم دروس العلوية ، وحذق العربية شعر ولغة وإعراباً ». فهل تجد ، أيها القارئ الكريم ، بعد هذا النص فى كلام الدكتور طه معنى جديداً لم يكن فيه ؟ وكيف تحب أيها القارئ أن تصف الدكتور طه حين يقول لك : « إن الرواة لم يزيدوا على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ؟ وماذا تقول له حين ترى إن الذى أتاك به من التفصيل والتوضيح ، وما استخرجه من الفوائد الجليلة ، هو شيء مكتوب مسطور قد رواه الرواة فى هذا الخبر الذى أسقط الدكتور منه وحرّفه وبدّله ؟

صفه كما تشاء ، وقل ما يبدو لك ، أما أنا فأحبُّ إليّ أن أقول إن الدكتور رجل طيب القلب ، سليم الصدر ، ظريف مسكين ، قد خَدع ، والكريم مخدوع ! وأن شهوة الكلام هي سبب البلاء الذى ابْتُلِيَ به فى هذا المكان وأمثاله ، وهى شىء فى أصل طبيعته ، ومغرُوزِ سَجيته ، وهو قال لك فى مقدمة كتابه ص ٧ : « قل ما تشاء فى هذا الكلام الذى تقرؤه ، قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً ، فأنت محق فى هذا كله ، لأنى مرسل نفسى على سجيتها » = وشهوة الكلام هى أغلب سَجِيّاته عليه ، فما لك بعدها مقال تقوله ، وما هو إلا ما وصفه لك الدكتور .

ثم يقول الدكتور بعقب هذا فى ص ٥٢ : « وقد كان لهذه المدرسة (تأثيرٌ ظاهرٌ) فى عقل هذا الصبى وقلبه ينبئنا به الديوان » = وقد حقق الدكتور طه العبقرى الأوحد الفذُّ أن هذا (التأثير الظاهر) قد ظهر فى ثلاث خصال فى هذا الشعر الذى قاله فى صباه ، فهو يقول :

« الخصلة الأولى : أن الصبى مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة . . . . ، والخصلة الثانية ، أن هذا الشعر ، شعر صبى متشيع للعلويين ، متأثر بآراء الشيعة ، وبآراء الغلاة منهم خاصة ... والخصلة الثالثة : أن هذا الشعر شعرُ صبى لم يكن بعيداً كل البعد عن أمور القرامطة وأخبارهم ... وقد يجوز أن نضيف خصلة رابعة : وهى أن هذا الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً للسخرية ثم الهجاء » .

ولا أدرى ما نصيب القراء ، أو شعور القرّاء ، حين يقرأون هذا الكلام ؟ أيكون نصيبهم الضحك ، أم البكاء ، أم الحزن ، أم غير ذلك ؟ أما أنا فمن طبيعتى حين اقرأ كلام الدكتور طه فى أكثر ما يكتب أن أضحك ماواتانى الضحك وأوسع لى المجلس .

فهذا هو يزعم لك أن هذه (المدرسة العلوية) كان لها (تأثير ظاهر فى عقل هذا الصبى وقلبه ينبئنا به الديوان) ، وأول هذا التأثير الذى كان لهذه المدرسة أن (فن المتنبى فى صباه كان فنا تقليدياً ليست له قيمة خاصة ، ص ٥٢) ، وأن الصبى (مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة) . فهل هذه المدرسة على الخصوص هى التى أثرت فى المتنبى الصغير (تأثيراً ظاهراً) حتى جعلته مقلداً فى الفن الشعرى ؟ أم أن كل متعلم شادٍ مبتدىء مقلد بالضرورة الملجئة إلى التقليد ؟ ثم الخصلة الثالثة ، وهى أن المتنبى لم يكن بعيداً كل البعد عن أمور القرامطة ، هى أيضاً مما يصح أن يكون من التأثير الظاهر الذى كان لهذه المدرسة ؟ فكيف يكون ذلك ياسيدى الدكتور العبقرى ؟ وكيف يصح لك أن تقذف به ، والمدرسة شىء لاصلة بينه وبين أخبار القرامطة وأمورهم ؟ ثم الخصلة الرابعة التى أضافها الدكتور على أثافيه الثلاث ، وهى « أن الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً للسخرية ثم للهجاء » ، فمن أين يأتى تأثير المدرسة فى (طول لسانه واستعداده للسخرية ثم الهجاء) ؟ وهل فيما نزل به الوحى على الدكتور العبقرى أن كل من تعلم فى هذه المدرسة كان طويل اللسان ، مستعداً

للسخرية ، ثم مقلداً فى الفن الشعرى ، ثم على صلة بأخبار القرامطة وأمورهم ؟ !

وإن يكن فى كلام الدكتورطه شيء من الصواب فهو فى الخصلة الثانية حيث قال : «إن هذا الشعر شعرصبي متشيع للعلويين ، متأثر بآراء الشيعة ، وبآراء الغلاة منهم خاصة » ص ٥٢ . ومعنى الصواب هنا على الاتساع والبَحْبَحة ، وتأويل ذلك : أن المتنبي قدتأثر بمذهب الشيعة ، وذلك ضرورة اقتضاها اختلافه إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، كما نص البغدادى ، وأما سائر كلام الدكتور فليس فيه بعد ذلك صواب ، فشعر المتنبي فى صباه ليس فيه هذا الأثر ولا الدليل عليه ، وليس فيه شيء من مذهب الغلاة من الشيعة ، كما سنبين ذلك بعد فى الكلمات المقبلة ، عند تعرض الدكتور فى كتابه للتعلق بهذا الوهم ، فى كثير من أوهامه التى لاتنتهى .

وبعد ، فالدكتور طه يقف فى ص ٥٣ عند المقطوعات الأولى من شعر المتنبي فى صباه ايرى — أراه الله الخيرَ — أنها تصور حقاً كل هذه الخصال التى أحصاها ! وعدَّها عدًّا ، وهى أربع . يقف الدكتور عندقول المتنبي الذى يزعمون أوَّلَ شعرٍ نظمه ، وهو :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتَه فافترقْنا وقَضَى اللهُ بعد ذاكَ اجتماعَا
فافترقنا حَوْلاً ، فلما التقينا كانَ تَسْلِيمُه علىَّ وَداعَا

وقد أراد الدكتور طه أن يبين لقارئ كتابه مقدار العَنَت الذى

تكلفه المتنبي الصبي وحمل نفسه عليه في صناعة هذين البيتين ، فشرح البيتين بما لا غَناء في ذكره ولا فائدة في ص ٥٤ . ثم قال : « وأكبر الظن أن الفكرة التي حملت الصبي على أن ينظم هذين البيتين هي هذه التي توجد في الشطر الأخير من البيت الثاني وهي : « كان تسليمه عليّ وداعاً » . أُعجِب الفتى بهذا المعنى ، فأراد أن ينظمه ، وأن يصل إليه ، فتكلف لذلك بيتاً ونصف بيت » .

ونحن لا نرى بأساً بهذا الكلام على ضعفه وقلة غنائه ، ولو وقف عنده الدكتور طه لكان مستوراً ، ولكان هذا القول شبيهاً بأن نجعله ممن قد سُوِّغ البَصَر بالشعر والفهم له والنقد فيه ، ولكن الدكتور طه لا يُبْقى على نفسه ، ولا يحفظ عليها ما يحفظ عليها الستر ، فيتخبط ويرتطم ، فيقول مبيناً عن الأسباب التي حملته على هذا الرأي . . يقول : « وأنت ترى مظهر التكلف في قوله :

« بأبي من وَدِدْته فافترقنا »

« فكلمة (وددته) هنا نابية قلقة ، مكرهة على الاستقرار في مكانها الذي هي فيه . أراد أن يقول (أحببته) ، فلم يستقم له الوزن ، فالتمس كلمة تؤدي له هذا المعنى وتلائم هذا الوزن ، فلم يجد إلا (وددته) هذه » ص ٥٤ — ٥٥ .

وبهذا الضرب من الكلام كشف الدكتور ما أسبغ عليه الكلام الأول من حجاب ، ودَلّ على الذي هو مطبوع عليه من التخلّف في النقد وسوء الفهم للشعر ، وقلة البصر به وبنقده . وقد تولى الأستاذ الجليل

والكاتب المفكر عباس محمود العقاد ، فى عدد شهر مارس سنة ١٩٣٧ من مجلة الهلال ، تهجينَ هذا الضرب من النقد واستسقاطه ، وأبان عن فساده ، بما أبان عن فساد مذهب الدكتور طه فى نقد الشعر وفهمه ، فقال : « والخلاف بيننا وبين الدكتور فى طريقة النقد هنا جدّ بعيد . فنحن نرى من جهة أن أبا الطيب لو أراد أن يقول « أحببته » بدلاً من « وددته » لاستقام له الوزن مع بعض التجوز الكثير المقبول فى العروض ، ونرى من جهة ثانية أن أبا الطيب كان مستطيعاً أن يستخدم هنا « حَبَبْتُهُ » الثلاثية بدلاً من « أحببته » الرباعية ، كما استخدمها فى قوله وهو شاعر كبير :

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى
وقد كان غدَّاراً فكنْ أنتَ وافياَ

فلا ضرورة فى الوزن ولا استكراه . وفضلاً عن هذا لانظن كثيرين يحسبون مع الدكتور أن « وددته » فى موضعها من البيتين لاتعبر عن معناها الصحيح التى لاتعبر عنه كلمة غيرها . . . فالمودة هى ذلك الحب الرقيق الذى فيه حُنُوٌّ وشوق ، وليس فيه عنف ولا اعتلاج ، وليست فى العربية كلمة هى أصلح لهذا المعنى من « وددته » التى اختارها الشاعر ، وليجرب الدكتور طه أن يغيّرها فى كلام منثور ، فسيعلم أن هذه الكلمة فى نظم المتنبى الصبى هى أشبه الكلام بنظم المتنبى الكبير .

« ومن المحقق أن «المودة» ومشتقاتها ليست من الكلمات التى يلجأ إليها شاعرنا اضطراراً ، أو لعجز فى الوزن والصياغة ، فهى مألوفة فى قصائده

العديدة ، وتكاد تكون لازمةً له فى التعبير عن الحب بشتى معانيه ، ونذكر أمثلة على ذلك منها قوله :

ما الخِلُّ إلا مَنْ أوَدُّ بقلبه وأرى بِطَرْفٍ لا يرى بسوائه

وقوله :

وكلُّ وِدَادٍ لا يدُومُ عَلَى الأذَى دَوامَ وِدَادِى للحُسين ضَعِيفُ »

ثم سرد الأستاذ العقاد بعد ذلك كثيراً من شعر المتنبى الذى وردت فيه هذه الكلمة ومشتقاتها ، وعقب على ذلك بقوله : « ومثل هذا التكرار لهذه الكلمة جدير بالتسجيل ، لأنه ذو دلالة نفسية ، فوق دلالته الصناعية أو اللغوية ، لأنه يدل على افتقار الشاعر طول حياته إلى الود والأوِدَّاء ، حتى قنع بالتزييف والطلاء ، كما قال :

كَفَى بِكَ دَاءً أن تَرَى الموتَ شافياً
وحَسْبُ المَنَايَا أن يكُنَّ أمانِيَا
تمنَّيتَهـــا ، لما تمنَّيتَ أن تَرَى
صَدِيقاً فأعْيَى ، أو عدوًّا مُدَاجِياً

وهى ظاهرة لا نظير لها فى عامة الشعراء » ، انتهى كلام الأستاذ العقاد ، وليس لنا بعده شىء نقوله إلا كان مما يسوء الدكتور طه ولا يُبْقِى عليه ، إذ لم يُبْقِ هو على نفسه .

* * *

ثم قال الدكتور بعد الذى نقلناه آنفا : « ثم انظر إلى الشطر الثانى من هذا البيت :

بأبى من وَدِدْتُه فافترقنا وقَضَى اللهُ بعدَ ذَاكَ اجتماعَا

« فتراه فى نفسه حسناً مستقيماً ، ولكنه مع الشطر الأول قلقٌ ، يظهر عليه التكلف الشديد ، لا لشىء فيما أظن ، إلا لأن الشاعر الصبى قد أُعْجِل ولم يملك ماينبغى له من الأناة ، ولم يتمّ معناه الذى ضمنه الشطر الأول ، وإنما وثب منه وثُوبًا إلى هذا المعنى الثانى ، لأنه عَجِل يريد أن يصل إلى الشطر الذى ألقى إليه ، والذى حمله على نظم البيتين » ، ويريد الدكتور قول المتنبى « كان تسليمه علىَّ وداعا » .

وأنت ياسيدى الدكتور الجليل رجل عبقرى ، شاعرُ الطبيعة ! فنان النفس ! ملهم الحس ! فهلا خبَّرت قارىء كلامك ، ماهو تمام معنى الشطر الأول ؟ فإنك تزعم أن المتنبى « لم يتم معناه ، وإنما وثب وثوباً إلى المعنى الثانى » — الذى هو « وقضى الله بعد ذاك اجتماعا » . وهذه القضية التى تريد قارىء كلامك أن يسلم لك بها لاتصحُّ عند أحد ، حتى تقرر ماتسميه (تمام معنى الشطر الأول) ، فبذلك يُعْرَف أن المتنبى لم يصبر على إتمام المعنى ، فقلق وتحير واستبدَّت به شهوة الكلام ، كما تستبد ببعض مَنْ خلق الله من خلقه ، (فوثب وثوباً) إلى المعنى الثانى ، فكان الشطر الثانى قلقاً مع الشطر الأول لمكان هذه الطفرة ، وموضع هذه الوثبة . أمَّا عندنا وعند سائر من رزقه الله الفهم وحسن البصر بالكلام العربى ، فليس فى الشطرين قلق ، وإنما فيهما خُسولة المعنى وضعفه وقلّته .

وإذا أردنا بيان فساد هذين البيتين قلنا فيهما قولاً على مذهبٍ غير هذا المذهب الضعيف الذى اختاره الدكتور طه وانجذب إليه بطبيعة ضعفه فى فهم الشعر ، ولكن ليس هذا موضع ذلك ، لأننا بسبيل نقد كلام الدكتور وإظهار فساده ، والكشف عن حيله التى يتعالم بها حين يكتب فى مثل ذلك من الأدب .

والدكتور طه هو أبداً الدكتور طه حين ينقد الشعر ، فهو لا يملك إلا أن يقول : (انظر وتأمل ، ولا تنس هذا ، وآعرف ذاك) وما إلى ذلك مما ليس فيه تفصيل ولا بيان ، فإذا أراد التفصيل والبيان ، وعمد إلى الدلالة على موضع النقد ، اختلط واضطرب ووقع أوله فى آخره ، وأعلاه فى أدناه ، ولم يأت إلا بمثل الذى يقال فيه : « اختلَطَ المَرْعِيُّ بالهَمَل »! وإذ شئت أن تستيقن هذا فاقرأ تتمة هذا الكلام فى ص ٥٥ إذ يقول : « فانظر إلى قوله: « فافترقنا حولاً » بعد قوله : « وقضى الله بعد ذاك اجتماعا » ، وانظر بعد ذلك إلى البيتين جميعاً ، فستظهر لك الصنعة والمحاولة ظهوراً لا يدع سبيلاً إلى الشك فى أن الصبى قد أنفق جهداً ثقيلاً ووقتاً طويلاً ، حتى استخرج من نفسه هذين البيتين »، انتهى. وهو كلام كما ترى :«أَيْنَما تُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ » ،وليس فيه إلا التظاهر والتكثير بالكلام الذى لا ضابط له ولا حدّ (كالصنعة ، والمحاولة وإنفاق الجهد الثقيل ، والوقت الطويل) ، وإنما هو ياسيدى ثرثرة ولَغْوٌ وغُثَاء كما ترى . [المَرْعِيُّ : من الإبل الذى له راع ، والهَمَل : الذى لا راعى له].

* * *

ثم يقول الدكتور الوقّاف على « هذه الأبيات الثلاثة الأخرى التى قالها صبينا فى حداثته ... كما ينبئنا الديوان ، وكما تنبئنا هى أيضاً » ، ص ٥٦ :

أَبْلَى الهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِى
وفرَّقَ الهَجْرُ بَيْنَ الجَفْنِ والوَسَنِ
رُوحٌ تَرَدَّدُ فِى مِثْلِ الخِلاَلِ ، إذَا
أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ
كَفَى بِجِسْمِى نُحُولاً أَنَّنِى رَجُلٌ
لَوْلاَ مُخَاطَبَتِى إِيَّاكَ لم تَرَنِى

« فواضح جداً أن بيت المقطوعة هو البيت الأخير ، وأن الفكرة التى يريد الصبى تصويرها هى الإغراق فى وصف النحول » ، ص٥٧ ، وفى ص٥٦ – ٥٧ : « وكان حظ هذا البيت الأخير كحظ ذلك الشطر الأخير من البيتين السابقين ، حفظه الناس وأحبُّوه ، وتمثَّلوا به ، لأنه وحى الطبيعة البرىء ، وأهملوا ماقبله ، لأنه متكلف مصنوع » ، انتهى .

ولو وقف الدكتور عند هذا القول لوفَّر على نفسه حسن الظن به ، ولأبقى على رضى القارىء عنه ، ولاجتنب أن ينصِبَ فكره وعقله غَرَضاً للرُّماة ممن يحسنون الفهم . ولكن الدكتور ليس يفعل ذلك لأنه مسلَّط على نفسه ، فعاد مرة أخرى للنقد ، ولتعليل ما أحسَّ به من التكلُّف البيِّن فى هذا الشعر ، فأخذ يتلمس العِلل ويتحسَّسها فى حروف الشعر ، فلم يأت بشىء بل قال : « انظر كيف تكلف الوصول إلى هذا البيت الأخير :

« أَبْلَى الهوَى ،أسفاً ، يَوْمَ النَّوَى بَدَنِى »

فأسفاً هنا ، كلمة لم تأت إلا لتقيم الوزن ، ونبوُّها عن موضعها أظهر من أن يُدَلَّ عليه » .

وأيضاً ، يعود الأستاذ العقاد إلى ضغط الدكتور طه وحَزْقِهِ بأخطائه فى فهم الشعر أو البصر بمعانيه ، وحدود ألفاظه ، فيقول فى عدد الهلال المذكور آنفاً — بعد أن نقل كلام هذا الدكتور : « وعندنا أن الطريقة المثلى لتحقيق الكلام الذى تجىءُ به ضرورة الوزن ، أن نحذف الكلمة ، وننثر البيت ، وننظر بعد ذلك إلى قوة المعنى وقوة الأثر ، فإن بقيت للمعنى قوته ، وبقى له أثره ، فالكلمة المحذوفة حشو لاموجب له غير إقامة العروض ، فهل «أسفاً» فى الشطرة التى عابها الدكتور من الكلمات التى يصدق عليها هذا القياس ؟ لا نظن ، بل هى كلمة تتعلق بها كل قوة البيت ، كما تتعلق بها نغمته الموسيقية ودلالته فى الشعور بسبب البلى يوم النوى ، وهو الأسف والحسرة » ، انتهى كلام العقاد ، وهو كلام جيد يقصِّر عن مثله الدكتور طه تقصيراً كبيراً .

ثم يقول الدكتور : « ولكننا مع ذلك نلاحظ شيئاً من الموسيقى قد (وُفِّق) الشاعر إليه بين (الهوى والنوى) وهو يدل على شىء من (الرقى فى صناعة النظم) ، وعلى أن الصبى قد (استطاع أن يتصرف) شيئاً ما فى الألفاظ » .

* * *

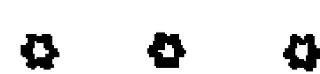
وإذا أردت أن تعرف فساد هذا الكلام كل المعرفة ، فلا تكن كالدكتور طه يجعل عامية هذا الزمن الذى نعيش فيه ، وما هى فيه من البعد

عن ألفاظ العربية الفصيحة ، لمكان النشأة الأولى فى بُيوتنا بين الجاهلات من عجائز الخدم وما فوقهن — هى الأصلَ الذى تقيم عليه كلامك وفهمك ونقدك . بل اعلم أن هذا (الصبى) قد نشأ فى الكوفة ، أى فى بلد عربى ، وهذه النشأة كانت فى القرن الثالث من الهجرة أو أوائل القرن الرابع ، والعربية لا تزال بَعْدُ فى هذه البلاد على حالة من الخير ، لم يصبها إلا الدخيل من الفارسية وغيرها ، وبعض مافشا من اللحن والخطأ . ولم تكن الكلمات العربية قد أهملت بَعْدُ كما أهملت فى هذا العصر ، فكان مثل قولك : (النوى والهوى) من الألفاظ الدائرة على ألسنة القوم ، يتلقنها الولد الصغير من لسان أمه وأبيه وجاريته ودادته ، وقد كان الأمهات والخدم والجوارى لذلك العهد يحفظن الشعر ويتمثلن به ، وإن لم يقمنه على الأصل . وكان الشعر العامى وهو أشبه بهن وأعلق بنفوسهن — مما يكثر فيه هذا الضرب من الألفاظ ، وهذا الصنف من المقابلة بين اللفظ وزنته أوشبيهه ، وكنَّ يتغنين بكثير من ذلك . فالصبى بنشأته يتلقن هذا الكلام ، ويعرفه ويستعمله فى حديثه ، فظهوره فى شعر المتنبى الصبى ليس يدل على شىء من الموسيقى (وُفِّق) إليه الشاعر بين (الهوى والنوى) ، أو على شىء من (الرقى فى صناعة النظم) » وإنما يدل — إذا أراد الدكتور أن يذهب هذا المذهب من الكلام — على الاستعداد الطبيعى فى هذا الصبى لنظم الشعر ، ومعاناة القريض . وأنت بعدُ ترَى مقدار النقص فى مثل قول الدكتور أنه يدل أيضاً — (على أن الصبى قد استطاع أن يتصرف شيئاً ما فى الألفاظ) ، فما يكون ذلك إلا فى

مثل زماننا هذا ، إذ ينشأ ناشئنا فى العامية الدانية ، وإنما يحفظ اللغة حين يتعلم ، ثم يكون له أن يتصرف فيها ، فإن سوّغ القدرة استطاع ، وإلاّ لم يستطع هذا التصرف .

ولعل الدكتور يعرف أن فيمن عاصر المتنبى من الشعراء ، جماعةً منهم كانوا لايحسنون القراءة ولا الكتابة ، وإنما كانوا أصحاب صناعة أو أهل خدمة ، لم يأخذوا الشعر عن أحد من أهل العلم به ، ومع ذلك قدروَى الرواة لهم شعراً حسناً لابأس به ، وكانت فيه موسيقا ، وكان فيه رقى فى النظم ، وكان فيه تصرف فى الألفاظ ! !

وللسبت المقبل طرفٌ من القول فى نقد هذا الفصل



يقول الدكتور طـه فى كتابه ص ٥٩ : « قيل للمتنبى وهو فى المكتب : ما أحسن هذه الوفرة ! فقال :

لا تَحْسُنُ الوفْرَة حَتَّى تُرَى   مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْن يَوْمَ القِتَالْ
عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً   يُعِلُّهَا منْ كُلِّ وَافِى السَّبَالْ[١]

ثم يزعم أنه لم يرو هذين البيتين إلا « لما يصوران من نزاع هذا الصبى الحدَث إلى الحرب والقتال ورؤية الدم المسفوك ، وما ينمّان به من حفيظة تضطرب فى نفس الصبى ، وضغينة تضطرم فى قلبه الغض ، وتطلق لسانه بهذا الكلام الملتهب » . وهذا كلام لا بأس به ، على أنه مختصر من كلامنا عن هذين البيتين فى (ص : ٥٧ — ٦٠ من هذه الطبعة) من كتابنا عن المتنبى ، ولم يكن للدكتور من فضل إلا تبديل الألفاظ . ولا نطيل بذكر كلامنا فى هذا المكان طلباً للمقارنة ، ولكنى أدلّ القارىء على أنى حين تكلمت عن

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، وسال حتى بلغ آخر شحمة الأذنين . والضفر خصلة الشعر المضفورة كالغديرة ، وقوله : « معتقل صعدة » أى حامل رمحه إلى الحرب . ويعلها : يسقيها من الدم مرة بعد مرة . والوافى السبال : الطويل اللحية .

هذين البيتين ، حاولت أن أستخرج منهما الأصول التى بُنِيَتْ عليها نفس أبى الطيب ، وحللت معانيهما فى ستة أصول، لعلها هى أظهر ما استوت عليه نفسه حتى بلغ الغاية فى أعقاب عمره . وكلام الدكتور طه الذى نصفه بقولنا (لا بأس به) ، هو أبداً من (عند غيره) ، حتى ولو كان هذا الكلام مما يصح أن يقع عليه المبتدئون من طلاب الأدب ، فإذا تجاوزه الدكتور إلى ما يأتى به من (عند نفسه) ، تهالك وتهدَّل ، وجاء كلامه متخلِّعاً متحرِّفاً لا يدلُّ إلا على القدرة العبقرية فى مادة الإطالة والتهويل والثرثرة .

ودليل ذلك ما يقوله بعَقِب ما نقلناه لك . « ولك فى فهم هذين البيتين وجهان فيما يظهر : فهل كانت الوفرة التى استُحْسِنَتْ له وَفْرَته هو ؟ وإذن فهو غير راضٍ عن نفسه ، ولا مطمئن إلى حاله ، وإنما هو متحرِّق إلى الشباب الذى يمنحه القوة والحرية ، وإلى الظروف التى تتيح له خوض غمار الحرب ، وعَلٍّ صعدته من دماء الأعداء = أو هل كانت الوَفرة وفرةَ تِرْبه من أترابه فى المكتب ؟ فالصبى إذن يهجو ، ولا يرضى عن هؤلاء الصبية المنعمين الذين يُعْنَون بوفراتهم ، وتنسيق شعورهم أكثر مما يعنون بحياة الخشونة » .

والوجه الثانى ، مع الأسف ، سخيف جداً ، وفاسد جداً ، وهو إلزامٌ للماضين من العرب ، بما يألفه بعض العرب المحدثين . فعادة العرب فى الجاهلية والإسلام توفير الشَّعر ، والعناية به، فى الرجال والنساء والصبيان جميعاً ! ؟

ومع ذلك فهذان الوجهان تقسيمٌ باطلٌ لا معنى له ، وثرثرة فارغة

لا خير فيها ، هذا على أن المعنى فيهما واحد لا يختلف ، وما يدل لأن عليه لا يتناقض ولا يتباعد . فعلام ذكر الوجهين إذن ، ما دام نص الكلام يدلُّ على أن المقصود هى وفرة المتنبى نفسُها لا غيرها ؟ وعَقْل العقلاء يدل أيضاً على أنهم يعنون تلك لا غيرها ، والعادة المعروفة لأهل ذلك الزمان هى الإبقاء على الوفرة المسترسلة فى الصغار والكبار ، وعادة أهل الكوفة والبلاد التى يكثر فيها (العلويُّون) على الخصوص هى ما ذكرنا ؟

ثم لو أن الدكتور طه كان قد تتبع خبر المتنبى لعرف أن مُعاذاً اللاذقى قال فى حديثه : « قدم أبو الطيب اللاذقية فى سنة نيف وعشرين وثلثمئة وهو لا عِذَار له ، (وله وَفْرَة إلى شحمتى أذنيه) ، فأكرمته وعظَّمته لما رأيتُ من فصاحته وحُسْن سَمْته » .

وهذا دليل على أن الوفرة المقصودة هى وفرة المتنبى نفسه . وقد أردنا بهذه الكلمة أن ندلّك ، أيها القارئ ، على طبيعة الدكتور طه التى لا تفارقه أبداً ، لتجعلها منك على ذُكْرٍ أنَّى قرأت كلامه ، ولو شئنا أن نتعقب فعلات الدكتور فى كلِّ وجه من كتابه ، وعند كل سطر ، وبين كل لفظٍ لفعلنا ، ولأنشأنا كتباً عدة فى بيان المذهب العقلى الذى يتمرَّغ فيه كلامه !!

ومع أن الفائدة منه محققة لقراء كتب الدكتور ، فإن الوقت لا يمدنا بمؤونته من الساعات ، وعندنا من العمل الذى يشغلنا بالاستفادة من العلم ما يقطعنا دون ذلك . فاعلم أننا سنتجاوز لك عن أشياء من هذا الكتاب ،

لا للصواب الذى فيها ، بل للبلاء الذى نحن فيه مما يؤذِى ويُمِضّ ويقلق .

* * *

وقد شاء الدكتور طه ، ولا رَدّ لمشيئته ، أن يجعل البيتين السالفين أول حجر يلقى به فى البناء المخترع الذى أراد بناءه ، من أن المتنبى كان من القرامطة ، فقال فى ص ٦٠ : « ومهما يكن من شىء ، ففى هذين البيتين ريح البيئة الدامية التى كان يعيش فيها الصِّبية من أتراب المتنبى ، بين تلك الغارات التى كانت تنتهى بالقرامطة إلى الكوفة وسَوادها من حين إلى حين » .

ولو تدبّر القارىء لعلم أن الدكتور لم يفعل ذلك إلا لغرض فى نفسه قدّم له ، وأراد هنا أن يدلّ عليه ، ثم يشاء بعدُ أن ينسحب عليه فى مواضع من كتابه .

وهذا عمل غير صـالح ، وإلا فلم خَصّ (البيئة الدامية) بالقرامطة ؟ والكوفة وغير الكوفة من بلاد العربية كانت ميداناً ومَجالاً ووَغًى دائرة ، ونزاعاً مستمراً قائماً بين الطوائف كلها لذلك العهد ، ولم يكن القرامطة وحدهم هم (حملة السلاح) .

وقد أشرنا إلى ذلك فى كتابنا ص : ٦٧ ، ٦٨ وهو الفصل الذى فيه هذان البيتان فقلنا :

« وكانت الكوفة ، التى نشأ بها أبو الطيب وشبّ وترعرع وتفتّى ،

ذلك العهد ، بلداً من بلاد الإسلام قد رمتها القرامطة بجيوشها مرّات ، وفعلت بأهلها الأفاعيل ، وكانت الدولة العربية فى شغل عن الكوفة بانقسامها شيعاً يأكل بعضها بعضاً ، وظهرت شوكة الأعاجم ، وكانوا أصحاب حيلة ودهاء ، فأوقعوا بين المسلمين ، وبين عرب البادية ، حتى صارت الدولة العربية المترامية الأطراف فى ثورة دائمة لا تفتر ، ولا تنقطع الحروب فى ناحية إلا اتقدت نيرانها فى ناحية أخرى .

«ولا شك أن إحساس أبى الطيب قد ألمّ بذلك كله وفصّله ونقده ، وعرف الداء الذى كمن فى بدن العربية ، واستلّ قوتها وقتل روحها ، فازداد إلى ثورته ثورة ، وإلى حقده حقداً » .

فاختصاص القرامطة وحدهم بذلك لا مسوّغ له كما ترى ، وهذا ما قلناه فى ص : ٧١ وص ٧٢ ، قلنا : « كان الذكاء والثورة والنظر والتجربة والاختلاط بالناس واختبار أخلاقهم وتعجّبه من فساد أقيستهم ، وبُطلان مذاهبهم ، ثم اعتماده فى نفسه على الثقة بها ، واعتداده بقدرته ، واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم أو السلطان أو القضاء إلا بالسوء والقبيح ، ثم طبيعته الشاعرة المرهفة التى تلتقط صور الأشياء ، ثم تنتزع منهما الأخيلة الشعرية = كل ذلك أسرع (بالفتى) إلى ضرب من القول الساخر الذى لم تر العربية مثله فى شعر شاعر .

« إلاّ أن سخريته التى انفرد بها لم تكن بعدُ فى كِبَره ، إلا ضرباً من الحكمة

والعبرة لا يفطن لها إلا أفذاذ العقول ، ثم يدلُّون عليها بالإيجاز العجيب ، فلا يبالغون فى تصويرها ، بل يضعون لها (اللفظ) الذى يخرجها مخرج الحكمة ، ويزيدها رَوْعةً فى السَّخَر .

«وقد حفظ لنا المتنبى ضرباً من سُخريته فى (صغره) تدلُّ على ما استحكم فى شعره بعد ، وصار فى شاعريته طبيعة متأصلة مستحكمة .

مَرَّ المتنبى برجلين قد قتلا جُرَذاً ، وأبرزاه يُعَجِّبان الناس من كبره ، فقـال :

لقد أصبح الجُرَذُ المُسْتَغِيرُ ... أَسيرَ المنـايا صَريعَ العَطَبْ
رَمَاهُ الـكِنَانِيُّ والعَـامِرِىُّ ... وتَلَّاهُ لِلوَجْهِ فِعْلَ العَرَبْ
كِلاَ الرجُلين اتَّـلَى قَتْلَهُ .. ... فأيُّـكُما غَلَّ حُرَّ السَّلَبْ ؟
وأيُّـكُمَا كانَ مِنْ خلفِهِ ؟ ... فإنَّ بِهِ عَضَّــةً فِى الذَّنَبْ

« قتل الرجلان الـكنانىُّ والعامرىُّ هذا الفأر الـكبير ، فأخرجاه ليعجِّبا الناس من كِبَره ، وهذا سُخْف منهما إذ شغلا أنفسهما بعبَثٍ لا معنى لمثله عند المتنبى الذى يريد فى نفسه قَتْلَ الملوك ، فمن هنا قال : (الجُرَذُ المُسْتَغِيرُ) الذى أغار عليهما كما تغير الجيوش ! ثم لما فرغ من جَعْلِه كذلك ذكر أن الفأر وقع فى (أسر المنايا) كما يقع العدوّ فى الأسر حين رماه الـكنانى والعامرى بالسهم كما يرمى العدوّ . وبذلك يسخر من رجلين يجمعان قلوبهما على قتلٍ ، ثم لا يكون المقتول إلا فأراً !! ثم لا يكتفى صاحبنا بهـذا

بل يقول : إنهما أخذا يصارعانه ، كما يصارع العربيُّ خصمه ، مستعيناً عليه بالقوة حتى يكبّه على وجهه مقتولاً ، وذلك قوله : (وتَلَّاهُ للوجه فعل العرب) . ثم يقول بعد : كلا كما تولَّى قتله — وذلك لكبر الفأر وشدته ! ! — ولكن مَنْ منكما الذى سرق حُرَّ ثيابه وجَيِّد سلاحه ؟ كما يسرق السارق فى الحرب أسلاب القتلى ويخفيها عن أصحابه من المقاتلة . ثم يعود فيقول : إنكما كنتما تصارعانه بعد أن رميتماه بسهميكما ؛ وكان أحدكما من خلفه ، فمن منكما الذى كان من ورائه ليحتال على صَرْعه ؟ وقد عَرَفْتُ حيلته فى صراع هذا الفأر العظيم ! ! فإنَّه عضَّه فى ذنبه ، وهذه العضة بينة ثَمَّ = وأنت إذا عدت فقرأت الأبيات على ما تكلَّفنا شرحَهُ ، رأيت بلاغة الرجل فى السخرية ، ودقَّته فى اختيار الألفاظ وإيجاز الصورة التى يريد أن يتفكَّه لك بها » ، إلى آخر هذا الفصل الذى أطلنا بنقله .

فجاء الدكتور طه أيضاً وذكر هذه الأبيات فى ص ٦٠ ثم قال :

« فظاهرٌ أن هذا الشعر ليس شعر صبى يُقَرْزِم ،(١) وإنما هو شعر شاعر قد راض نفسه على نظم الكلام ، وتعلم كيف يصرِّف هذا الكلام كما يحبّ من وجوه القول ، بل تجاوز رياضة النفس على إجادة النظم ، إلى التماس الهجاء المحض والسخرية اللَّاذعة ، وإلى ترتيب المعنى وتأليفه وحمايته من الاختلاط والاضطراب » .

---

(١) القرزام (بكسر القاف وسكون الراء) الشاعر الدون . يقال : « هو يقرزم الشعر » ، أى يقول شعراً دوناً رديئاً .

وهذه العبارة كما ترى ، هى جزء نفخ فيه الدكتور من كلامنا ، ثم طفق بعد ذلك يشرح هذه الأبيات بما لا يخرج عن المعنى الذى قلنا ، وقطع فى ذلك من ص ٦١ — ٦٢ . وأنا على يقين من أن الدكتور لم يتعب نفسه فى هذا الكلام إلا لِمَا وجد فى كلامنا عن سخرية المتنبى .

وقد كنت أوّل من وقف عند هذه الأبيات ، وبيّن أنها سخرية .

والحقيقة أنه بعد هذه الأبيات لم يوفَّق فى الكتاب كله إلى الكشف عن موضع واحدٍ من سخرية المتنبى ، التى قال عنها فى ص ٥٣ : « وخصلة رابعة : وهى أن هذا الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حَسَناً (للسخرية) ثم الهجاء » . فالدكتور على عادته يأخذ أصل الرأى من غيره ، ثم ينساه نسياناً تاماً ، ولا يستطيع تطبيقه على شىء مما يقع تحت يده ، إلا أن يجد تحت يده أيضاً شيئاً يأخذه يكون بسبيلٍ من هذا ! !



ثم لا يكاد الدكتور ينتهى من الكلام عن سخرية المتنبى فى ص ٦٤ ، حتى يقفز (القفزة الأولمبية) المشهورة ، فيقول فى إثر ذلك : « قال الرواة : وقد خرج المتنبى من الكوفة مع أبيه إلى البادية فأقام فيها حيناً ، ثم عاد منها وقد نما جسمه وعقله ، وفَصُح لسانه ، وأصبح فتى يملأ العين والأذن » . وهذا الذى (ألصقه) الدكتور طه بالرواة ليس يصحُّ على عِلاَّته ، وهو قد جعل خروج المتنبى إلى (البادية) دون أن يعيِّن أيَّةَ بادية ، لحاجةٍ فى نفسه .

والحقيقة التي رواها الرواة : « أن المتنبي حين خرج من الكوفة صَعَّد إلى بادية السماوة في مشارف الشام » ، وهذه هي إحدى الروايات = والرواية الثانية « أنه سافر مع أبيه إلى الشام فلم يزل ينتقل من حاضرة إلى بادية » = والرواية الأخرى : « أنه خرج إلى البادية فعاد عربياً قُحًّا » ، وظاهر أن المراد بالبادية في هذا النص الأخير بادية الشام ، لأن الروايتين السالفتين تدلاّن على ذلك ، ويؤيده قول الواحدي في أول شرح ديوانه : « وُلد أبو الطيب بالكوفة ... ونشأ بالشام والبادية » .

هذا على أن الدكتور طه قال إن المتنبي خرج مع (أبيه) ، ولا ذكر في الروايات (لأبيه) إلا رواية من قال : « إنه خرج مع أبيه إلى الشام » ، فكيف يُحرِّف الدكتور النص ، ويأخذ بعضاً ويدَع بعضاً ؟ أَوَ تدرى لماذا فعل الدكتور طه هذه الفعلة المستنكرة ؟ فعلها لأنه يريد أن يوقع نفسه في إشكال،[1] وأن يحلّ هـــذا الإشكال على رأى مبيَّت ، فيقول لك في ص ٦٤ : « إن من العسير أن نقطع بالسبب أو الأسباب التي حملت الصبي على أن يرتحل إلى البادية ... فهل ارتحل إليها كما كان يرتحل إليها المتعلمون التماساً للصحة ورياضة اللسان ؟ أم ارتحل إليها التماساً لهذه البيئة (القرمطية) التي كانت متصلة أشد الاتصال بحياة الشعب الكوفي في ذلك الوقت ؟ » ... ثم يقول في ص ٦٥ : « ليس من اليسير أن نقطع بشيء من

---

(١) تبين بعد كتابة هذه المقالة أن الدكتور طه ، أخذ هذا الرأى على عادته ، من الأعجمي المستشرق ، بلا شير ، ولذلك فالدكتور معذور في هذه الأخطاء ، التي وقع فيها !

هذا ، ولكن الذى نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون (تأمل هذا !) هو أن رحلة المتنبى إلى البادية قد نفعته من الناحيتين جميعاً ، فقد ربا جسمه ونما عقله وفَصُح لسانه ، وتعلَّم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية . وشعر المتنبى فى صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، يبيّن لنا لنا هذا أوضح تبيين وأجلاه » . وظاهر من هذين الكلامين أنه فى أولهما قال إنه من (العسير) أن يقطع بأحد السببين ، ولكنه فى آخرها كان من (اليسير) عليه أن يقطع بنتيجة السببين جميعاً ! وهذا كلام ضعيف هالك ، فإذا قطع الدكتور بهذه النتائج، فالأسباب أيضاً فى حكم المقطوع بها بغير شك .

والدكتور يقطع بأن المتنبى تعلم أصول القرامطة وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معاً ، قبل إيراد الحجة أو شبهها على هذا الذى قطع به !! وليس ذلك فحسب ، بل إنه كما قلنا تعمد أن يذكر (البادية) بغير تعريف ليقول بهذا القول . وهذا فعلٌ غير حميد ، إذ كان يجب عليه أن يعين البادية التى رحل إليها المتنبى ، لأنه إذا صحَّ أن الرحلة كانت إلى بادية السماوة (وهذا صحيح ولا شك) ، فمن التهجم أن نقول إنه تعلم أصول القرامطة هناك ، فلم تكن بادية الشام موطناً من مواطن الدعوة القرمطية ، بل كانت من أعداء القرامطة ، وكثرت عليها غاراتهم ، واشتدت فيها حروبهم . وأما موطن الدعوة القرمطية فكان فى جنوبى الكوفة إلى البحرين من أواخر القرن الثالث ، إلى أن خفَتت وذهبت ريحها . فشأن هذه البادية التى رحل إليها وكثرت عليها غارات القرامطة ، شأنُ الكوفة التى رحل منها وكانت عليها غارةُ القرامطة . وإذا كان وجوده فى الكوفة لاينتج القول بأنه

كان قرمطياً ، كما ذهب الدكتور إليه فيما بعد ، فكذلك رحلته فى بادية الشام لا تأتى بشىء يعضد هذا القول .

* * *

وكما رأيت قبلُ أن الدكتور أقحم القرمطية فى الأبيات المذكورة فى أول هذا الكلام ، تراه يعود فى ص ٦٥ فينقل هذه الأبيات ويجعلها : « كافية كل الكفاية ! ! (تعجب) لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من (البادية القرمطية) وهو قَرْمَطِىُّ الرأى ، متحفز ليكون قرمطى السيرة أيضاً » . فانظر أيها القارىء كيف يفعل هذا الدكتور : ففى المرة الأولى قال (البادية) بغير تعريف وعلى غير تحقيق ، ثم عاد بعد صفحة واحدة يقول (البادية القرمطية) معرّفة موصوفة ، فهل يستطيع هذا الدكتور أن يحقق ماهذه (البادية القرمطية) ، وأين تقع ؟ وأين كان مكانها من الدنيا ؟ وكيف يجمع بين الروايات ويعدّل بينها ، ويأخذ منها مايصح ؟

وانظر الآن إلى هذه (القرمطية) التى يزعمها فى هذه الأبيات :

إِلَى أَىِّ حِينٍ أَنْتَ فِى زِىِّ مُحْرِمٍ
وَحَتَّى مَتَى فِى شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمِ ؟
وإِلاَّ تَمُتْ تَحْتَ السُّيوفِ مُكَرَّماً
تَمُتْ وتُقَاسِ الذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ
فَثِبْ واثقاً باللهِ وَثْبَةَ مَاجِدٍ
يَرَى الموتَ فى الهيجَا جَنَى النَّحْلِ فى الفَمِ

يقول الدكتور : « فانظر إلى هذا التحرُّق الذى يظهره الغلام إلى تغيير حاله ... » ، ثم يقول فى ٦٧ : « ليس عندى من شك فى أن هذه الأبيات تصوِّر ما عاد به من البادية بعد أن عاش فى بيئتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد (يعنى القرمطية) » .

وقد زاد فى هذه المرة فى صفة البادية التى لا يعرفها : أنها (مقتنعة بالمذهب الجديد) ! ؟

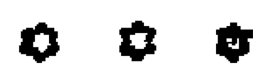
وهذه من عجائب الدكتور الكثيرة ، وهل يرى أحدٌ من الناس فى هذه الأبيات دليلاً على (قرمطته) ؟ ليكن القرامطة من دعاة الخروج على الملوك والسلاطين ، أفكُلٌّ خارجٍ على الملوك وعلى الدولة هو قرمطىّ بالضرورة ؟

لقد كان من الأصول المقررة عند العلويين الخروج على الخلفاء ، أفكان العلويون أيضاً قرامطة ؟ أوَ كُلُّ من تكلم بمثل هذه الروح الثائرة ، فهى دليل على أنه (قرمطىّ) ؟ اسمح لى أن أقول لك ياسيدى الدكتور أن هذه الأوهام التى تتخيلها ليست تصلح للكلام فى تاريخ الشعر ولا بيان معانيه ومراميه وأغراضه .

ثم اسمح لى ياسيدى الدكتور أن أسألك من أين عرفتَ أن هذه الأبيات قد قالها المتنبي بعد أن رجع من البادية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ والذى فى الديوان المطبوع أنه قالها (فى صباه) ، وفى بعض المخطوطات : (قالَ وهو فى

المكتب) أى بالكوفة ، فكيف لك بالقطع بأنها مما قاله بعد أن رجع من البادية ! !

وأكثر من ذلك أن ترتيبها فى الديوان لا يدلُّ على شىء من ذلك ـ إن كنت قد اعتمدت على ترتيب الديوان . وإذا كانت (الرصانة اللفظية التى ترفع اللفظ عن الابتذال ، وتكسبه عذوبة تحس فيها ريح الصحراء) ، كما تقول فى ص ٦٧ ، هى الدليل على أنه قالها بعد عودته من البادية ، فلماذا جعلت القصيدة ، التى ذُكِرَت فى الديوان قبلها ، وذكرتها أنت بعدها ، من شعره بعد عَوْدَته من البادية ، والقصيدة كلها (رطانة) لا رصانة فيها ، وهى مبتذلة اللفظ ، مِلْحَةٌ تتذوّق منها مرارة بغيضة مستكرهة ؟ هذا على أنها مما ذكرها الرواة فى شعره الذى قاله وهو فى (المكتب) بالكوفة ؟ هذا طرفٌ من القول فى القرمطية ، وسنعود إليه فى الكلمة المقبلة بالتوضيح والبيان .



ولا بأس من أن نذكر للقارئ فكاهة طريفة من حيل الدكتور طه ، فإننا حين ذكرنا هذه الأبيات فى (ص ٦٠ ، ٦١ من هذه الطبعة) قلنا بعد شرح البيتين اللذين ذكرناهما فى أول هذه المقالة :

« وهى وإن كانت مما قال فى صغره (نعنى هذه الأبيات الثلاثة) ، إلا أنها أمثل من الأبيات الأولى فى الدلالة على المعانى التى ذكرناها ، والأصول

التى استنبطناها ، فتدبَّرها على ما قدمنا لك ، تجد الشاعر الكبير فى الشاعر الصغير ، إلاّ فى موضع واحد قلّ فى شعره بعد الكبر ، وذلك هو تقديم الثقة بالله على الثقة بسيفه ونفسه » .

وقد سمع الدكتور لنا ، فتدبَّرَ البيت الأخير على طريقتنا فى شرح البيتين الأولين ، فقال فى ص ٦٧ : « وانظر إلى هذا البيت الأخير :

فَثِبْ وَاثِقاً باللهِ وِثْبَةَ ماجِدٍ
يَرَى المَوْتَ فى الهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فى الفَمِ

فهو لا يريد بهذا (الوثوب) إلا الخروج على السلطان ، وشقّ عصا الطاعة والمخالفة عمّا يأمر به النظام المألوف » .

وقد قرأ الدكتور كلامنا عن الأبيات الأولى ، وعرف كيف نقف عند الألفاظ لنستخرج منها المعانى ، فوقف عند قوله (ثِبْ وثبة ماجد) فجعله الخروج على السلطان .

ولكن الدكتور لم يستنبط هذا المعنى ، ولا كان مما يتأتّى له أن يعرفه ، لولا أننا نبّهنا إليه فى أبيات أخرى لم يذكرها الدكتور فى كتابه البتّة ! ! مع أنها أدلّ على هذه (القرمطية) العملية التى يزعمها ، وهى الأبيات التى أوّلها :

مُحِبِّي قِيامِي ، ما لِذلِكُمُ النَّصْلِ
بريئاً مِنَ الجرْحَى سَلِيماً مِنَ القتْلِ

فقلنا نحن فى ص ٤٣ : « وقوله (مُحِبِّي قيامى) يعنى ثورته وظهوره وخروجه » ، فنقل الدكتور هذا إلى الموضع الذى نصحنا فيه القراء بتدبر الأبيات الميمية ، ثم توكَّلَ على الله وتَرَكَ هذه اللامية خشية هذه الفضيحة ، مع أنها أصلٌ له فى الدلالة على مذهبه ! !

وللأسبوع المقبل .

* * *

والآن ننشر القول فى مشكلة (القرامطة) التى أراد الدكتور طه أن « يستحدثها » فى المتنبى .

وقد كنا فى الكلمة السالفة قد طوينا القول طيًّا لأسباب غلبتنا على الإرادة ، حتى هجم علينا بعضُ كبارِ أصحابنا باللَّوم والتعنيف — وقد استحققناها — فلهم العُتْبَى حتى يَرْضَوْا . فهذه كلمة نستدرك بها ما فات ، ونستأنف القول من مبدئه حتى لا يتفلَّت من الرأى ما يجب له الحفظ والإمساك .

ومن الظلم البيِّن للدكتور طه أن نقول إنه (استحدث) مشكلة القرامطة ، فليس هو بذاك الذى (يستحدث) شيئاً لم يكن ! ! ولكنى أنسب استحداثها إليه، لأنه رجل عبقرى نابغة فذ ، وللعبقرى علينا أن ننسب إليه كل ما يقوله، وإن لم يكن هو صاحبَه ولا مبتدِعَهُ ولا البادئَ به .

وأوَّل من أحدث هذه الخرافة ، فيما نعلم ، أحد الفئة المستشرقة الأستاذ (بلاشير) ، وقيَّد قوله هذا فى دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة ج ١ ص ٣٦٤) فقال :

« ولقد هذّب دعاة القرامطة من شأن بنى كَلْب الذين كانوا يعيشون عيشة البدو فى سهوب تلك الصحراء، ومن المحتمل (تأمل هذا) أن يكون هذا الشاعر الشاب قد اتصل فى ذلك الوقت ببعض هؤلاء (الزنادقة) ، إلا أنه من المرجح (تأمل) أيضاً أن هذا الاتصال لم يترك أثراً واضحاً فى حياته لحداثة سنه (تأمل هذا واذكره) ، ومن المحقق من جهة أخرى أن إقامة أبى الطيب بين هؤلاء البدو ، قد أكسبته معرفة واسعة باللغة العربية كثيراً مما فاخر بها فيما بعد » .

واستطرد هذا المستشرق على ضرب من الرأى ليست له سِنادةٌ تحمله ، أو عُكّازَةٌ تُقيم أَوَدَه . ولسنا فى سبيل الكلام عنه ، ولكن لو أعدنا على القارئ كلام الدكتور طه بترتيبه من كتابه لما خرج من هذا إلا هذا ، ولكان كل فضل الدكتور هو فيما استبدّ به من القدرة على الحشو واللغو والغلو فيهما .

وسيرى القارئ ذلك فى مكانه من كلامنا هذا ، ومن كتابنا فى نقد هذا الكتاب (مع المتنبى) . ومأثُرَةٌ أخرى للمستشرقين ، فقد زعموا أن المستشرق الأعجمى الأستاذ (مسنيون) ألقى فى مؤتمر المستشرقين الأخير فى رومية بحثاً ادّعى فيه أن أبا الطيب كان (قرمطياً) ، ذكر ذلك الأستاذ عزام فى كتابه ص ٣٢٩ ، ثم عقب عليه بقوله : (ورأيت بعض أدبائنا يميل إلى هذا الرأى !!) .

* * *

١ — وترتيب حجة الدكتور طه فى أمر القرمطية التى يزعمها على المتنبى، هو ما نحكيه لك ، فحين ذكر بيتى المتنبى حين قيل له وهو بالمكتب : (ما أحسن هذه الوفرة!) فقال :

لا تَحْسُنُ الوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى مَنْشُورةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ القِتَالْ
عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يُعِلُّهَا مِنْ كُلِّ وافِى السِّبَالْ

فقال ، بَعْدَ حَشْوٍ ، فى ص ٦٠ : « ففى هذين البيتين ريح البيئة الدامية التى كان يعيش فيها الصبية من أتراب المتنبى ، بين تلك الغارات التى كانت تنتهى (بالقرامطة) إلى الكوفة وسوادها من حين إلى حين » .

٢ — ثم زعم الدكتور العبقرى فى ص ٦٤ أن الرواة قالوا : « خرج المتنبى من الكوفة مع أبيه إلى البادية فأقام فيها حيناً ، ثم عاد منها » ... « فهل ارتحل الفتى إلى البادية ... التماساً للصحة ورياضة اللسان ؟ أم ارتحل إليها التماسًا لهذه (البيئة القرمطية) التى كانت متصلة أشد الاتصال بحياة الشعب الكوفى فى ذلك الوقت ، تبعث الرعب فى قلوب فريق منهم ، وتبعث الحب فى قلوب فريق آخر ... » .

ثم فى ص ٦٥ : « ليس من اليسير أن نقطع بشىء من هذا ، ولكن الذى نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون ، هو أن رحلة المتنبى إلى البادية قد نفعته من الناحيتين جميعاً ، فقد ربا جسمه ، ونما عقله ، وفَصُح لسانه ، (وتعلم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معًا)، وشعر المتنبى

فى صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، يبين لنا هذا أوضح تبيين وأجلاه » . وانظر ما نقلناه لك من كلام بلا شير فى أول هذه الكلمات ، وفرِّق ما بين الكلامين .

٣ — ثم حين ذكر الأبيات التى قالها المتنبى فى صباه ، وهى قوله :

إلى أيِّ حينٍ أنتَ فى زِيِّ مُحْرِمٍ ؟ وحَتَّى متى فى شِقْوَةٍ ؟ وإلى كَمْ ؟
وإلا تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّماً ، تَمُتْ وَتُقَاسِ الذُّلَّ غيرَ مُكرَّمِ
فثِبْ وَاثِقاً باللهِ وَثْبَةَ مَاجِدٍ
يَرَى المَوْتَ فى الهيجاجَنَى النَّحْلِ فى الفمِ

يقول الدكتور طه فى ص ٦٥ : « وهذه الأبيات الثلاثة . . كافية كل الكفاية ! ! لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من (البادية القرمطية !!) وهو قرمطى الرأى ، متحفز ليكون قرمطى السيرة أيضاً » ... ثم فى ص ٦٧ : « وهو لا يريد بهذا (الوثوب) إلا الخروج على السلطان ، وشق عصا الطاعة ، والمخالفة عما يأمر به النظام المألوف » ، « ليس عندى من شك أن هذه الأبيات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد أن عاش فى بيئتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد (يعنى القرمطية) » . ثم يقول : إن هذه الأبيات فيها : «الرصانة اللفظية التى تدفع اللَّفظ عن الابتذال ، وتَكْسِبه عذوبة تُحِسّ فيها ريح الصحراء » انتهى ! فكأن هذه الكلمة هى التدليل على أن الأبيات الثلاثة من شعر المتنبى بعد عودته من البادية .

٤ — ثم فى ص ٦٨ ذكر من قصيدته التى أولها :

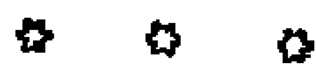
كُفِّى، أَرَانِى، وَيْكِ، لَوْمَكِ أَلْوَمَا   هَمٌّ أقامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا

أبياتاً هى :

يا أيها المَلِكُ المُصَفَّى جَوْهَراً
من ذاتِ ذى الملكوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا
نُورٌ تَظَاهَر فيك لَاهُوتِيَّةً
فتكادُ تعلم عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا
ويَهُمُّ فيكَ ، إذا نطقتَ فصاحةً
من كل عُضْوٍ مِنْكَ ، أن يَتَكَلَّمَا
أنا مُبْصِرٌ ، وأظنُّ أَنِّى نائمٌ !
مَنْ كان يَحْلُمُ بالإله فأَحْلُمَا
كَبُرَ العيانُ علىَّ حتَّى إنه
صَارَ اليقين من العِيانِ تَوَهُّمَا

وقد قدم الدكتور لهذه الخمسة الأبيات فى ص ٦٧ بقوله : « وإذا كانت هذه الأبيات (يعنى الثلاثة الماضية) تصور تأثر المتنبى بالبيئة العملية القرمطية ، فإن (هذه) تصور تأثر المتنبى بالمذهب النظرى للقرامطة وغلاة الشيعة . وهذه القصيدة التى مدح بها المتنبى — فيما يقول الديوان — رجلا يعرف بأبى الفضل ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، فيما يقول الديوان أيضاً ، وفيما

يقول الرواة كذلك ، وعندى أن المتنبي لم يُرد أن يمتحن أبا الفضل ... وإنما أراد أن يمدحه لا أكثر ولا أقل » . ثم فى ص ٦٩ : « فنحن هنا بإزاء رأى صريح فى الحُلول ..... وهذا الكلام صريحٌ فى انحراف المتنبي عن الجادة الدينية ، واندفاعه إلى هذا اللون من ألوان الفلسفة التى هى إلى (الالحاد) أقربُ منها إلى أى شيء آخر . ومن هنا نفهم أنه حين أراد أن يثبت هذه القصيدة فى الديوان ، زعم للرواة ، أو زعم الرواة له ، أنه إنما يمتحن بهذه الأبيات أبا الفضل ، وأراد أن يعرف مذهبه = كلام يقصد به إلى الاعتذار وإلى التقيّة أكثر من أى شيء آخر . وعندى أن المتنبي حين ارتحل إلى البادية إنما اتصل فيها ، لا بالبيئة القرمطية العادية ، بل بداعٍ من دعاة القرامطة الذين كانوا يجولون فى البادية . ومن يدرى ؟ لعل هذا الداعى كان أبا الفضل نفسه هذا الذى يمدحه . ومن يدرى ؟ لعل المتنبي لم يعد إلى الكوفة مصطحباً أباه وجده ، وإنما عاد مصطحباً رجلاً آخر أو قوماً آخرين ، يريدون أن يستقروا فى الكوفة ، وأن يدعُوا فيها لمذهب القرامطة . ومهما يكن من شيء ، وسواء واتتنا النصوص أم لم تواتنا ، فإنى أجد فى نفسى شعوراً قوياً جداً بأن المتنبي قد نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت إلى قرمطية خالصة » .



هذا هو ترتيب حجة الدكتور العبقرى فيما زعمه من أن المتنبي كان من القرامطة = بل داعياً من دعاتهم كما ذكر فى ص ٧٣ . ونحن لا نحب أن نقول إن هذا الرأى ، وهذا الفرض ، وهذا (الشعور القوى جداً) فى نفس

الدكتور طه ، إنما هو من كلام هؤلاء المستشرقين الأعاجم ، إذ لم نطلع على كثير مما كتبوه ، إلا ما نُقِلَ إلينا من موجز كلام الأستاذ (بلاشير) ، وما رُوِيَ لنا عن الأعجمى المتغالى فى إفساد التاريخ العربى والإسلامى خاصة الأستاذ (مسنيون) . فنحن ندعه لمن تحقّقه واطلع عليه ، فإن نُقِلَ إلينا بتمامه قلنا فيه ونقدناه بما علمناه إن شاء الله . أما الآن فأمامنا بلاء هو أضرُّ على العربية من بلاء الأعاجم ، فلنقصد قصدَه ، ولننصرف إليه .

فأنت ترى ، كما قلنا ، أن هذا الدكتور العبقرى قد أراد أن يتدرَّج إلى خديعة قارئ كتابه فى القول بقرمطية المتنبى ، فأقحم ذكر القرامطة فى الفقرة الأولى من كلامه إقحامًا ليس فى الشعر ما يحمل عليه أو يقتضيه ، بل ليس فى التاريخ ما يعينه تعيينًا يوجب القول به ، ويلزمنا نسبة هذا الأثر إليه دون غيره من المؤثرات .

فلما فرغ من ذلك التقديم ، وخلص بهذا التطريق لرأيه ، زعم لك أن الرواة قالوا : إن المتنبى خرج مع أبيه إلى البادية ، مع أن رواية الرواة كلهم تعيِّن أنه خرج إلى (بادية الشام) ، وهى بادية معادية للقرامطة ، كثرت بينها وبينهم الحروب ، فلم تكن ، كما يوهم كلام الدكتور طه فى سياق حديثه ، موطنًا من مواطن الدعاة من القرامطة . ولو قد قال الرواة إنه خرج إلى (البادية) على غير تعيين ، لكان ثمة قولٌ لقائل أن يزعم أن المتنبى انحدر إلى بادية البحرين ، حيث تحتفل الدعوة القرمطية ، ولكان قول الدكتور إنه

تعلم أحوال القرامطة فى جانب من الصواب ! فما دام الرواة كلهم إجماع على أنه خرج إلى بادية الشام ، فليس يصح أن يقال إن أبا الطيب قد تعلم أصول القرامطة هناك . . ، إلا أن يكون فى تأويل الشعر ، أو فى نصوص الرواية ، أو فى مادة التاريخ ، ما يسوق الفكر إلى هذا الرأى أو يحمل عليه أو يقرِّبه أدنَى تقريب إلى جهة الترجيح . ولو قد كان فى هذا كله شىء من ذلك ، لكان لزاماً على الدكتور أن يبينه ويأتى به على وجه الحجة لمذهبه .. ولكن الدكتور لم يفعل من ذلك شيئاً ، إلا أن يتهجم فيقول فى أدبار هذه الفقرة : إن « شعر المتنبى فى صباه (بعد عودته من البادية إلى الكوفة) يبين هذا أوضح تبيين وأجلاه » .

ثم يستجمع الدكتور أداة عبقريته ، ويحتفل بأسباب نبوغه الغريب ، فيستدل على الذى زعمه من الشعر الذى قاله المتنبى فى صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، فيذكر فى الفقرة الثالثة أبيات المتنبى التى أولها :

« إلى أى حين أنت فى زى محرم ؟ »

فيزعم أنها كافية كل الكفاية !! لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من « البادية القرمطية !! » التى يتوهمها توهُّمًا ، « وهو قرمطى الرأى متحفز أن يكون قرمطى السيرة أيضاً » .

وقد قلنا آنفاً إن هذه الأبيات بعينها هى المذكورة فى الديوان بما ترجمته : « وقال (فى صباه) » ، بغير توقيت لأوان قولها ، ثم إن القصيدة التى

قبلها فى الديوان مما نُصَّ على أنها مما قاله وهو (فى المكتب) بالكوفة .
ثم إن بعض النسخ المخطوطة من الديوان تقول فى رأس هذه الأبيات : « وقال وهو (بالمكتب) » ، فمن أين أتى الدكتور بهذا البيان عن وقت مقالها بعد عودته من البادية ؟ وما الذى رجّح عنده أن تكون مما قاله بعد أن تعلم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية ؟

ولكن الدكتور يزعم بعد هذا الرجم بالغيب فى توقيت الشعر ، أن هذه الأبيات الثلاثة كافية كل الكفاية لإثبات قرمطية أبى الطيب ، وذلك لما فيها من ذكر القتال ، ومن التحرق الذى يظهره فيها إلى تغير حاله ، والخروج عما هو فيه من الدعة والأمن والطمأنينة ، إلى حال أخرى فيها خوف وقلق واضطراب ومخاطرة ص٦٦ . أفكل شعر فيه مثل ذلك ياسيدى الدكتور العبقرى هو مما يقال فيه إنه كاف كل الكفاية !! لإثبات قرمطية صاحبه ؟ ألأن المتنبى الصغير يقول ، ويشتد فى قوله ، ويتطلب الموت تحت ظلال السيوف ، ولا يرضى بعيش الذل والمهانة = يوجب ذلك عليك القول بأنه قرمطى ؟ أفليس فى أهل ذلك الزمان من الشعراء من قال مثل ذلك القول وذهب هذا المذهب ، إلا القرامطة وحدهم هم المبتدعة له ، والداعون إليه ؟

* * *

إنك تنسى ماتقول ياسيدى الدكتور العبقرى ، فقد بدأت فى ص ٢٥ تقول إن المدرسة العلوية التى زعمت ، كان لها تأثير « ظاهر » فى عقل هذا الصبى

وقلبه ينبئنا به الديوان = فقد حفظ الديوان للمتنبى مقطوعات من الشعر قالها الصبى وهو يختلف إلى المكتب . ثم ذكرت أن الخصلة الأولى من خصال هذه المقطوعات هى « أن الصبى مقلّد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة ، أو ما كان يسمع من شعر القدماء ، ومن شعر المعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير . وهذا طبيعى ، فالأصل فى الابتداء الفنى التقليد ... يلتمس الفتى نفسه فى هذا التقليد ، حتى إذا وجدها استغل قواها وعواطفها ، واستثمر كنوزها ودخائلها ، واستخرج منها شخصيته التى تنمو على مر الزمن وطول المران » . حقاً يقيناً ياسيدى الدكتور إنك قلت هذا ، فما الذى جعل عندك هذه الأبيات الثلاثة التى قالها فى صباه وهو فى المكتب مما قاله بعد عودته من البادية ، مخالفاً بذلك رواية النسخ المختلفة من ديوان أبى الطيب ؟ ثم لماذا لايكون فى هذه الأبيات بعينها مقلِّداً يتأثر بالذى حفظه فى المدرسة ، أو ما كان يسمعه من شعر القدماء والمعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير ؟ وقد كثرت هذه المعانى فى أشعار القدماء والمعاصرين الذين سبقوا أبا الطيب كثرة بينةً ، لسنا فى حاجة إلى الدلالة عليها برواية أشعارٍ فى هذا المعنى ، وهو معنى مبتذل مطروق قلَّ أن يخلو منه شعر شاعر ؟

لماذا لايكون هذا الشعر ، بعد الذى رأيت وعلمت ، مما يدل دلالة قاطعة تُثنى عنك كل شك فى « أن هذه الأبيات (تصوِّر) ماعاد به الغلام من البادية المقتنعة بالمذهب الجديد من دعوة القرامطة » ؟ ماهذا التحكم الباغى ، والتعسف الغليظ الذى تحمل عليه معانى الشعر حملاً ، لتقول برأى ضعيف

قد سبقك إلى التدلّى إليه بعض الأعاجم من المستشرقين ؟

وليتك ياسيدى الدكتور وقفت عند هذا الضرب من التعسف ، وهذا الخلط فى الرأى وسوء التدبير فى الفكر ، بل احتفل لك المنطق ، وأعانك الذوق العبقرى ، حتى جعلت تترقى إلى التلبيس على القارىء ليجعل لرأيك هذا وزناً يُعتَدُّ به ، فزعمت أن فى هذه الأبيات الثلاثة جزالةً بدوية لاتخفى ص ٦٥ ، وأنها تصور ماعاد به الغلام من البادية من الرصانة اللفظية التى ترفع اللفظ عن الابتذال ، وتَكسِبُه عذوبةً تحس ّفيها ريح الصحرا ص ٦٧ » = وذلك ليتوهم القارىء حقاً أن هذا الشعر مما قيل بعد عودته من (البادية القرمطية) التى زعمت !!

وليكن هذا حقًّا لايختلف عليه أحد من الناس ، ولا يمارى فيه ذو بيان أو فن أو ذوق ، ليكن كل ذلك صواباً . . . ولكن كيف — بالذى خَلَقَك فسوَّاك فعدَلك — تقول فى القصيدة التى ذكرت بعضها فى الفقرة الرابعة التى نقلناها ، إنها مما قاله بعد عودته من البادية القرمطية ، إذا أنت أردت أن تزنها بهذا الميزان من الذوق الفنى ؟ فهذه الأبيات التى زعمت أنه (مدح) بها أبا الفضل ليست فيها جزالة ، ولا هى مما يكون فيها رصانة لفظية ترفع اللفظ عن الابتذال ، فتكسبه عذوبة تُحس فيها ريح الصحراء ..!! بل هى كلام ساقط مرذول أشبه بالرُّقية منه بالشعر . وليقرأ القارىء هـذه الأبيات من أولها :

كَفِى أرانى وَيْكِ لَوْمكِ أَلْوَمَا هَمٌّ أقام على فؤادٍ أَنْجَمَا
وخَيالُ جِسْمٍ لم يُخَلِّ له الهوَى لَحماً فَيُنْحِلَه السّقامُ وَلاَ دَمَا

وخُفُوق قَلْبٍ لو رَأَيْتِ لَهِيبَهُ ، يا جَنَّتى ، لظننتِ فيه جَهَنَّمَا
وإذا سحابةُ صَدِّ حُبٍّ أَبْرَقت تَرَكَت حَلَاوَة كُلِّ حُبٍّ عَلْقَمَا
يا وَجْهَ دَاهِيَةَ الذى لَوْلَاكَ ما أَكلَ الضَّنى جَسَدى وَرَضَّ الأَعْظُمَا
إن كان أغناها السُّلُوُّ ، فإننى أَمْسَيْتُ من كَبِدِى ومِنْهَا مُعْدِمَا
غُصْنٌ عَلَى نَقَوَىْ فَلَاةٍ نابتٌ، شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا
لم تُجْمَعِ الأَضْدَادُ فى مُتَشَابِهٍ إلاَّ لِتَجْعَلنى لِغُرْمِىَ مَغْنَمَا

إلى آخر هذه القصيدة الغثة الساقطة المرذولة اللفظ والمعنى . فهل يجد القارئ فيها إلا رطانة قبيحة ، وألفاظاً مبتذلة ، ومُلوحة تَكْسِبُه ريح البَرْ فى الأرض السَّبِخَة ، لا ريح الصحراء !! وكيف يقول المتنبى هذا القول القبيح وقد زعم الدكتور أنه عاد من البادية ، وقد فَصُح لسانه ، وجاد بيانه !!

وقد ذكرت هذه القصيدة فى كتابى (ص : ٦٣ من هذه الطبعة) وقلت : « ومن قرأ القصيدة كلها ألفاها كلها ، فما فيهـا بيت واحد من (الشعر) ، ولفظها وكلامها ومعانيها غثٌّ كله ... » ، وقلنا إنه لم يقلها إلا تندُّراً وعبثاً بهذا الجاهل الدعىِّ فى الفلسفة المسمى بأبى الفضل ، وأن أبا الطيب إنما أثبتها فى ديوانه ليذكر بها شخصية كانت تستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك وغاية الاستغراب ، ولذلك بناها على المبالغة فى المدح ، بما ينقل الكلام عن معنى المدح إلى معنى الهجاء والسخرية ، فأعْجَم القصيدة وأتى فيها بكل ساقطة من الفلسفة وما إليها ، وأخلَّ بعربيتهـا إخلالاً بيناً لم يقع مثله فى ساقط شعر

أبي الطيب وسَفْسَافه ورديئه » ... فهذا هو الوجه فى تأويل هذه القصيدة ومعانيها عندنا ، أما الدكتور طه فهو لحاجته إليها فى القول بأن المتنبى كان قرمطياً ، نقلها من هذا المعنى إلى معنى الجد ، ثم الإلحاد والزندقة على عادته من الولوع بأخبار الملحدين والزنادقة وأهل الزيغ والفسوق ، كما بيناه فى بعض كلامنا الأول [انظر ص : ٤٨ ، ٤٩] .

وليت ذلك فحسب أن يكون كل مايفعله الدكتور طه ليقول بهذا الرأى المرقوع المتخرِّق الضعيف المسلوخ من كلام مَنْ لايجيد فهم العربية من الأعاجم المستشرقين = كلا بل يعمد إلى النصوص فيلغيها جملة واحدةً لغير علة بينة، أو شبهة قائمة ، أو دليل مقنع . فالرواة الذين رووا ديوان أبي الطيب إجماعٌ كلهم على التقديم لهذه القصيدة بهذه الكلمات :

« وقال وهو (بالمكتب) يمدح إنساناً، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه » .

فالدكتور يسخر من الديوان والرواة كما رأيت فى الفقرة الرابعة ، فالمتنبى لم يرد أن يمتحن أبا الفضل هذا ولا أن يستكشفه عن مذهبه ، وإنما أراد أن يمدحه لا أكثر ولا أقل !! وذلك ليقول بأن أبا الفضل هذا كان من دعاة القرامطة ، وأن مديحه جاء على وفق مذهبه ، وفسَّر الشعر على ذلك ! وتفسيره = على مافيه من الخطأ فى فهم الشعر ، وفى توجيهه إلى هـذا الرأى من نحلة القرامطة = لايصحُّ أن يثبت أمر قرمطية المتنبى ثبوتاً لامجال للشك فيـه ! وذلك لأنه تأويل وليس بتفسير ، وليس فى الشعر نفسه دليلٌ عليه . هذا على أن الرواة الذين ذكروا (أبا الفضل) هذا قالوا : إن المتنبى « وقع فى صغره

إلى واحد يُكْنَى أبا الفضل (بالكوفة) من المتفلسفة فهوّسه وأضلّه كما ضلّ».
فهذا نصٌّ صريحٌ فى أن أبا الفضل هذا كان بالكوفة لا بالبادية ، وأنه كان من المتفلسفة لا من القرامطة . ولو أنه كان من القَرامطة لذكروا ذلك ، ولبالغوا فيه ، لعظَم عداوتهم لأبى الطيب ، فإن المتفلسفة إن يكونوا ضلالاً ، فإن الحرج فى وَصْفهم بالكفر والإلحاد كثير ، وأما القرامطة ، فأهل العلم جميعاً ، حتى الفاطميون (وقد كانوا لهم أتباعاً)، يرمونهم بالكفر والزندقة والإلحاد فى غير تحرج .

فلو كان ما ذهب إليه الدكتور مما يمكن أن يصح ، لكان لتاريخ أبى الطيب شأن آخر غير هذا الشأن ، ولكان للكلام فى عقيدته ودينه منهج غير هذا المنهج الذى جرى عليه الرواة والمؤلفون من أعدائه ، ومن المُجلبين عليه ، والمتحلّين ببغضه والكره له والحطّ منه .

فهذا كما ترى (عَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ) من الدكتور طه النابغة العبقرى = وبيان كافٍ كل الكفاية لما قلنا به مراراً ، من أنه يتجنب فيما يكتب إثبات النصوص كما رُوِيت ، ويأبى إلا أن يطمس معانيها ، ويُحرِّف كَلِمَها عن مواضعه ، وهو يعلم أنه لا حجة له فيه ، ولا دليل عليه . وإذا لم يرض القارىء بذلك ، وظننا نتحيّف الدكتور ونظلمه ونميل عليه ، فليقرأ نص مقدمة القصيدة وهو : « وقال وهو بالمكتب » ، ومع كل هذا الوضوح وكل هذا البيان ، وكل هذا التصريح ، يزعم الدكتور أن أبا الطيب قالها بعد عودته من البادية ، فهل فى التحكم البغيض والتعسف الغليظ ما هو أبغض من هذا وأغلظ ؟

أستغفر الله بل ثمة ماهو أغلظ من ذلك ، إذ يزعم الدكتور أن المتنبي حين أراد أن يثبت هذه القصيدة في الديوان زعم للرواة ، أو زعم الرواة له ، أنه إنما امتحن بها أبا الفضل ، وأراد أن يعرف مذهبه . وهو كلام (تأمل ما يأتي) يقصد به إلى الاعتذار ، وإلى التقية أكثر من أي شيء آخر » ص٦٩ .
فلماذا الاعتذار ، وعلام التَّقِيَّة ؟ لا ندري ، فجواب هذا اللغو كلّه عند صاحبه العبقري الذي لا تنفد حِيَله ، ولا تنقضي عجائبه !!

وللأسبوع المقبل تتمة القول في هذا الفُضُول .

* * *

رأيت — أراك الله الخير ، وبَصّرك به ، وسدَّدك إليه — من فعلات الدكتور طه وأخطائه وما تورط فيه ، وما تهجّم عليه بغير علم ، وماقطع به بغير بينة ، وما حرّف من الكلام عن مواضعه ، وما أسقط من نصوص الروايات ، وما تأوّل به على سُوء الفهم وفقدان البصر بالعربية = رأيت مايحملك ولاشك على العجب ، ويغريك بإسقاط الثقة بما يقول هذا الدكتور النابغة العبقرى ... هذا إذا تورعت فى الصفة الواجبة الثبوت عليه ، وأخذت نفسك بالوَقار ، وتجملت بحسن الأدب فى (حضرة) أديب هو عند أصحابه وأشياعه من كبار الأدباء ، غُفْرانك اللهم ، بل كبير الأدباء ، فلم تُرِدْ لذلك أن تجرحهم بالأذى ، أو تؤْذِنَهم بالعداوة ... وخيرًا إن شاء الله فعلتَ .

ورأيت فى كلمتنا الأخيرة خاصة — عن خرافة (القرمطية) التى صَبَّها الدكتور على المتنبى — أشياء منها أن الدكتور إنما استلب هذه الفكرة من الأستاذ (بلاشير) المستشرق ، ولكن (بلاشير) يقول إنه من (المحتمل) أن يكون المتنبى قد اتصل ببعض القرامطة ، ثم (يرجح) أن هـذا الاتصال لم يترك أثراً فى حياته وشعره لحداثة سنه . فلما استولى عليها الدكتور طه ، واستبدَّ بها ، وتملكها تملك المالك لما يملك ، تصرف فيها بحقه وحق المِلْك ، فجعل (المحتمل) يقيناً لاشك فيه !! وجعل هذا الاتصال الذى لم يترك أثراً فى حياته أو شعره عند (بلاشير) ، اتصالاً كان له أكبر الأثر وأبينُه وأوضحُه .

فى حياة المتنبى !! واستدلّ على ذلك بأبيات وصفها بأنها (كافية كل الكفاية لإثبات قرمطية المتنبى) ، على عادته فى سوء فهم الشعر ، وفى التحكم والتكلف والتعسف والغلظ المفضى إلى البغض . ثم استدل فى موضع آخر بأبيات لم يحسن فهمها على الوجه الذى تقتضيه ألفاظها ، ولا أدرك معانيها على الضرب الذى يجعل الحجة فيها كالقلعة المحصَّنة ، لا يجد النقد فيها عورة ينفذ منها .

ومنها : مارأيت من تعمّده أن لا يروى أحاديث الرواة (بنصها) وتمامها ، بل يسقط منها ما يشاء ويبقى ما يشاء ، هذا على أنه يأتى بها بألفاظٍ من عند نفسه ، ليوافق بها الرأى الذى بيّنه وعمد إليه ، ويفعل ذلك علماً منه بأن فى (نصوص الرواة) ما يفسد عليه مذهبه ويسقط قوله ، وأن فيها من وجوه القول والتأويل ماهو أرجحُ من قوله ، وأهدى وأسدُّ من تأويله .

ومنها : ما فعل فى توقيت القصيدة التى مدح بها المتنبى الرجل المسمى بأبى الفضل . فالرواة مجمعون على أنها قيلت بالكوفة ، والدكتور يخالفهم بغير بيّنة من علم مرويّ ، ولا استنباط مرضيّ ، ولا نقد ضعيفٍ أو قويّ ، ثم يزعم على ذلك أنها مما قاله المتنبى بعد عودته من البادية (القرمطية) المتوهمة ، ثم يؤول ألفاظها ويفسّرها على هذا الذى ذهب إليه ، فدلّ بذلك على اللجاجة فى الخطأ والحرص عليه ، وقلّة البصر بالشعر ، وجهل الأصول المقررة فى تاريخ القرامطة ونشأتهم وأصول معتقدهم .

ومنها : أنه لم يذكر نص الرواة فى صفة (أبى الفضل) هذا ، من إنه

كان من (المتفلسفة) ، ومن أنه كان فى الكوفة ، بل زعم بغير برهان ولا دليل ولا نقد أنه كان من (القرامطة) ، بل من دعاتهم ، وأن المتنبى لقيه بالبادية ورجع معه إلى الكوفة ! !

هذا بعض مافعله ، ثم تخيل وتوهم واتسع فى الخيال والوهم حتى زعم أن المتنبى (اشتغل) فى الكوفة بنشر الدعوة القرمطية ص ٧٣ ، بل زاد على ذلك أن زعم أنه لا يستبعد (بل يرجّح جدا !) أن يكون فى بغداد مركز قوىٌّ للدعوة القرمطية ، ذهب إليه المتنبى ، فأدّى إليه شيئاً ، وتلقى منه شيئاً ! وترك بغداد قاصداً الجزيرة والشام ص ٧٣ ، وأنه حين ذهب إلى الشام ذهب داعيةً من دعاة القرامطة !! ص ٧٣ أيضاً .

وليس بنا ولا بك حاجة إلى نقد هذا الكلام ، فأنت قد رأيت أن (القرمطية) التى يقذف بها المتنبى ، إنما هى كما بينا آنفاً قد بنيت على التلفيق والتدليس ، وأقيمت على إفساد النصوص وإسقاطها وتجاهلها ، والتزيد فيها بالوهم الكاذب ، أو بإثبات بعضها على وجه غير صحيح ولا أمين ولا ثمة . فإن كان أمرها كذلك ، فكل ما يأتى منها وما يخرج وما يتفرع وما يتشعَّب ، فهو تلفيق ولغوٌ وعَبَث وباطل لا أصل له ، لأن الأصل الذى خرجت منه هو ذاك الأصل ... !

والآن ... يزعم هذا الدكتور (أن الرواة حدثوه !!) أن المتنبى ارتحل عن الكوفة إلى بغداد فى الخامسة عشرة من عمره ، بعد جلاء القرامطة عن الكوفة ، « وارتحل معه أبوه ! » ص ٧١ .

ونحن نقطع من قِبَلِنا ، « وعلى مسئوليتنا » ، بأن ليس أحد من الرواة زعم أو قال إن المتنبى ارتحل إلى بغداد فى الخامسة عشرة من عمره أوّلاً = ولا أنه ارتحل عن الكوفة ثانياً ، ولا أنه حين ارتحل إلى بغداد ارتحل معه أبوه ثالثاً .

فإذا كان الدكتور طه صادقاً فى هذا الذى أتى به ليدلِّس على مذهبه فى (قرمطية) المتنبى ، فهو الصادق !!

ولابُدّ من القول بأن (الرواة الذين حدّثوه) إما أن يكونوا قد حدّثوه عن طريق الوحى الخَفِىّ ، أو فى حُلُمٍ أو رؤيا رآها بعد تَّقْلةٍ أخذته من طعام شهىّ !!

* * *

ومن هذا الباب ، وعلى هذا الصراط ، وفى مثل هذا الحُلُم يزعم الدكتور طه أن المتنبى قال قصيدته التى أولها :

أَهْلاً بِدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَابَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا

« يمدح رجلا (رسمياً !) هو محمد بن عبد الله (هكذا فى الأصل) العلوى » ، وأنه قالها (فى بغداد) » ، انتهى ص ٧٤ .

وقبل أن نتجاوز إلى النقد ، يجب علينا أن نصحح اسم الرجل الذى مدحه فهو : « محمد بن عبيدالله « بالتصغير » العلوى الكوفى المعروف بالمشطّب » وقد ذكر المتنبى اسم أبيه على التصغير فقال :

مُرْتَمِيَاتٍ بِنَا إلى آبن عُبَيْـ ـدِ الله غِيطَانُها وفَدْفَدُهَا

وأول مافى كلام هذا الرجل المعروف الدكتور طه حسين بك أنه زعم أن (محمد بن عبيد الله العلوى) هذا كان رجلاً (رسمياً !!) ، أى من رجال الحكم وأعوان الدولة وأهل السلطان ... هذا ، على أن الرواة لم يذكروا له فى ديوان أبى الطيب شيئاً يدلُّ على عمل (رسمى أو غير رسمى) ، وقصيدة أبى الطيب نفسُها ليس فيها إشارة إلى ذلك . إذن ، فمن أين أتى الدكتور بهذه (الرتبة) التى خلعها على (محمد بن عبيد الله) ؟؟ أَوَجَد ذلك فى شىء من كتب التراجم أو كتب التاريخ ؟ فإن كان وجده فليظهرنا عليه ، وما هو بفاعل . ونحن على يقين من أن الدكتور إنما وصف هذا الرجل بهذه الصفة اجتراء وتزيُّداً على غير بصرٍ ولا بينة ، ولا أَثارة من علم ، بل للهوى والتدليس على مذهبه ورأيه .

والثانى : أنه زعم أن القصيدة قيلت فى (بغداد) !! وليس أحدٌ من الرواة قال هذا ، ولا فى القصيدة مايدل عليه ، بل الدليل على نقيضه كما سترى ، ولا فى المكان الذى ذكر فيه (محمد بن عبيد الله العلوى) ما يُوَجِّه الرأى إلى ذلك كما سترى .

قال العكبرى فى شرحه ج ١ ص ١٩٠ عند قول أبى الطيب :

يَالَيْتَ بِى ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا ... كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا

« كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شاب دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجُرِح فى وجهه ، فكسته الضربة حُسْناً ، فتمنى أبو الطيب مثل ضربته ، فهذا ما سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا » ، انتهى .

فلو جاءنا الدكتور ببعض تُرَّهاته فزعم أن قتال هذا العلوى دليلٌ على أنه كان رجلاً (رسمياً)، وما نظنه إلا أُتِيَ من هـذا الفهم السيء، فالمتنبي نفسه قد قاتل فى آخر عمره قوماً من العرب بظاهر الـكوفة أيضاً، فهل كان المتنبي إذ ذاك رجلاً (رسمياً !!)؟ هذه واحدة. والثانية أن هذه الرواية تدلّ دلالةً واضحة بينة لكل ذى عينين، أن الوقعة كانت بظاهر الـكوفة، فهل يكون المعقول مدح المتنبي ببغداد أم بالـكوفة؟ وهل يتوهم أحدٌ أن يترك المتنبي الـكوفة، ويقطع الأرضين إلى بغداد، ليمدح بعـد غدٍ من كان قريباً منه بالأمس؟ والرواية تقول إن (محمداً) هذا كان فتى دون العشرين سنة، فما نظن أن هذا الفتى كان قد بلغ أن يكون رجلاً (رسميًّا)، كما ادعى الدكتور طه !! ثم ماهو العمل (الرسميّ) الذى كان عليه محمد بن عبيد الله هذا ببغداد؟ فإن الرجل العالم لا يحلّ له أن يقول ما لم تأت به رواية صريحة، إلا بدليل مستنبط ظاهر الحجة قريب البرهان، وإلا كان مايقوله اجتراءً على التاريخ.

هذا على أنه ليس فى الرواة من روى أن المتنبي قد فارق الـكوفة ورحل عنها على إثْر حرب من حروب القرامطة، ولا على إثْر قتال كهذا القتال الذى كان من (محمد بن عبيد الله العلوى)، حتى يحل لـكاتب مؤرخ أن يتَّجـه بالرأى إلى هذا الوجه خلافاً للرواية، ومناقضة للاستنباط الصحيح من ألفاظ القصيدة كما سيأتى، وحتى يتسع فى أمره فيكون للرأى موضع وللحجة مجال. و المسألة كلها فى رحلة المتنبي إلى بغداد، هى أن البديعى قد روى فى كتابه أن

المتنبي قال : « أذكر وقد وردت فى صباى من الكوفة إلى بغداد . . . »
وذكر حديثاً لايمتُّ إلى الحرب بصلة . أفيحل أن يكون ذلك الذى قاله
الدكتور طه تأويلاً لهـذه الكلمة ، أو أن يكون استنباطاً صحيحاً يربط
تاريخ أبى الطيب على هذا الوجه ؟ هذا كثير ، بل قبيح ، بل غليظٌ جداً
ياسيدى الدكتور .

ونتعجل فنضمُّ الشكل إلى شكله . فالدكتور يقول ويعترف فى ص ٨٦
أنه لايرى فى هذه القصيدة = التى يزعم أن المتنبى قد قالها بعد عودته من
البادية (القرمطية) ورحلته إلى بغداد = « مذهبَ القرامطة ، ولا إشارة
إلى مذهب الحلول » . وهذا صحيح فليس فى القصيدة إشارة إلى ذلك ، بل
إنها عندنا دليل على فساد مذهب الدكتور فى (قرمطية) المتنبى . فالأشبه
والأقرب والأجدر بالاستنباط أن يكون هؤلاء القوم الذين حاربهم (محمد
بن عبيد الله العلوى) هم جماعة من القرامطة . فأنت تعلم — كما قال الدكتور
طه — أن القرامطة كانوا قد أكثروا الغارة على الكوفة ، والرواة والمؤرخون
قد أكثروا من رواية غاراتهم عليها ، فليس ببعيد ولا مستنكر أن يكون
هؤلاء من القرامطة ، وأن يكون المتنبى قد مدح (محمداً) لأنه ردَّ القرامطة
عن الكوفة ، وطنِه ووطنِ أهله . وعلى ذلك يكون المتنبى من أعداء القرامطة
والناقمين على أفاعيلهم ، وصلة المتنبى بالحمدانيين تقرِّب هذا الرأى ، فقد كانوا
من أعداء القرامطة ، وقد قاتلهم أبو الهيجاء بن حمدان عم سيف الدولة فى
سنة ٣١٥ مع يوسف بن أبى الساج . ثم إنهم رووا أنه قد جرى حديث

وقعه ابن أبى الساج هذا مع أبى طاهر القرمطى صاحب الأحساء فى مجلس أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ، فذكر المتنبى ما كان فيها من القتل — وكان القرمطىّ قد قتل من جيش أبى الساج وجيش ابن حمدان مقتلة عظيمة — فهال ذلك بعض الجلساء ، فقال المتنبى :

أبَاعِثَ كلِّ مَكْرُمَةٍ طَمُوحِ ... وفَارِسَ كلِّ سَلْهَبَةٍ سَبُوحِ
وطَاعِنَ كُلِّ نَجْلاَءٍ غَمُوسٍ ... وعَاصِى كُلِّ عَذَّالٍ نَصِيحِ
سَقَانِى اللهُ قَبْلَ المَوْتِ يَوْماً ... دَمَ (الأعْدَاءِ) مِنْ جَوْفِ الجُرُوحِ

و (الأعداء) هنا هم القرامطة ، وقد كان بنو طغج من الذين قاتلوا القرامطة وردُّوهم وكرهوا أمرهم أشد الكره . وقد أخطأ الدكتور طه فى الفصل السادس من الكتاب الثانى ص ٢٨٠ ، ففهم أن هذه الأبيات « تدل على أنه لم يصدف عن (القرمطية) إلا كارهاً » ، مع أن أمرها على العكس ، فهى دليل على بغض المتنبى للقرامطة .

* * *

وندع هذا ، ففى حديث الدكتور طه عن هذه القصيدة ، التى مدح بها المتنبى (محمد بن عبيد الله العلوى)، عجائب من الكلام الذى يدلك على أنه ليس ذا بَصَرٍ بالشعر ، ولا صاحبَ قوة فى الفهم ، ولا ربَّ طريقة فى الاستنباط . وقد استأنف القول فيها من ص ٨٠ ، وجعل يخلط بكلام محموم حتى بلغ ص ٨٣ ، إذ يقول عن بيتى المتنبى :

لاَ نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ ، وَلاَ بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا

« هذه المحاولة التى أراد بها الشاعر أن يظهر شيئاً من الجهد حين وصف نعله .. ليست مبتكرة ، وإنما هى إطناب وتفصيل، حيث آثر أبو نُوَاس الإجمالَ والإيجاز فى قوله :

إليكَ أبَا العبَّاسِ مِنْ دُونِ مَنْ مَشَى
عَلَيها ، امْتَطَيْنَا الحَضْرَمِيَّ المُلَسَّنَا

ويقول الدكتور تعقيباً على هذا فى ص ٨٤ : « وإذا كانت هذه المحاولة تقليداً صرفاً من الجهة الفنية الخالصة ، فإن لها دلالتها القيمة من الجهة التاريخية ، لأنها على الأقل تنبئنا بأن الشاعر الفتى لم يسافر من الكوفة إلى (بغداد) راكباً ، وإنما ذهب إليها راجلاً ».

وهذا الاستنباط الذى يتعالم به الدكتور طه ليس بشىء ، وإنما هو استنباط (موضعىّ) لاغناء فيه ، ولعله اختلسه من قول ابن رشيق فى العمدة ج ١ ص ٢٠٠ — ٢٠١ ، إذ ذكر بيت أبى نواس وبيتى أبى الطيب ثم قال : « ولو شاء قائل أن يقول إن أبا نواس لم يرد ماذهب إليه أبو الطيب ، لكن أراد أنه معه فى بلدة واحدة فقصده فى حاجته محتذياً نعله ، لكان ذلك أظهر وجهاً ، مالم يكن الحضرمى من الجلود مخصوصاً به المسافر دون الحاضر، وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد » .

ولو اتبعنا طريقة الدكتور فى هذا الاستنباط (الموضعىّ) من بيتين فحسب ، لكان كلام ابن رشيق عن توجيه بيت أبى نواس هو هو فى توجيه بيتى أبى الطيب ، فليس ثمة ما يمنع أن يكون أبو الطيب قد قال ذلك القول (تقليداً صرفاً) من جهة ، أو أن يكون قاله فى الكوفة نفسها . وتكذُّبه تكذُّب الشعراء ليستجدى كفَّ ممدوحه ، إذ يزعم له أنه قاسى هولاً ولقى عظيماً ، تعظيماً لأمر الذى يمدحه = أو على عادة بعض الشعراء فى التّمدح بالصعلكة والرحلة ، كما قال ابن رشيق فى هذا الباب نفسه .

أما إذا حملنا قول أبى الطيب على الصدق ، وأنه قد خرج حقاً من الكوفة راجلاً قاصداً (محمد بن عبيد الله العلوى) ، فالاستنباط على غير ماذهب إليه الدكتور الذى لا بَصَر له بالشعر ، ولا قدرة له على الاستنباط . يقول المتنبى :

لا نَاقَتِى تَقْبَلُ الرَّدِيفَ ، ولا ... بالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا
شِرَاكُهَا كُورُها ، ومِشْفَرُهَا ... زِمَامُها ، والشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُه ... تَحْتِىَ مِنْ خَطْوِها ، تأَيُّدُهَا
فى مِثْلِ ظَهْرِ المِجَنِّ مُتَّصِلٌ ... بمثل بَطْنِ المِجَنِّ قَرْدَدُهَا
مُرْتَمِيَاتٍ بِنَا إلى ابن عُبَيْـ ... ـدِ اللهِ غِيطَانُها وَفَدْفَدُهَا

فالمتنبى يذكر أنه قد (ركب) نعله ماشياً فقطع أرضاً وصفها بالبيتين الأخيرين ، إذ يقول إنها (كظهر المِجَنّ) منبترة مرتفعة غليظة ، ويعنى بها

التلال ، وهى متصلة بأرض (كبطن المجَن) منخفضة كثيرة الحصا والحجارة ، « والقَرْدَدُ » مُرْتَفَعٌ من الأرض إلى جانب وَهْدَةٍ منخفضة ، وهى وهْدَةٌ غليظة ، كلفظها .

وقد قال الرواة إن (القَراديد) قلما تكون إلا فى بَسْطَةٍ من الأرض ، وفيما اتسع منها ، فترى لها مَتْنًا مُشْرِفًا عليها (غليظاً) ، لا يُنْبِت إلا قليلاً ، وبه شبهوا (قُرْدُودة) الظهر ، وهى ما نسميه (سلسلة الفقار) ، لغلظها وارتفاعها وانخفاضها . ثم ذكر من صفة هذه الأرض فى البيت الأخير ، أنها (غِيطَان وفَدْفَدٌ) ، والغيطان هو جمع غائط ، وهو المتّسع المطمئن المنخفض من الأرض فى البوادى ، لا فى السواد والأرض المزروعة .

يقول الشاعر يصف (خَرْقاً) وهى البادية :

وَخَرْقٍ تَحَدَّثُ غِيطَانُه حَدِيثَ العَذَارَى بِأَسْرَارِهَا

ثم ذكر (الفَدْفَد) ، وهى الفلاة التى لاشىء بها ولا نبات ، وأرضها غليظة ذاتُ حصى وفيها صَلابة .

فما الذى يستنبطه القارىء من صفة هذه الأرض التى قطعها المتنبى بعد شرح هذه الألفاظ ؟ أليس أن الأرض التى قطعها المتنبى ماشياً هى بادية قاسية جافية وعرة المسالك ، قليلة النبت ؟ فهذه صفة الأرض التى تحيط بالكوفة ، فإن الكوفة يدور عليها جَبَلُ (ساتِيدَما) ، وظاهرها أرض صَلبة فى غربها ، إذ تقع الكوفة على شاطىء الفرات من ناحية الشرق ، وأما غربها وهو

(ظاهرها) فني قلب بادية الغرب التي تفضي إلى نجد . فمن هذا لا يجد من يفهم أو يعقل محيصاً من القول بأن المتنبي قد خرج من الكوفة قاصداً محمد بن عبيد الله العلوى فى البادية حيث (واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة) ، كما قالت الرواية فيا قدمنا آنفاً .

أما الطريق إلى بغداد فهو ما ترى ، فالكوفة واقعة على الشاطىء الغربى من الفرات ، وبغداد واقعة على الشاطىء الشرقى مس دجلة ، فالمتنبى لو كان قد ذهب إلى بغداد لركب البحر أوّلاً حتى يصل إلى شاطىء الفرات الشرقى ، ثم يقطع أرضاً سهلة كثيرة النبت هى الواقعة بين النهرين (دجلة والفرات) ، ثم يركب البحر مرة أخرى من شاطىء دجلة الغربى حتى يبلغ الشاطىء الشرقى الذى عليه بغداد . فهل ترى أن ذكر ركوب البحر مرّتين قد ورد فى شعر المتنبى ؟ وهل رأيت الفرق بين أرض سَهْلة فى حِضْن نهرين كثيرة النبات ، وبَيْن فلاة قاسية كثيرة الحصا ذات (قَرْدَدٍ وغيطانٍ وفَدَافِد) لا نبات فيها ، هى التى وصفها المتنبى فى شعره ؟ وهل يصح بعد هذا لقائل أن يقول : إن المتنبى ارتحل إلى بغداد راجلاً ! ؟

إن الدكتور طه ، كما نقول ونكرر ونبدئ ونعيد ، رجل لا بَصَر له بالشعر ، ولا قدرة له على الاستنباط ، وليس الأدب من عمله ، ولا الكتابة فيه مما يحسن . فإن أخذتك بعد هذا عدوى الشكّ الذى لا أصل له من الدكتور طه ، فاعلم أن الدكتور قد ترك من هذه القصيدة كثيراً لم يتعرض

له لأنه مما يهدم رأيه . خذ إليك ما يقوله المتنبي على إثر الأبيات التي ذكرناها :

إلى فتى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنْهَلَهَا في القُلُوبِ مُورِدُهَا
له أيادٍ إلىَّ (سَالِفَةٌ) أَعُدُّ مِنْها وَلاَ أُعَدِّدُهَا

ثم يقول في آخر القصيدة :

وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ رَبَّيْتَها ، كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحْتَ بِهَا أَقربُ مِنِّى إلىَّ مَوْعِدُهَا
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ على قَدَمِ الـ بِرِّ ، إلى مَنْزِلِى تَرَدُّدُهَا
أُقِرُّ جِلْدِى بها علىَّ فَلاَ أَقْدِرُ، حتَّى المَمَاتِ ، أَجحدُهَا
فَعُدْ بِهَا ، لاَ عَدِمْتُهَا أبداً ، خيرُ صِلاتِ الكَرِيمِ أَعْوَدُهَا

فتأمل قوله : « له أياد إلى سالفة » أي أنه كان يكرمه قبلُ بعطاياه ، ثم تأمل قوله : « وكم وكم ... » الخ ، فكل ذلك دليل على الذي سبق إلى المتنبي من كرم (محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي) ، وليس يكون شيء من ذلك إلا أن يكون هـذا الرجل من أهل الكوفة الذين عاشرهم المتنبي ، ونال من فواضلهم ، كما بينا ذلك في كتابنا (ص ٢٨ ، من هذه الطبعة) .

٭ ٭ ٭

كفى هذا ، بل لابد من إظهارك على ضَرْب من فقـدان الدكتور طه البَصَر بالشعر إذ يقول : إن في هذه القصيدة ما يدل على أن المتنبي كان لا يزال في حاجة إلى ممارسة قول الشعر وتصريف الكلام : « وذلك حين أراد أن

يذكر الضربة التى تلقَّاها ممدوحه فى وقعة من الوقعات !! (تأمل هذا، وعُدْ إلى مامضى)، فزعم أن هذه الضربة شرّفت ممدوحه ولم تلحق به ضرراً ولا أذى»، ص ٨٥ .

والدكتور يعنى قول المتنبى :

يَالَيْتَ بِى ضَرْبَةً أُتِيحَ لهـا كما أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُها

أَثَّرَ فيهاَ وفى الحدِيدِ ، وما أَثَّرَ فى وجْهِهِ مُهَنَّدُها

(فاغْتَبَطَتْ إذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهَا بمثله ، والجراحُ تَحْسُدُها)

فالمتنبى يقول فى البيت الأخير أن الجراحَ هى التى شَرُفت وعظمت وتزينت بحدوثها لممدوحه ، والدكتور يزعم لك أن المتنبى يقول: إن الممدوح هو الذى شرف .. إلى آخر ما أتى به من كلام الأحلام .

وبهذا الضرب من الفهم ، وهذا النوع من البصر بالشعر، وبهذه الأمانة التى ثقلت فى السموات والأرض، نختم نقد الفصل الخامس من كتاب الدكتور طه ، وما بقى فى هذا الفصل مما لم نعرض له ، فالقارىء بعد الذى كتبناه أملك له وأهدى فيه .

وللسبت المقبل نَقْدُ مايلى ذلك من كلام مولانا العالم البصير المتثبِّت .

أما الفصل السادس من كتاب الدكتور طه فهو الذى يسوِّد صفحات كتابه من ص ٩٢ إلى ص ٩٨ ، يقول فى فاتحته: « وأول مسألة تعرض لنا فى هذا الطريق ، مسألة « تاريخية » بالطبع ، أو مسألتان تاريخيتان ، فمتى ارتحل المتنبى عن بغداد قاصداً إلى الشام؟ وهل من سبيل إلى توقيت القصائد التى قالها فى الشام ، قبل أن تنتهى به الحوادث إلى السجن ؟ » ص ٩٢ .

أما أول ما يتساءل عنه الدكتور ، وهو : متى ارتحل المتنبى عن بغداد قاصداً إلى الشام ؟ فهو سؤال من الباطل بحيث علمت مما قدمناه فى الكلمة السالفة ، إذ قلنا إن وَضْع رحلة المتنبى إلى بغداد على مذهب الدكتور ، إنما أتاه من قِبَلِ أنه لم يفهم الشعر الذى استنبط منه حقيقة هذا الرأى ، وقد رحل المتنبى إلى بغداد ولا شك فى بعض أيامه ، ولكنه لم يرحل إليها مادحاً (محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى) = بل كانت رحلته لمدحه من الكوفة إلى ظاهر الكوفة فى البادية ، حيث كان محمد يقاتلُ جماعة من العرب أو من القرامطة على ما ذهبنا إليه .

وإذا أنت انطلقت مع الدكتور فى قراءة كلامه عن هذه المسألة ، رأيته

فيها من الرأى ما تعرف وما تنكر ، من مثل قوله : إنه يخالف الأستاذ (بلاشير) فى إقامة المتنبى ببغداد ، وأنه - أعنى الدكتور - يرجح أن إقامته بها لم تطل ، وأنه لم يكن آمناً فى بغداد ، كما لم يكن آمناً فى الكوفة ، وأنه لم يختلف إلى مجالس العلماء ، ولا إلى أندية الأدب ، ولم يتصل بأحد من الأشخاص الظاهرين إلا محمد بن عبد الله (هكذا) العلوى الذى مدحه بالقصيدة التى فرغ من تحليلها (كما يتوهم) آنفاً ، ص ٩٢و٩٣ .

ولقد تعلم أن هذا كلَّه باطل ، لأن الأصل الذى بُنِىَ عليه باطل ، وقد قدمنا فى كلامنا الدليل على بطلان الأصل ، فلا نصدّع أنفسنا بالعودة إليه والإفاضة فيه ، فإن ذلك تعب فى غير طائل ، كما كان رأى الدكتور نفسه تعباً فى غير طائل .

ومن أعجب الأباطيل التى يتردّى فى مهاويها الدكتور طه ، فيأتى بالدعوى الموضوعة المتكذّبة مجترئاً متهجماً غير متهيّب من نقد ، ولا متحرِّج من إثم ، ما يقول فى ص ٩٣ : « وأكبر الظن أن خوف المتنبى واحتياطَه هما اللذان حملاه على أن يخفى (اسمه ونسبه) ، إن كان له نسب ، على القبائل التى كان ينتقل بينها أثناء رحلته » ، انتهى . وحقًّا قالت الرواة إن المتنبى كان (يكتم نسبه) ، فما فى ذلك شك ، ولكن من أين أتى الدكتور طه بقوله إن المتنبى كان يخفى (اسمه) ؟ وأى امرىء من الرواة زعم له ذلك أو حدثه به وأوحى إليه : أن المتنبى فى هذه الرحلة بعينها ، كان قد خرج خائفاً يترقب (ص : ٩٣) ، حتى يلجأ إلى مثل هذا الفعل ؟ إنه ليس أهونَ على الدكتور

طه من أن يقول القول يدّعيه مُسْتَأْنفاً غير مسبوق إليه ، ثم يضمّه إلى هذه الفقرات التى يتقمّمها من هنا ومن ثَمَّ ، لينشىء فى كلامه معنى التاريخ ، وإن كان التاريخ ليتبرأ منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب . . ! !

أما المسألة الثانية ، وهى : هل من سبيل إلى توقيت القصائد التى قالها المتنبى فى الشام قبل أن تنتهى به الحوادث إلى السجن ؟ ، فهى المسألة على الحقيقة . وليس بفخرٍ أن نقول إننا كنّا أوّل من تنبّه إلى توقيتها ، وجعلها من مادة التاريخ . وقد قلنا فى ذيل ص : **٢٧** من كتابنا : « اعلم أننا نجتهد فى تاريخ ما لم يؤرخ من قصائد المتنبى = وقد وجدنا فى ذلك المشقة وما فوقها = لنترجم للرجل على بينة وهدى ، وستجد فائدة ذلك فى كثير مما يمرُّ بك إن شاء الله » .

وكل من قرأ كتابنا عرف الذى أتينا به من ذلك ، لا بل إن الدكتور طه حسين بك نفسه فى أول لقاء لى معه فى يوم من أيام أسبوع المتنبى بالجمعية الجغرافية وَقَفَ إلىَّ يثنى على كتابى بما أستحى أن أردِّده فى هذا المكان من كلامى ، ثم اعتَرَف بأن أحدًا لم يسبقنى إلى توقيت قصائد المتنبى هذه ، وأنه قد رضى كل الرضا ، أو كما قال ، عن الذى تدرَّجت فيه من بيان رحلته حين مخرجه إلى الشام ، وأن هذا الترتيب الذى اهتديتُ إليه هو الترتيبُ . . إلى آخر كلامه الذى أذكره ولا أنساه له . وسترى فيما يلى أن الدكتور طه هذا العبقرى ، لم يزد فى كلامه الذى أفضى به إلى الناس عن رحلة المتنبى — شيئًا ليس فى كلامنا الذى لم نُسْبَقْ إليه .

ومع ذلك يزعم الدكتور طه فى ص ٩٤ : « أن توقيت هذه القصائد إن لم يكن ممكنًا كله ، فليس مستحيلاً كله » = وهذه العبارة هى ترجمة عملنا ، بعد أن فرغنا من سرد رحلة المتنبي = : « هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير مُيَسَّر بعد لغُموضها ونقصها ، ولهذه الرحلة تفسير آخر سنعرضه بعدُ » انتهى .

ثم زعم الدكتور بعقب ذلك أن له (هو !!) « إلى ذلك التوقيت طريقتين : فأمَّا أُولاها فتتصل بنفس الشاعر ، وأما ثانيتهما فتتصل بطريق الشاعر حين اضطرابه فى بلاد الشام . فأما الطريقة الأولى ، وهى الطريقة النفسية ، إن صح هذا التعبير ، فإنى أستنبطها من طبيعة الحياة العقلية والشعورية التى كان يحياها المتنبى قبل أن تلم به الكارثة ، فقد رأيناه قرمطىّ الهوى فى الكوفة لا يتحفظ ولا يحتاط ، ورأيناه شيعياً فى بغداد ومتحرِّجاً يصطنع الحذر ، ورأينا أنه فى أكبر الظن إنما سافر بقرمطيّته إلى الشام ليدعو إليها هناك . وإذن فلا بد أن يمتاز شعر المتنبى فى هذا الطَّور من حياته بشيئين : أحدهما آراء قرمطية تظهر فى هذا الشعر .. والثانى تحفظ واحتياط يدفع الشاعر إلى أن يخفى آراءه ما استطاع إذا خاف أو شَكَّ .. فإذا استطعنا أن نتبين هاتين الخلَّتين فى طائفة من قصائد المتنبى ، فأكبر الظن أن هذه القصائد قد قيلت فى هذا الطور » ، انتهى .

وهذا ضرب من الخطل فى الرأى لا ينتصب للمدافعة عنه والمنابذة دونه ، أولا يقف جهده على العمل به والتصرف فيه ، إلا مَنْ كان فى مثل بادرة الدكتور

العبقرى وتدفعه واندلاقه ، مجترئاً على الحق ، وإن ألغى باب المنطق = ومُتهجِّماً على الحكم ، وإن أبطل عمل العقل . وإلا فأىُّ امرىء فى هذه الدنيا التى ابتلينا بممارستها والتصرف فيها ، يستبيح لنفسه أن يستنبط شيئاً من كلام ، ويستخرج من هذا الاستنباط معنى يقيمه صِفَةً على صاحبه ، ثم يجعل هذا هو السبيل إلى تحديد معانى الكلام نفسه أو توقيته أو تاريخه ؟ !

وبيان ذلك أن الاستنباط الذى يكون من القوة بحيث يثبت صفةً أو يقرر رأياً ، أو يستحدث معنًى لم يكن ، ليس إليه سبيل إلا بعد الفراغ من الترتيب ، والترتيب يقتضى التعاقب ، والتعاقب هو توقيت الكلام فى مواقيته وتحديده فى حدوده . فالدكتور قد استنبط من شعر المتنبى — على ما فيه من الخطأ — أنه كان قرمطىَّ الهوى فى صباه من سنة كذا إلى سنة كذا ، فكيف يجعل هذا الرأى نفسه هو السبيلَ إلى التوقيت ؟ وكيف يتم له العمل به فى تفصيل هذا التاريخ ؟ هذا مالا نعلمه والدكتور لعلمه بفساد هذا المذهب ، لم يستطع أن يطبقه فى شىء مما أتى به ، بل لقد شهد أنه « أكثر اعتماداً على الطريقة الثانية الجغرافية ، منه على هذه الطريقة الأولى النفسية » ، وما ذلك إلا لأنه تكلم ولم يعرف ما وراءها ، وإنما هو كلام يقال (والسلام) !!

أما الطريقة الثانية التى (يصطنعها) الدكتور طه ، وهى الطريقة الجغرافية ، فيقول فى بيانها فى ص ٩٥ : « فالظاهر أن المتنبى قد خرج من

بغداد متابعاً طريق الجزيرة ، حتى انتهى إليها فأقام فيها وفى شمال الشام دهراً ، ينتقل بين القبائل البادية ، وبين المتحضرين فى المدن ، يمدح الرؤساء وسَراة الناس ، كما يمدح أوساطهم وفقراءهم أيضاً » = ثم يدعى هـذه الدعوى الباطلة : « وهو فى أثناء هذا كله يمتحن أولئك وهؤلاء ليتبين استعدادهم للقرمطية ، وتهيؤهم للخروج على السلطان العباسى » إلى آخر كلامه = ثم يقول إنك إذا قرأت القسم الأول من ديوان المتنبى رأيته ينقسم إلى ثلاثة أقسام جغرافية :

« القسم الأول : قيل فى الجزيرة وشمال الشام ، والقسم الثانى قيل فى اللاذقية وهو موقوفٌ على التنوخيين ، والقسم الثالث فى طرابلس » ، ص٩٦ ويخيل إلى الدكتور أن المتنبى قد جاء سورية من شمالها ، ثم مضى فأقام فى طرابلس حيناً (قصيراً) = تأمل هذا = ثم انحرف إلى اللاذقية فأطال فيها المقام ، ثم انصرف عنها إلى طبرية ، فأقام قليلاً ، ثم عاد إلى اللاذقية ، ثم تركها إلى البادية غير بعيد من حمص ، فلم يكد يعلن الدعوة إلى الثورة حتى أُخِذَ وأُلقى فى السجن » ، ص ٩٧ . ومهما يكن من شىء !! فهو يفترض أن المتنبى قد سلك هذه الطريق التى رسمها ، وإذن فسيسلك هذه الطريق نفسها فى درس شعره فى هذا الطور على النحو الآتى : (١) شعره فى سورية الشمالية (٢) شعره فى طرابلس (٣) شعره فى اللاذقية (٤) شعره حين كان يستعد للثورة فى البادية (٥) وأخيراً شعره فى السجن » ، ص ٩٨ انتهى ـ

* * *

هذا ما قاله الدكتور طه . وانظر الآن ماقلناه فى ص ٧٥ ، ٧٦ من كتابنا ثم قارن بينهما واحكم بما شئت :

« خرج الفتى من الكوفة واتخذ طريقه =على ماوقع عندنا من الرأى= من الكوفة إلى بغداد ، ثم (خرج لوقته !!) متخذاً طريقه فى ديار ربيعة بين النهرين ، إلى نَصِيبين ، ورأس عين، وحَرَّان ، ومَنْبِج ، وطفق ينتقل بين القبائل فى جوف البوادى حتى انقضى به المسير إلى الشام فى سنة ٣٢١ ، فنزل بدمشق وأعمالها ومايدانيها (أعنى بعلبك وطرابلس وحمص) ، ثم كره الأرض التى نزلها ، ثم صَعَّد سَنَنَهُ إلى منبج ، وحلب ، واللاذقية ، وأنطاكية ، ومدح بها من مدح ، ثم اعتقل بحمص ، لما قالوا به من ادّعائه العلوية ، ثم النبوة ثم العلوية ، ثمّ استُتِيب وأُشْهِد عليه بالكذب فيما ادَّعى ، ثم تابَ وأُطلِقَ . هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير ميسر بعد لغموضها ونقصها . ولهذه الرحلة عندنا تفسير آخر سنعرضه بعد » .

هذا ماقلناه : ولعلك رأيت مافيه مما (يشبه) كلام الدكتور طه ، هذا العبقرى ، ولعلك فطنت إلى أن الدكتور طه كما قدمنـــا يزعم أنه يخالف الأستاذ (بلاشير) فى إقامة المتنبى ببغداد ، وأنه (أى الدكتور) يرجح أن المتنبى لم يطل الإقامة ببغداد = ونحن نقول ، كما رأيت ، أن المتنبى خرج من بغداد (لوقته) . ونحن لانحب أن نحرج الدكتور طه فنلجئه إلى مأزق ضنك يلتزمه لا يتقلقل فيه إلا على أذًى يدركه ، أو جائحة تناله ، إذ نطلب إليه أن

يعرض علينا شعر المتنبي ليستخرج منه كل هذا الذى قال به فى التقسيم الجغرافى ، وهو نفسه قد تجنّب ذلك فى كتابه . ولو قد كان يطيقه ، أو يصبر عليه ، أو يُسَوّغ القدرة على التصرف فيه ، لما كان أحجم على القول فى ذلك استكثاراً وتضخياً وتفخياً لكتابه ، وتلبّساً بالفهم ، وتظاهراً بأداة العلم .. ولكنه قد وسعه أن يدع ذلك ، لأنه لا يسعه أن يقول فيه بمثل الذى قاله فى نسب المتنبي أو قرمطيته من الحشو اللفظى الرائق المعجب الذى استكثر به وتجمّل . والمسألة كلها أن الدكتور أخذ الذى كتبناه فى ترتيب رحلة المتنبي ، فقدّم له بهذه المقدمة المنطقية ، ليُرِيَ قارىء كلامه أنه قرأ وتدبّر وفكّر وأجهد تلافيف دماغه ، فاستخرج هذا الترتيب (الجديد) لهذه الرحلة ! وما به شىء من ذلك ، وقد عافاه الله منه وعصمه دونه ، ومتعه بالعافية من وَبَلته وعَقَابيله .

* * *

وَثمّةَ فى هذا الفصل من القول المعترض فى مدارج الكلام ، ما هو خطأ وتحكم وتشدُّق بغير علم ، وتلبيس بالهوى ولجاجة ، ننصرف عنه ولا نعرض له ، إذ كان فى الذى قدمنا من الرأى فى الكلمات السالفة ما يبطلها ويدل على فسادها ، ويظهر عَوَارها ، ويكشف عن قلتها وفُسولتها .

* * *

وأما وقد فرغنا من هذه الأبواب الأولى التى هى مظنة العلم والفهم فى كتاب الدكتور طه ، والتى يُشَبِّهُ للقارىء أن فيها من الرأى ما هو مستحدث غير قديم ، ومن العلم ما هو محقّق غير مضعوف ؛ ومن الاستنباط ما هو مبتدع

غير مرويّ ولا متّبع = فما نجد بُدًّا من الضرب عليها بكلمة تبين عن غَرَض الدكتور من الإتيان بها ووضعها ، أو تأليفها ، أو جمعها ، أو إملائها ، أيَّ ذلك شئتَ .

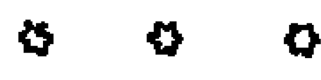
وخلاصة ما أراد أن يقول به الدكتور طه في جميع هذه الفُصول من أول كتابه : أنَّ نسب المتنبي عنده موضع شك ، ولكن شك الدكتور هذا في نسبه ليس يعتمد على دليل ولا شبهة . ثم إن هذا الشك قد يدفعه إلى القول بأن المتنبي لم يكن يعرف أباه ، ولم يكن يعرف أمه ، ولم يكن يعرف لنفسه قبيلة ينتمي إليها ، وأن مولده كان شاذاً ليس كمولد غيره من أبناء (الآباء) ، ثم أفضى من ذلك إلى صفة المتنبي في طفولته ، ثم في صباه ، ثم اختلع الرأي اختلاعاً ، فزعم أن المتنبي كان قرمطياً ، لا بل كان من دعاة القرامطة ، وأن رحلته إلى الشام كانت لذلك ، وأنه كان قد خرج إليها « ليمتحن الرؤساء والسراة وأوساط الناس وفقراءهم ليتبين استعدادهم للقرمطية وتهيؤهم للخروج على السلطان العباسي ، الذي كانوا يخضعون له في ذلك الوقت خضوعاً فيه غير قليل من التلوُّن والاضطراب » ص ٩٦ .

وقد قدمنا في أوّل كلماتنا أن الدكتور طه إنما شك في نسب المتنبي تقليداً لنا ، وقَصًّا على آثارنا ، لأننا أول من فطن إلى الشك في رواية الرواة وأوّل من صرَّح بذلك ، وأجلب على كلامهم الشبهة وأدخل عليها التضعيف . ثم جمعنا الأسباب ، وأخرجنا منها مسبباتها ، حتى انتهينا إلى القول بأن

المتنبي كان علويَّ النسب ، وأتينا بما يحملنا على ذلك من شعر المتنبي نفسه ، وما كان في نفسه من اجتناب العلويين من أهل زمانه في مدح أو ذم ، مع أنه قد نشأ في بلدتهم (الكوفة) ، وتخرّج من كتاب كان فيه (أولاد أشراف الكوفة) ، وقد استقصينا بعض ذلك فيما مضى .

وأما الدكتور طه فحين قلدنا في الشك ، أحرجه الأمر أوّلاً فلم يستطع مناصاً من قذف المتنبي بأنه كان (لا يعرف أباه ولا أمه ، وأن مولده كان شاذاً) ، فلما بلغ ذلك لم يجد في رأيه غَنَاء ، ولا وجد له وزناً ، ولا اهتدى إلى طريق يتعسَّفها من هذا الرأى حتى يبلغ القول في حياة المتنبي والترجمة له مبلغاً يُحْمد عليه = فأبلس وانتشر عليه الرأى ، فلم يجد له مخرجاً إلا أن يضع يده على رأى الأستاذ (بلاشير) في أن المتنبي حين خرج من الكوفة اتصل بالقرامطة ، فاصطنع هذا الرأى ، ثم تملّكه ، ثم تصرّف فيه تصرف المالك على ما بيناه آنفاً ، وتعسّف وأخطأ ، وعمى عن وجه الصواب في فهم الشعر الذى استدل به لرأيه واستجلبه لمذهبه . ولماذا ، لماذا ؟ لأنه أراد أن يقلّدنا وأن يجعل قرمطية المتنبي هي سبب رحلته عن الكوفة ، وهي سبب تقلقله في البلاد واضطرابه ، وهي الغرض الذى كان ينشده في حياته ، وهي الرأى الذى كان يمتحن عليه الرجال ، وهي التي كانت أخيراً سبباً في مقتله ... وأن يكون كتابه تقليداً لكتابنا بناء إذ جعلنا مشكلة نسبه العلويّ هي التي كانت سبب مخرجه من الكوفة ، وهي كانت سبب تقلقله في البلاد واضطرابه ، وهي الغرض الذى كان ينشده في أول حياته ، وهي التي أدّت به إلى السجن في الذى زعموه من أمر (نبوّته) ، ثم هي التي كانت أخيراً في ختام أيامه سبباً في مقتله = ، ولأننا

جعلنا المتنبي فتًى عربيًّا قد أنكر أمر الدولة وما وقعت فيه من سلطان الأعجمية، وكان بهذه العربية يمتحن الناس ، فيأنس إليهم ، ويستوحشهم ويفرّ من أرضهم = ولأننا جعلنا المتنبي داعية سياسيًّا من دعاة العربية فى أقطارها = فلم يجد الدكتور بُدًّا من أن يفعل مثل الذى فعلناه ، فيجعل القرمطية فى كتابه بإزاء العلوية فى كتابنا .



ونحن هنا لا نفخر بأننا أوّل من كتب تاريخ المتنبي على هذا الوضع الذى تراه فى كتابنا ، ولكننا نقرّر ذلك إقراراً للحق ، وبياناً للذى فعله معنا الدكتور طه ، حين أخذ آراءنا فأفسدها ، ووضعها فى غير موضعها واستعملها بغير حقه ، وأخرج كتابه على غِرَار كتابنا غير متهيب ولا متورِّع من مَذَمَّة أو إثم . وأغراه بذلك ما يعلم من عظيم شهرته وبعيد صيته ، وما يعلم مما نحن فيه من الخفاء والصمت وقلة الاكتراث بالدعاية الملفقة لأنفسنا = وما يعلم من أن الأصل فى كثير من قراء زماننا أن يتعبدوا للأسماء الرنانة المعروفة ، والألقاب العظيمة المشهورة ، وأن خطأهم الكبير هو الصوابُ الكبير ، لأنهم هم قالته والناطقون به ... ونحن لا نبالى بشىء من هذا كله ، ولو جاءنا الدكتور طه فالتمس هذا الكتاب منا لنزلنا له عنه ، ما كان نزولنا عنه مما يردّ عن العلم هذا الفساد الذى أظهره بكتابه كما بيّنا ، وما كان هذا النزول سببًا فى ستر عيوب رجل قد نصب نفسه ، أو قد نصَّبه سواه ، صدراً فى الأدب العربى فى مصر ، وفى معهد من من أكبر معاهدها ، هو كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولكن ....

وننتهى من هذه الكلمة حيث انتهى بنا هذا الفصل من كتابه فى ص ٩٨ ، فإن فى الذى يستقبل من كتاب الدكتور طُولاً قد امتدَّ وسمق وتسامى !! وإن فى حاجة النفس لما يشغلنا عن الدكتور طه وما يأتى به أو يقع فيه أو يعرض دونه :

لَيْتَ الحَوَادِثَ باعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ
مِنِّي ، بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِبَتِي

* * *

نبوة المتنبي

نبوة المتنبي

محمود محمد شاكر

كتب الأخ سعيد الأفغاني كلمة عن (دين المتنبي) في العددين من الرسالة (١٦١ و١٦٢) سنة ١٩٣٦، وقد عرض فيها لنبوّة أبي الطيّب التي يزعمونها وقمت وكانت منه مندوحةً عن القول (أو كما قال)، (بأن تنبؤه في الأعراب أمر وقع حقيقة ولاسبيل إلى الشكّ فيه، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة حتى التي كانت تميل إليه كل الميل، فإنها لم تنف الأمر، وإنما التمست له المعاذير). ثم علق على هذا فقال:

« قرأت أخيراً عدد المقتطف الذي كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبّي خاصّةً، فإذا به يذهبُ إلى نفي تنبُّؤ أبي الطيب الذي اتفقت عليه كل المصادر تقريباً. وقد أنعمت في تدبُّر الأسباب الحادية على النّفْي فلم أجد مَقْنَعًا، به من القوّةِ مايقف لهذه الروايات الصحيحة!!

« والتاريخُ لايثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلّف أو رأيه، ولابد فيه حالَ النفي من التعرُّض لجميع الأخبار المثبتة خبراً خبراً، وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر!!

«وأمر ادعاء المتنبي العلوية ليس فيه ما يهيج عليه كل هذا، على رغم ذلك الخيال الجميل الذي لبس ادعاءه إياها في الكتاب المذكور!!

« وإذا كان ماذهب إليه الأستاذ صحيحاً، ففيم خجَلُ أبي الطيب

وحياؤه كلما سئل عن أمر لقبه المتنبي ؟ ولم كان يعمدُ إلى اشتقاقه من « النَّبْوَة » تارةً ، ويعتذر بأنه شيء كان في الحداثة تارة ، ويقول إنه يكره التلقّب به ، وأنه (يناديه) به من يريدُ الغضّ منــه ؟ وعلى أى شيء تقع كلمةُ كافور : « من ادعى النبوة بعد محمد ، أما يدّعى الملك مع كافور » ، وكافور ليسَ من الذين يختلقون على شاعر ، ولا ممن يروّج الاختلاق !!

« وقد روى المعرّى — وهو الحجّة الثبت — أمر التنبُّؤ ، وماحفَّ به حادثٍ ومعجزاتٍ في رسالة الغفران . وأبو العـلاء كان أحْرى أن يشكَّ أو يكذب الخبر ، لو أن في الأمر مجالاً للشكّ واحتمالاً للتكذيب لأنه أشدُّ حباً للمتنبّى ، وعصبيّة له ، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكم نقداً للأخبـار ، مع قرب زمان ، وصفاء ذهن ، وقوة حجة ، ومواتاة وسائل التحقق إذ ذاك ! » انتهى .. الرسالة ١٩٣٦ (العدد ١٦١ — ص ١٢٥٥) .

وأنا قد قرأتُ هذا الـكلام في موعده حين صدرت الرسالة وأردتُ أن أردّه ، ثم بدا لى أن أدَعه حيث هُوَ ، فان الذى قرأ ما كتبت يعلمُ مقدار ما في هذا الـكلام من الجودة وحُسن الأداء ، وقوّة الحجة وجلاء البيان ، وسعة الاضطلاع وبلاغة الفهم ، ولـكن بعض أصحابنا لم يزل بى حتى أخذ منى موثقاً أنْ أقول كلمتى فيه .

وهذا النقْد الذى رمانى به أخى الأستاذ سعيد ليسَ ممّا يثيرنى ويُغريني بحمل السلاح والاستعداد للمعركة . ولستُ أقول هذا استصغاراً لما يقول

أخي أو استكباراً لما قلتُ ، بل هو حكمي عليه مجرّداً من كلّ ما يحمل الحكم قاصراً أو باغياً .

وهذا الذي كتبه الأخ سعيد ليس مما أعدّه عندي نقداً ، وإنما هو اعتراضٌ ، والاعتراض شبهة ، والشبهةُ يزيلها البيانُ . أما النقد فأمر آخرُ لم يسوّغ للأخ أن يظفَرَ بالقدرة عليه فيما كتب .

وقد أتى الأخ سعيد في كلامه من قِبَل أنه عدَّ الأخبار المروية عن نبوّة المتنبّي وغيرها أخباراً صحيحةً ابتداء ، وهذا أوّلُ الزلل في نقد الناقِدِ . ولابد لمن يريدُ أن ينقد ناقداً أو يكتب فيما يتناول الروايات والأخبار ، أن يتحقق بدءاً بمعرفة الأصول في علم الرواية ، وأن يستيقن من قدرتِهِ على ضَبْطِ الفكرة حتى لاتنتشر عليه وتتفرق ، ويقع فيها الاختلاف والتضاربُ والمناقضة . فلابُدَّ لي هنا من أن أدلّ الأخ على الأصل في الأخبار حتى يعرف فرقَ ما بين الذي انتهينا إليه ، والذي وقف عنده غيرنا ، ثم نكشِفَ لَهُ عن الشبهة التي جعلته يعترض الذي كتبناه بالذي رفضناهُ ورددناه وأسقطْنا الثقة به والاعتماد عليه .

فالأخبار جميعاً تحتمل الصدقَ والكذبَ كما يقولون . ومعنى ذلك أنها على حالة من البراءة الأولى لاتوصفُ بصِدْقٍ ولابكذب . ولا يستحقُّ الخبرُ صفة الصدق إلّا بالدليل الذي يدلُّ على صدقِهِ ، فإذا لم تجد الدَّليلَ على صدقِهِ ذهبت عَنْهُ صِفَةُ الصدقِ وبقي موقوفاً . فإذا اعترضَتْهُ الشبهات من قِبَلِ

روايته أو من قِبَل درايته مالت به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه ، فلا يؤخذ به ولا يعتمدُ عليه ، ويكونُ عملُ الناقدِ بعد ذلك أن ينظرَ في هذا الخبر نظرة التدبر ليستخرج الحقيقة التي من أجلها تكذَّبُه راويه ، وبذلك يقع على حقائق مدفونة قد سترها الراوي بما كَذَب . وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا (المقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ص : ١٩٣ ، ١٩٥) ، وإليك ماقلناه :

« اعلم أن أكثر مايُرْوى في ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التي تتناقلها مجالسُ الأدباء ، ولا يرادُ بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما روى في تراجم رجالنا ، كان مما يُراد به مضغُ الكلام في مجالس الأمراء أو في سامر الأدباء . هذا على أنها ربما حملت فيما تحمل أشياء لولا ورودها في هذه النصوص لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقات لاينتظم أمره إلاّ بها ، ولا يستمر إلا عليها . فلمثل هذا كان لابُدَّ لنا من النظر في النصوص وتمييزها ، ورد بعضها والأخذ ببعض ، حتى لاتنقطع بنا السبل في الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يفوتنك هذا إذا قرأت ماتكتب أو أردت أن تقرأ أو تكتب » .

وأنا حين أردت أن أكتب عن المتنبي نظرت في هذه الأخبار خبراً خبراً ، فلم أجد دليلاً واحداً يجملها تستحق عندي صفة الصدقَ ، فأبقيتها موقوفة . ثم عدت فنظرتُ ، فتناوشَتْها الشبهات واعتورتها الطعون ، فلم أجد بُدّاً من وَسْمِها بالكذب . ثم عدت إليها فعارضتها بالعقل وشعر الرجل وحوادث التاريخ ، لأستخرج منها الحقائق التي يسترُها الرواة والمتكذِّبون ، فوقعت لي

أشياء هى التى جعلنها أصلاً فيما كتبت . وأنا على يقين من أن الأستاذ سعيد لم يتنبه إلى هذا الذى فعلناه ، مع أنه هو الأصل فى الكتابة والتحقيق . أما التسليمُ فليسَ يجدى شيئاً ، إلا التكرار والمتابعة ، ثم الزلل والتورُّط فيما أراد الكذابون أن يحملوا الناس عليه ويوقعوهم فيه .

ويقينى أن الأخ سعيد لايجد دليلاً على صحة هذه الروايات فيما يزعم إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلانٌ ، ورواها المعرى — وهو الحجة الثبت — « وهو أشد منا حباً للمتنبى ، وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة وأحكم نقداً للأخبار ، مع قرب زمان وصفاء ذهنٍ وقوة حجّة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك » ، ونحن لاننكر على المعرى شيئاً من ذلك ، ولكن الذى نذكره أن الذى كتبناه كان عصبيةً لأبى الطيب ، أو حُبًا له أو فيه . ليكن المعرى صاحب عصبية ، فذلك لايجعلنا نحن من أهل العصبية حتى نعبث بالحقيقة ، ونلعب بفنّ النقد من أجل أبى الطيب أو غيره من الرجال .

أما أن رواية المعرى — وهو صاحب عصبية لأبى الطيب — ممايصحح هذه الأخبار أو يرجح الصدق فيها ، فهو حكم خطأ لايصح لأحد أن يتابع عليه ، فإن أبا العلاء لم يُشهِد كتبَه أنه لايروى إلا الصحيح من الأخبار ، وتَرْكُ المعرّى الشك فيها أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزهٍ عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولايوجب نسبة الكذب إليه ، ولا نفى صفة الصدق عنه .

وأحبُّ أن أقرّب إلى الأخ حقيقة هذه الروايات ... فهو يعلم أن الرواة قد رووا للرسول صلى الله عليه وسلم معجزاتٍ كثيرة ، وكثير من الذى رووه لم يثبته أهل العلم بالحديث على طريقتهم ، وقد رواها قومٌ على عهد الصحابة والتابعين ، وهى كذبٌ مخترعٌ بشهادة أئمة هذا العلم ، وقد بقيت هذه الآثارُ مروية إلى يوم الناس هذا ، وهى عند المتأخرين شائعة معروفة متداولة مصدَّقة ، وقد وردت فى كتب كثير من الأئمة العلماء ، أفيكون تداولها وذيوعها وتصديق العامة لها ، وورودها فى بعض كتب العلماء ، هو الدليل الذى لادليل غيره على صحة هذه الأخبار ؟ ! وأكثر من ذلك ، أيكون ظهورها على عهد الصحابة والتابعين — على قرب زمن كما يقول الأستاذ — وتصديق بعض العامة لها فى ذلك العصر ، وسكوت بعض العلماء عن الكلام فيها ، مما يدل على صدقها ؟ !

ونحن قد أتينا فى الذى كتبناه عن المتنبى بالشبهات التى ترجح الكذب فى هذه الروايات التى يراد بها الوضع من قدر الرجل والتحقير له ، والطعن فى نسبه أو عقله أو خلقه أو أدبه . لا . . بل بيَّنَّا أن ألفاظ هذه الروايات وحدها تحمل أكبر شبهة ، كالذى روى عن هذا اللاذقى المسمى معاذ بن إسماعيل ، وقد رُوِى الخبر بطوله فى كتب كثيرة ، وأوردناه بتمامه فى كتابنا ص ٤٥ — ٤٧ ، واختصره الأخ سعيد فى كلامه فى العدد (١٦١) من الرسالة . ولا أدرى لم اختصره ، فإن الذى يقرؤه يجد فيه سمة الوضع والكذب مستعلنة بما لم تستعلن به فى حديث غيره . وقد بينا بعض وجوه نقده فى كتابنا (ص : ٨٦ — ٩٢) . فكانت حجة الأستاذ سعيد فى رد قولنا

وإسقاطه أنّه (لم يجد فيه مقنعاً به من القوة ما يقف لهـــذه الروايات الصحيحة)، وكان حقّاً على الأستاذ أن يعلّمنى وجوه الضعف فى قولى حتى أستبرىء منه، أما هذه الـكلمة المجرّدة، فليست بالتى تسقط كلامنا جملة واحدة، حتى ولو كان هذا الـكلام سَقَطاً محضاً.

أمّا ما اعترض به علينـا، فنحن نبين له وجهُ بطلانِه. يقول: « وإذا كان ماذهب إليه الأستاذ صحيحاً، ففيم كان خجل أبى الطيب كلما سئل عن أمر لقبه المتنبى .. ؟ » إلى آخر قوله، فإن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواية، وقد أتى به القومُ لِيَعْضُدُوا قولهم فى خرافة النبوّة. وإذا كان أمر نبوّته مشهوراً متعالماً، أو كما يقول اللاذقى إن دعوته (قد عمت كل مدينة بالشام)، وقد بلغ من شهرتها أنه قبض عليه من أجلها بالشام أيضاً وحبس (دهراً طويلاً)، وأن له قرآناً أنزل عليه .. ويزعم أبو على بن أبى حامد أن أهل الشام كانوا يحـكون له سوراً منه كثيرة وأبو الطيب إذ ذاك بحلب، فـكيف يُعقَل بعد هـذه الشهرة أن يبتدر إليه هؤلاء فيسألونه عن حقيقة هذا اللّقَبِ؟ إن السؤال عن (حقيقة اللقب)، بعد هذه الشهرة التى يزعمونها ليدل دلالة قاطعة على وضع هذه الأحاديث المروية والأخبار المتداولة التى تهوّر كثير من الأدنياء فى التسليم بصحتها، كما فعل الأخ سعيد: ولقد كان هؤلاء الذين يزعمون أنهم سألوا أبا الطيب عن حقيقة اللقب (المتنبى) يسألونه وهو بالشام، وفى الشام أظهر نبوته، وفى الشام اشتهر أمره، وأكبر من ذلك أنهم يزعمون أنهم كتبوا عليه

وثيقة أشهدوا عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام، وأنه تائب منه ولا يعاود مثله. فهلّا كان الأَوْلَى بهم أن يظهروا هذه الوثيقة، ولمّا يمض عليها كثير دهر، وقد أخذها عليه والٍ من الولاة، فهى، ولا بد، محفوظة فى ولايته؟ وكان أبو الطيب شجاً فى حلوق الأدباء والشعراء وكثير من أصحاب السلطان وهو فى جوار سيف الدولة، وقد أوقعوا بينه وبين أميره بكل ما ملكوا من أسباب للوقيعة، أفيظن أنهم كانوا يحجمون عن إظهار هذه الوثيقة، وإحراجه بها، والعمل بها على تحقيره، ثم على المنافرة بينه وبين سيف الدولة!! كانت كل هذه النقائض بالشام، ومع ذلك لم يكن من أثرها إلا هذه الروايات الضعيفة التى تحمل ألفاظها الشكوك والريب.

وأسخفُ من هذه الرواية رواية من يروى أنه كان يعمدُ إلى التمويه على الناس بقوله: إن هذا اللقب (المتنبّى) مشتقٌّ من «النَّبْوَة»، فليس يُعقل أن أبا الطيب — وهو يعلم أن نبوته كانت مشهورة كما ذكر الرواة — يعمدُ إلى هذا التوجيه الضعيف الميِّت، وهو يعلمُ أنه كاذبٌ، وأن الناسَ مكذِّبوه، لأنهم يعلمون حقيقة أمره.

واعتذارهُ بأنه يكرهُ التلقُّب به، وأنه يدعوه به من يريد الغَضّ منه، فهو بسبيل من ذلك فى الضعف والسخف. على أنه مع ذلك لايدلُّ دلالة ما على حدوث النبوة التى يزعمونها، بل على العكس من ذلك، إنه ليَدلُّ على أن هذا اللقب مفتعل موضوع للكيد له والغضِّ منه، وأنهم كانوا قد وضعوه لهُ ليَغيظُوه به. ومثلُ ذلك كثيرٌ فى كل عصر ومكان. ولعل الأخ سعيداً لا

لايعدم رجلاً فى بلده قد نبزه الناس بنبز يغيظونه به ، ولا نشك أن هذا الرجل (يكره التلقب به ، وإنما يدعوه به من يريد الغض منه) .

وأما كلمة كافور فهى كلمة مفتعلة موضوعة تافهة ، وإلاّ تكن كذلك ، فليس فيها أيضاً مايدلّ على شيء محقق كان قد حدث من أبى الطيب . وكافورُ كان قد سمع هذه الدعوى التى يزعمونها عن نبوة أبى الطيب وسلّمها ، ثم تكلم ، وليس تسليمُ كافور بها سنداً لها يحقق تاريخها ، ويثبتُ وقوعها بعد الذى ذكرنا لك من ضعف الروايات .

هذا وقد أراد الأستاذ سعيد أن يعلمنا سُبل التحقيق فى التاريخ فقال : « والتاريخُ لايثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ... » إلى آخر قوله ، وهو قد فعل أكثر من ذلك وأكبر ، وذلك أنه بعد اعتراضه قال : « وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ، ولا ممن يروّج الاختلاق » ، ولم يرد فى كلامنا ذكر كافور واختلاقه حتى يعقب الأستاذ هذا التعقيب . هذه واحدة ، والأخرى أن الأستاذ قد حكم على كافور حكماً لم يرد له ذكر فى كتاب ، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخى والبرهان العقلى : أن كافوراً لم يكن يختلق على الناس ، ولا يروّج الاختلاق .. ؟! لقد أتينا نحن بالروايات ونقضناها بالدليل — ضعيفاً كان أو قوياً — أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره .

ثم بقى اعتراض الأستاذ الذى يقول فيه : « وأمر ادعاء المتنبى العلوية ليس فيه مايهيجُ عليه الناس كل هذا » . وأنا لاأعلم ماذا يريد الأستاذ سعيد

بقوله (كل هذا) ، وإذا أرادنى على أن أجيبه على ذلك ، فليبين لى صورة المبالغة فى قوله (كل هذا) ، فأنا لا أعلم من أمر هذه المسألة أكثر من أن الرجُل قبض عليه بالشام وحبس . أما هياجُ الناس، فلم يرد لهُ ذكرٌ فى كلامنا ولا فى كلام الرُّواة . وأما حبسهُ أو قتالُه من أجل العلوية ، فليس ببِدْعٍ فى التاريخ ، وكان لزاماً على الأستاذ قبل أن يكتب هذه الجملة ويصوغ هذا الاعتراض ، أن يرجع إلى كتب التاريخ ليعلم أن الذين قاتلوا أبا الطيب وحبسوه ، كانوا قد قاتلوا من قبله قوماً أو حبسوهم من أجل ادعاء العلوية ، وكذلك فعلوا مع العلويين الذين خرجوا عليهم فى أرضهم وديارهم . فقتاله وحبسه ليسا يثبتان أن هـذا الذى كان من أبى الطيب ، إنما كان إظهاره النبوة لا ادعاءه العلوية .

وبعد ، فلو حمل الأخ سعيد نفسه على تدبُّر الذى كتبناه فى المقتطف عن المتنبى ، لما وقع هذا الاعتراض الذى حاك فى صدره . وقد أشرنا مرات فى كتابنا إلى وجوب ذلك ، فقد كنا نترجم للرجل ترجمة صحيحة يقرؤها القارىء ليتمثل صورة هذا الشاعر العبقرى ، وفاءً له وتقديراً ، بعد مرور ألف سنة على وفاته ، فلم يكن سبيلنا أن نتعرض لأصول النقد وشرحها وتفصيلها ، ولم نأخذ الروايات جميعها بالنقد مرة واحدة ، فإن ذلك كان يقتضى منا وقتاً كثيراً وكتاباً كبيراً ، ولـكن من يطلع على الذى كتبناه منصفاً متدبراً عارفاً بطَرَفٍ من أصول نقد الرواية ، يعلم يقيناً أننا لم نـكتب حرفاً واحداً إلا بعد أن استوفينا عندنا نقد الأخبار (خبراً خبراً) كما يريد

الأستاذ سعيد . وليس عسيراً على المتدبر أن يستخرج من الذى كتبناه الأصولَ التى نقدنا بها هذه الأخبار . ولعل الأستاذ قد قرأ كثيراً مما فاضت به الصحف والمجلات عن المتنبى ، وقرأ فى خلال ذلك كثيراً من نقد الأخبار التى رُوِيَتْ ، ولعله رأى أيضاً أن هؤلاء قد اتخذوا كتابنا مصدراً استنبطوا منه أصول النقد التى وضعناها ، وقاسوا عليها فأخطأوا وأصابوا ، وليس هو بأقل منهم حتى يفوته ما أصاب غيرُه .

حول « نبوة المتنبي »

سعيد الأفغاني

كنت عائداً من جولة فى قرى (البقاع) حين قرأت كلمة الأستاذ الفاضل محمود محمد شاكر فى العدد (١٦٧) من الرسالة الغراء، التى كتبها رداً على حاشية بحثنا فى دين المتنبي المنشور فى العددين (١٦١، ١٦٢) من المجلة المذكورة.

وكانت قراءتى لرده، بعد عشرة أيام من صدوره. فإذا تأخرت فى التعليق عليه، فهذا عذرى أبسطه للقراء الكرام، وأنا أعوذ بالله من الغرور والذهاب بالنفس، ومن الجهل بمقدارها، والمكابرة فى العلم، والعصبية للرأى والهوى، فما يزال الناس — ولله الحمد — يقيسون فضل المرء بخضوعه للحق وإتقانه لعمله، لا بدعواه وتبجحه. وقد ولَّى زمن كان فيه الولوع بالإغراب والإتيان بالجديد — ولو تافهاً — سبيلاً إلى الشهرة وذيوع الصيت، وأقبل زمان فيه للتفكير حرمة وللعقل وزن، وكفى فيه المؤلفون مؤونة الثناء على النفس والتحدث إلى القراء بمزايا آثارهم وما تفردت به من معجزات.

وهؤلاء ذوو البصيرة من القراء يقلّبون ما يطالعون كل مُقلَّب، يقع إليهم الكتاب فيمحصونه ويفلُونه ويتدبرون ما فيه حتى تنكشف لهم منه

مواطن الحسن والقبح ، ويلمسون فيه آثار العجلة ، كما يلمسون مواضع التؤدة والروية .

وفى هذا ما كاد يصرفنى عن الرد ، سيراً على قاعدتى فى ألا أحفل نقداً ولا رداً إلا إذا كان حقاً . وسبيلى حينئذ أن آخذ نفسى به وأشكر لصاحبه ، وإلا فإن الزبد يذهب جُفاء وما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . وخروجى اليوم على قاعدتى ، إنما كان لمنزلة الكاتب الفاضل لا لما فى الرد نفسه . وليس فى الأمر كل ماظنه الأستاذ شاكر : فلا إثارة ولا إغراء ولا سلاح ولا استعداد لمعارك ، إنما هى حاشية على كلام له المحل الثانى من بحثى ، لم أرد بها نقد كتاب ولا التعرض لمؤلف ، وشتان بين أسطر علقت عرضاً فى حاشية ، وبين كلام مطول أنشىء للنقد خاصة .

أنا أدرى — والإنصاف شريعة — أن الكلام على كتاب الأستاذ شاكر لا يكفيه فصل كبير ، ففى الكتاب إحسان ، وفيه إصابة واجتهاد ، وفيه أماكن جديرة بالثناء حظيت بجهود حالفها التوفيق مرة وأخطأها مرة .

* * *

وبعد ، فإنى أشكر الأستاذ على نقله كلامى بحروفه ، لأن عمله هذا سمح للقراء أن ينظروا : هل بلغ الأستاذ فى الجواب على أسئلتى ما يريد من إزالة الشبهات الواردة عليه ، أم قصّروا دون هذه الغاية ؟ أمَّا أنا فقد عدت إلى

كتاب الأستاذ كما طلب إلىّ، «وأنعمت — ثانية — فى تدبر الأسباب الحادية على نفى تنبؤ أبى الطيب فلم أجد فيها مقنعاً »، كما لم أعثر فى رده الذى تفضل به على شىء من الحجة . وإليك البيان :

١ — وهّن الأستاذ رواية التنوخى لأنه صاحب الوزير المهلبى ، ولأن المهلبى عدوّ المتنبى، فلا يبعد أن يكون التنوخى تحامل على أبى الطيب إرضاء للمهلبى.[1] فنحن نسأله : هل يكفى هذا الاحتمال فى تبرير رد رواية التنوخى، وهى كما يراها المنصف تحمل فى مطاويها دليل الصدق والأمانة فى نقل الحديث ، لادليل الوضع والكذب ؟ سأل التنوخى أبا الطيب عن معنى (المتنبى) فأجابه : « إن هذا شىء كان فى الحداثة » ، وظاهر أنه يعنى التلقيب لا التنبؤ ، فجوابه غير صريح ، وهو كما قال الراوى جواب مغالط ، وكان فى وسع التنوخى أن يحمّل المتنبى — لو أراد وضعاً وتحاملاً — جواباً صريحاً فى ادعائه النبوة. ولو استقام هذا الأصل الذى بنى عليه الأستاذ رواية التنوخى ، لجاز لكل من أراد نفى خبر أن يورد عليه مثل هذه الاحتمالات الخيالية فيسقطه . وما أحسب أن خبراً — مهما كان صحيحاً — يستعصى إسقاطه على هذا الأصل !

إنما السبيل أن ينقّب الأستاذ عن نص صحيح صريح فى تجريح الراوى التنوخى ، وأنه عُهِدَ منه وضع الأخبار ودسّ الروايات ، أو أن يلجأ إلى حجة — لا إلى احتمال — قوية يرضاها العقل والمنطق السليم .

(١) انظر السفر الأول ص ٢٠٠ ، وأرقام الصفحات كلها لهذه الطبعة .

٢ — استهل الأستاذ كتابه بفرض فرضه ، وخلاصته أن المتنبي علويّ صحيح النسب ، وأنه أخذ بكتمان هذا النسب لعداوة بينه وبين العلويين ، زعمها الأستاذ ولم يعرفها التاريخ . ثم ذهل حضرته عن أن هذا كان منه فرضاً ودعوى ، فراح يعدّه بعد صفحات حقيقةً واقعةً يبنى عليها ، ويشرح بموجبها أبيات الديوان ويكذب، مستنداً إليها، الروايات ، ويتهم الراوين . وهو بذلك يخرج على أصول سنها هو لنفسه ، وأخبر عنها في رده علينا حين قال : « ولابد لمن يريد أن ينقد ناقداً أو يكتب فيما يتناول الروايات والأخبار ، أن يتحقق بدءاً بمعرفة الأصول في علم الرواية ، وأن يستيقن من قدرته على ضبط الفكرة حتى لاتنتشر عليه وتتفرق ، ويقع فيها الاختلاف والتضارب والمناقضة » . ونحن ننقل للقارىء أدلة على هذا الذهول من مواضع متفرقة من كتابه، ليستبين أن الكاتب لم يتمكن من ضبط فكرته، فانتشرت عليه وتفرقت . قال في ص٨٥ :« بينا لك فيما مرّ ما بين أبي الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأر قديم . . . » ، يقصد بما مرَّ احتماله الذى لخصناه آنفاً . وقال في ص ٩٢ : « وبينّ على مذهبنا في نسب المتنبي أن الرجل حبس من أجل دعوى العلوية »، وقال في ص١٠٢ : « وكأني بالمتنبي في طريقه يظهر في القبائل والمدن أمر نسبه ويذيع بينهم أنه علوي الأصل شريف النسب محتالاً لذلك بالدهاء . . ! ». فأنت ترى أن هذا النسب العلوى وعداء العلويين كانا فرضاً أول الكتاب ، ثم صارا حقيقة مقررة في وسطه .

وماذا فى أن يكون المتنبى علوياً حتى يهتم به العلويون هذا الاهتمام ، وحتى يحتال هو لإذاعته فى القبائل والمدن بالدهاء ، والبلاد تعج عجيجاً بالعلويين والأشراف ؟

والغريب أن يتخذ الأستاذ من نظريته هذه التى افترضها برهاناً يضرب به كل الروايات والأخبار التى تحمل أمر تنبئه ، ويشغل الأمراء والناس والعلويين ودعاتهم بأمر فتى دون العشرين يدعى العلوية فقط ، فيقول فى رد رواية اللاذقى ص٨٥ : « أما اللاذقى فمجهول، ولا يتيسر نقد سنده ، ولكن مما لاشك فيه أن اللاذقية التى نسب إليها كانت لوقت أبى الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومحطاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة فى التاريخ العربى كله » ، هل اهتمامهم بفتى دون العشرين من عمره من الأحداث العظيمة التى أحدثوها فى التاريخ العربى كله أيها الأستاذ ؟ ! ولم لايغتالونه مرة واحدة ، ويريحون أنفسهم من وضع الأخبار والدس عند الحكام ؟ إن فى الأمر مطامح لنفس هذا الفتى جعل سُلَّمه إليها شيئاً آخر مع العلوية هو أكبر منها وأخطر .

وقد رددت أنا قسماً كبيراً من رواية اللاذقى هذا ، ولكن لشىء غير ماذهب إليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً . وما أكثر مايبين الإنسان لنفسه الخطة فى البحث، ثم « تنتشر عليه الفكرة » فيبنى على غير أساس . ولست أجد كلاماً فى تصوير عمل الأستاذ وأصوله فى بحوثه، أصدق من قول الجاحظ فى إبراهيم النظام وهو هذا : « وكان عيبه الذى لايفارقه سوء ظنه

وجودة قياسه على العارض والخاطر السابق الذى لا يوثق بمثله ، فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل الذى قاس عليه ، لكان أمره على الخلاص ، ولكنه يظن الظن ، ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظناً ».[1]

٣ — يورد الأستاذ على حديث أبى على بن أبى حامد شبهة واحدة ، بعد أن يقر بإحكامه ، ويقول عنه ص ٨٦ : « فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قِبَلِ غرابته عما جرت عليه الأحكام فى شأن من يدعون النبوة . . . الخ » ، وقد أطال فى بيان وجه الغرابة بما لا فائدة بنقله هنا . والذى فى كلام أبى على هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام » ، وجلىٌّ أنهم استتابوه من دعوى النبوة ، فرجع بذلك إلى الإسلام . أما الوثيقة فهى ببطلان علويته ، وبهذا تزول شبهة الأستاذ ، فإن من المألوف أن تكتب الوثائق فى إثبات الأنساب ونفيها .

٤ — عرض الأستاذ لرواية الهاشمى التى فيها : « كان أبو الطيب لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادَّعى أنه علوى ، ثم ادّعى النبوّة ، ثم عاد يدعى أنه علوىّ ، إلى أن أشهد عليه فى الشام بالتوبة وأطلق » . وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى .

---

(١) الحيوان ج ٢ ص ٨٣

ومنها ومن الرواية التى قبلها ، نفهم أنه لما أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين . وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض ، ولا داع لأن يرجح الأستاذ ص٨٧ إقحام لفظ النبوة بين العلويتين فى حديث الهاشمى ، وليقول : « إن المراد بالنبوة فى حديث أبى على بن أبى حامد العلوية » ، فعلوية أبى الطيب التى أراد أن يفسر بها النبوة الواردة فى الروايات على اختلاف مصادرها ، لم تسلم له من الأصل ، وبقى المتنبى جعفياً يمنياً . وإذا كان لابد من إيراد احتمال، فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الرواية فى غنى عن هذا الفرض أيضاً ، وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه ، وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابة الوثيقة .

٥ — بقيت رواية الناشىء القائلة : « كنت بالكوفة سنة ٣٢٥ وأنا أملى شعرى فى المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عنى ، وكان المتنبى إذ ذاك يحضر معهم وهو بَعْدُ لم يعرف ولم يلقب بالمتنبى » . هذا الخبر هو مظنة أن يكون فيه بعض الحجة ، فلنفرضه صحيحاً ، ولننظر ماذا تحته : إن فيه نصاً على أن أبا الطيب لم يلقب بَعْدُ بالمتنبى ولم يعرف فى الكوفة ، وإذا شئنا الدقة فى التعبير قلنا : إنه لم يبلغ أهل الكوفة أمر هذا اللقب ، فيجوز أن يكون لقب به فى الشام ، ويجوز ألا يكون . وليس فى خبر الناشىء شىء آخر غير هذا . وبيان ذلك أن أبا الطيب ادعى النبوة للأعراب ، ثم سجن ثم أطلق

وانتهى أمره ونسيه الناس ، ثم حصل فى الكوفة سنة ٣٢٥ ، وحضر مجلس الناشىء فتى فى الثانية والعشرين ، ولما عاد إلى الشعر واتصل بالأمراء وبسيف الدولة وناوش الناس وناوشوه ، وصاول الشعراء وصاولوه ، وتفاقم الشر بينه وبين الناس ، نبشوا تاريخه — وهو هناك معروف — فأذاعوا منه هذه الزلة التى كانت فى حداثته ، وتعلقوا بها ، وسار له فى الناس هذا اللقب : (المتنبى) .

* * *

لهذه الأسباب — وهى للقارىء معروضة — لم أجد فى كلام الأستاذ شاكر « مقنعاً به من القوة مايقف لهذه الروايات الصحيحة » . وأظن أنى أبنت له — كما أحب هو — وجوه الضعف فى قوله ، وسواء على وعلى الحق : أستبرأ الأستاذ من قوله أم لا . ولابد أن يكون القارىء شعر بحرصى على على وزن كلامى حرفاً حرفاً ، وأنى لم أسرف ولم أرسل القول على عواهنه . وقد عجبت كل العجب من الأستاذ — وهو الناقد الأصولى الفنان — حين لم يدر لم اختصرت حديث اللاذقى ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فإن الزيادات التى أهملتها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثمة حاجة لأدلّ القراء على سبب إهمالها ، لأن تهافتها بين ، وكثير أن تُجَرَّد عليها حملة كالتى نزل بها الأستاذ الميدان ، فخصص لها صفحتين من كتابه القيم . وهو يعلم — حفظه الله — أن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول ، كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث . وأنا أستحيي من شرح هذا فى مجلة (الرسالة) ، على رغم أن الأستاذ لم يجد بأساً فى أن يعرفنا أن الخبر مايحتمل الصـــدق

والكذب ، وأن وأن . . . الخ الخ ، مما يدرسه الطلاب المبتدئون . وأنا قد عملت بما أعرف من أصول البحث والتمحيص من دون أن أمُنّ على قرائى . أما أستاذنا الفاضل فقد ملأ رده من مثل هـذه الألفاظ : رواية ، دراية ، أصول نقد . . الخ ، وكلامى وكلامه أمام القارىء ، وله وحده أن يحكم أين الرواية والدراية والأصول حقيقة لا ادعاء ، وما التهويل بمغنٍ عن أحدنا فتيلاً .

كنت أتوقع أن يتحفنا الأستاذ بالبراهين التى سوّغت له رد الروايات فلم يفعل . أقول لم يفعل ، لأن أقواله : « رفضناه ورددناه وأسقطنا الثقة به والاعتماد عليه »، « إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواة »، « أخبار متداولة تهوّر كثير من الأدباء فى التسليم بصحتها » ، « أما كلمة كافور فمفتعلة » «وأسخف من هذه الرواية رواية من يروى .. »= إن أقواله هذه ، ولو أتبع كل كلمة منها بجميع مرادفاتها ومؤكداتها اللفظية والمعنوية ، هى أليق بمظاهرة هتافية ينادى فيها بسقوط فلان وفلان ، منها ببحث على ، العمدة فيه الحجة والبرهان . وأى شيء فى أن ينبز كاتب روايات التاريخ بالبطلان والكذب ، ثم لا يكون دليله عليها إلا أنها كذب وبطلان ! !

هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ماليس تحمل ، فأنا لم أدّع للمعرى تنزهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر فى كتب العلماء هو الدليل الذى لا دليل غيره » ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة ، بل هو مما ييسر للمحقق

وسائله . كما أنى لم أسلم بكل الروايات ولم أعدها صحيحة ابتداء ، فقد رددت منها ما وجدت فيه إلى الرد سبيلاً ، ونقدت حكماً أدرج فى مصدر من أمهات المصادر وأجلها ، وهو خزانة الأدب ، حين وجدت للنقد مجالاً ، ولكل من النقد والرد والتسليم مواطن . وكيف تريدنى أن أقنع قرائى بأمر لم أقتنع به ، وإلى أشياء أخرى يتحقق من رجع إلى مقالى أنى لم أذهب إليها ؟

ونحن لم نتهم الأستاذ بالعصبية للمتنبى ، ولكنه هو هو قدم لنا فى رده دليلاً على عصبيته لرأيه ، وليس لنا فى هذا الأمر يدان . ولما قلت عن كافور : « وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ، ولا ممن يروّج الاختلاق » ، خُيِّل للأستاذ أن ثمة نصراً مؤزراً فقال : « إن الإستاذ قد حكم على كافور حكماً لم يرد له ذكر فى كتاب ، فهل يستطع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخى والبرهان العقلى : أن كافوراً لم يختلق على الناس ولا يروج الاختلاق؟ لقد أتينا نحن (بارك الله) بالروايات ونقضناها بالدليل — ضعيفاً أو قوياً — أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره » اه .

وعلى رغم أن الدليل على المثبت لا على النافى — كما لا يخفى على الأستاذ الأصولى — وأن على من يدعى على كافور الاختلاق وترويجه أن يقيم البينة ، على رغم هذا نحيل الأستاذ على الذهبى الذى وصف دينه وتواضعه فقال :

« وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهجد ويمرّغ وجهه ساجداً ويقول : « اللهم لاتسلط على مخلوقاً » ، وكان يرسل كل ليلة عيد وَقْرَ بغلٍ دراهم فى صُرَرٍ بأسماء من أرسلت إليهم من العلماء والزهاد والفقراء .. »

ونحيله أيضاً على الذهبى وغيره من المؤرخين الذين أجمعوا على وفور عقله وحسن تدبيره وصلاحه . ويرى الأستاذ معنا أن فقه هذه الروايات — وهو الخبير بالرواية والدراية — يجعل كافوراً بمنجاة من النزول إلى هذا الدرك ، وإن فى أمور ملكه وبعد غوره ، مايشغله عن الاختلاق على شاعر تكفى إشارة منه لتذهب برأسه . إن مايسبغه المؤرخون على كافور من الصفات ، يكفى لنقول ببعده عن جميع السفاسف جملة واحدة . ففى التاريخ بينة وفيه دليل ، ولكن للعجلة فى الحكم آفات .

هذا وفى نفسى مما أورده الأستاذ المحقق شىء ، فهل يسمح لى أن أطالبه بالدليل العلمى على قوله الجازم: « اعلم أن أكثر مايروى فى ترجمة هذا الرجل (المتنبى) وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالس الأدباء ولايراد بها التحقيق ، ولاينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما يروى فى تراجم رجالنا كان مما يراد به مضغ الكلام فى مجالس الأمراء أو فى سامر الأدباء ... الخ » . وهل يتفضل فيبين لنا البرهان القاطع فى قوله جواباً على سؤالى : « إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواة الخ » ، فمن هم هؤلاء الرواة الذين لفقوا

الأباطيل ؟ إلى متى أعرفهم ، يسهل عليّ من دون شك أن أسأل عن الأسباب الحادية لهم على التلفيق .

وأنا غير مطمئن إلى قول ابن جنى فى سبب تلقيب أبى الطيب بالمتنبى ، فابن جنى مفرط فى حبه لصاحبه والدفاع عنه ، وهو متهم فيه . فهل لأستاذنا أن يعزز قوله بروايات أخرى سبيلها على غير ابن جنى وعلى غير ما حوله ؟ فإن تعذر هذا ، فلا عليه أن يؤيدها بأدلة لا اعتراض للفكر السليم عليها . ولا بأس أن نقول له ، وقد قرأنا ختام رده الذى أثنى فيه على نفسه وعلى كتابه بما هو له أهل : أنت كما أثنيت على نفسك ، ولكن إذا كان كتابك قد اتخذه — كما زعمت — بعض الكتاب « مصدراً استنبطوا به أصول النقد » ، فلسنا بالذين نسمى الطعن المجرد للروايات أصولاً فى النقد ، وما لهذا أيضاً علاقة بالبحث . وهلّا إذ ذكرت ذلك دللتنا على أسماء هؤلاء الكتاب والمجلات التى نشروا بها ، والمواطن التى قلدوك فيها ، لنهنئك على شيوع مذهبك وكثرة المؤمنين به ؟ ولعلك فاعل عن قريب إن شاء الله .

أما أنا فما كنت أظن قط أن أسطراً تذكر عرضاً فى رد فكرة ، تثير مثل هذا الفاضل فيحمل منها هماً يجد وَقْرَه وعنته اثنين وأربعين يوماً ، ثم ينفثه فى رده الذى تكرم به على مثل هذا الشكل .

لقد وددت والله لو أن الأستاذ شاكراً نقب عن الحجة وتحرى الحق لأعترف له به وأرجع إلى قوله . وصحف (الرسالة) أحوج إلى أن تملأ

بالحقائق والبرهان ، منها إلى الدعوى والانتقاض . وأتمنى للأستاذ أن يهجر هذا الأسلوب فى الجدال ، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً ، كما لم يغن طنين الأستاذ صروف بالإشادة بمزايا الكتاب فى مقدمته . والمأمول من الله أن يأخذ بيد الأستاذ شاكر فيتمم لنا كتابه الضخم عن المتنبى الذى قُدِّرَ بأربعة مجلدات ، وأتمنى أن أراه قريباً ، وأن أرى فيه حقائق الرواية والدراية وأصول النقد، لاألفاظها فقط . وليس بمهم بعد ذلك أن تكون هذه الأصول حديثة يخترعها الأستاذ ، أو قديمة على غرار ماتألف عقول هذا الناس ، إنما المهم أن تكون صحيحة سوية .

وسأكون سعيداً حقاً يوم ينقد الأستاذ الأخبار خبراً خبراً ، فيعارض بينها ويقابل ، ويمحصها تمحيصاً يرضيه هو ويستفيد منه القراء الذين لايخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيلٌ من صاحبه ومراوغة فى الحط منه ، فإن هذا هو الأشكل بالأستاذ الكريم والأليق بفضله والأولى بسجاياه ، وله — فى الختام — شكرى وخالص تقديرى ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

(دمشق) سعيد الأفغانى

نبوة المتنبي أيضاً

محمود محمد شاكر

أخي سعيد الأفغاني

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فإني أشكر لأخي حُسن ظنِّه بي في بعض كلامه ، ومسارعته في الرد على كلمتي التي نشرتها الرسالة (العدد ١٦٧) . هذا على أنه ليس يجمُلُ بالأستاذ أن يحمّل نفسه تكاليف الرد على مثلي ، فإن الذي بيننا من التخالُفِ في الطبيعة ، والتبـايُن في الجبِلَّة ليقوم في هذا الأمر مقامَ الردّ . وأيضاً ، فليس مما يحسُنُ به أن يبسُطُ عذره للقراء عن تأخر الرد بجولته في قرى (البقاع) ، وأن قراءته للذي أتيت به من الكلام كانت بعـد عشرة أيام من صدوره . وليعلمْ الأستاذُ الجليلُ أني أحب أن يحملني على طبيعتي ، وأن يتقبلني على علتي ، وأن يعرفني رجلاً شيمتُه العجزُ ودأبُه التخلُّف ، فلا قِبَل له بمثل قدرة الأستاذ وقوته على مدِّ الشوْط ، هذا على ما ركِّب في أصل خلقتي من الحدة والثورة وضيق الصدْر . وليس أدلّ على ما بيننا من تباين الجبِـلة — من الذي استيقنه الأستاذ وأثبته فيَّ من التخلُّفِ والعجز ، والذي رأيته فيه من القدرة والمسارعة ، فهو لم يضيق ذرعاً بكل الذي كتبناه ، ولا تخلّف في ردِّ كلامنا وإسقاطه بالحجة والبيان والبرهان في أوجز لفظ ، وأوزن فـكر ، وأدق فهم ... ثم في أقل وقت . وأنا — على

تقيضه ، فأنا كما وصفني الأستاذ حين يقول : « أما أنا فما كنت أظنّ !! أسطراً تذكر عرضاً في ردّ فكرة تثير (مثل هذا) الفاضل ، فيحمل هماً يجد وَقْرَهُ وعَنَتَه اثنين وأربعين يوماً ، ثم ينفثه في ردّه الذي تكرم به على مثل هذا الشكل » . ولا أدري لم لا يظنّ الأستاذُ ذلك ؟ ألا فليعلم أخي سعيد أن اثنين وأربعين يوماً ليس كثير دهر على عاجزٍ وَجِلٍ هيَّابٍ متخلِّف ، وأن كلمته الصغيرة — التي أثارتني فحملت همًّا أجد وقره وعنته اثنين وأربعين يوماً — كانت مما يقتضيني عامين على الأقلّ في تقليبها وفهمها ودراستها أواصل ليلها بالنهار ، ثم في الاستعداد للردّ ، ثم في جمع شتات الذهن ، ثم في نفض الذهول عن العقل والفكر ، ثم في كتابة ما يُسِّر لي قليل على تحريره والنظر في صدوره وأعقابه .

وبعدُ أيضاً ، فإن أخي سعيد قد رماني بقارصاتٍ ، وهو الذي يقول عن كلمتي في الرسالة : «وصحف الرسالة أحوجُ إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها إلى الدعوى والانتقاض ، وأتمنى للأستاذ أن يهجُر هذا الأسلوب في الجدال ، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً ، كما لم يغن (طنينُ) الأستاذ صروف بالإشادة بمزايا الكتاب في مقدمته » اهـ .

ولست أدري ! فلعل صُحف الرسالة قد غنيت بأساليب البيان العبقري ، والسخرية النابغة من مثل قوله عن كلمات فؤاد صروف (طنين الأستاذ صروف) ، فالطنين في هذه العبارة كلمة بيانية مبتدعة ، فيها من الفنّ والموسيقى ما يتضاءلُ معه إبداع جلّة الكُتّاب والشعراء والموسيقيين . ومثلُ

الذى يقول : « وأنا أعوذُ بالله من الغرور ، والذهاب بالنفس ، ومن الجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم ، والعصبية للرأى والهوى ، فمايزال الناس — ولله الحمد — يقيسون فضل المرء بخضوعه للحق ، وإتقانه لعمله ، لا بدعواه و (تبجُّحه) » ، إلى آخر هذا الكلام البليغ الذى لو أراده الجاحظ وجهد فيه واحتفَل له ، لما تعلّق بذيله ، ولا جرى فى غباره . وأنا أعوذ بالأخ أن يعودَ إلى مثل هـذا القولِ ، فإنى أكره أن أجزى أخاً لى بالذى أعلم أنّه يؤذيه ويُرْمِضُه ، فيذهله عن منازل الصَّبر ، ويستفزّهُ عن مواطن الحلم .

وليسَ أحبّ إلى نفسى من أن أهتدىَ إلى الحق على علم وبصيرة ، وأن أخضَعَ له على الرضى والغضب ، وأن أعمل على إقراره ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً . فلا يتّهمنّ — أخى الأستاذ سيد — ظنه أنّا من أهل الغرور ، والذهاب بالنفس ، والجهل بمقـــــدارها ، والمكابرة فى العلم ، والجدال فيما لاجدوى منه ولامنفعة . وسأنتهى — إن شاء الله — مع الأخ إلى النهـاية التى يرضاها غير باغٍ ولاظالم . فأولُ ما أبدأ به بيانُ ما ورد فى كلمته (الرسالة ١٧٠) ، من التّهافُت فى بعض القولِ ، ثم أعقّبُ على ذلك بذكر نبوّة أبى الطيب ، وتقرير القول فى نفيها على وجه يبلغ بنا رضاه ، ثم أجيبه عن كل ماسألنيه من شىء . فإن اعترض فى خلال ذلك ، نظرت فى الذى يأتى به ، فإن غلبنـا على الحق ، أسلمنا وبذلنا له الطاعة ، وإن رضى ، قولنا فهو عند قاعدته التى ذكرها « ألا يحفِلَ نَقْداً أو رداً إلا إذا كان حقاً ، وسبيله أن يأخذ نفسه به ، ويشكر لصاحبه » .

١ — قال الأستاذ سعيد حين ذكر خبر التنوخى ورأينا فى ردّه : « سأل التنوخى أبا الطيب عن معنى (المتنبى) فأجابه : « إن هذا شىء كان فى الحداثة » ، وظاهر أنه يعنى التلقيب لا التنبؤ ، فجوابه غير صريح ، وهو ، كما قال الراوى ، جواب مغالط » اهـ .

والأصل الذى اعتمد عليه الأستاذ فيما ينقل هو (طبقات الأدباء) لابن الأنبارى ، ونص الخبر ثَمَّ : « قال التنوخى ، قال لى أبى : فأما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبى ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أَوْلا ، فجاوبنى بجواب مغالط ، وقال: إن هذا شىء كان فى الحداثة ، فاستحييت أن أستقصى عليه وأمسكت » . وهذا نَصٌّ قد اختصره ابن الأنبارى على عادته ، وجاء الأستاذ سعيد فأراد أن يبين وجه المغالطة فى الجواب ، فزعم أن أبا الطيب يعنى التلقيب لا التنبؤ فى جوابه . وكان أولى بالأستاذ قبل أن يؤوِّل الكلام على هذا الوجه ، أن يتدبر القول وينظر فيه على الصورة التى يؤوِّله بها ، ثم يبين وجه المغالطة بيانًا لا يسقطه العقل .

يقول التنوخى : إنه سأل أبا الطيب عن معنى (المتنبى) ليسمَعَ منه هل تنبأ أو لا — أى هل كان اللقب لحادث نبوة كانت منه أم هو نَبزٌ نُبِزَ به ولُقِّب — فيجيبه أبو الطيب : « إن هذا التلقيب كان فى الحداثة » . فأين المغالطة فى هذا الجواب ! وفى المسألة وجهان : إمَّا أن يكون التنوخى قد سأل أبا الطيب مصرِّحًا بالذى أراده فقال له : هل ادعيت فسميت المتنبى ؟ فيقول أبو الطيب : « هذا شىء كان فى الحداثة » ، فيكون المراد (النبوّة) ولا شك

وإمَّا أن يكون قد سأله عن علة تلقيبه بالمتنبى ، فيقول : « هـذا شىء كان فى الحداثة » ، فيكون جواب رجل لا يحب أن يمتد فى الحديث فهو يقطعه على سائله ، فهو يقول له : إن هذا اللقب وسببه كانا فى الحداثة ، ولست براض عن سؤالك . فليس فى هذا مغالطة . ثم إن امتناعه عن ذكر علةٍ غير النبوة فى سبب التسمية ، دليل على أن النبوة هى العلة فى التلقيب ، لأن اللفظ صريح فى الدلالة على المعنى . وليس يغفُلُ أبو الطيب عن معنى هذا اللقب ، ولا يظن أن الناس غافلون عنه ، فيكون امتناعه عن ذكر العلة مما يوقعهم فى حيرة من تأويل معناه .

ثم ما الذى يضر أبا الطيب لو كان هذا التلقيب فى الكبر ولم يكن فى الحداثة ؟ فحرصه على تخصيص ما أراد من المعنى بالحداثة ، ينفى إرادة (التلقيب) ألبتة . وأولى حين يكون التخصيص بالحداثة أن يراد بذلك النبوة ، فإن قوة التدفع ، وسموّ الطموح ، وإشراف النفس ، وتهاويل الأمل ، هى بالحداثة ألزم ، وهى التى تؤرِّث نيران الشباب فتدفعه إلى المغامرة والتهور والمخاطرة على غير هدى ولا بصيرة ، حتى يركب بها صاحبها الحدَث الغِرُّ كلَّ مركب من الحماقة ، ويَرِد بها كل مورد من الغرور ، فلا يرعوى عن أن يدّعى ما لا مطمَع له فيه ، ولو كانَ النبوّة .

وقول التنوخى بعد جواب أبى الطيب : « فاستحييت أن أستقصى عليه فأمسكت » ، دليل على أن الرجل اكتفى بإشارة أبى الطيب إلى حادث النبوة ، وأمسك عن الذى كان يريده أوّلاً من التصريح فى إثبات ما كان من أمره فى ادعاء النبوة .

واختصار ابن الأنبارى خبر التنوخى ، هو الذى دفع الأستاذ إلى هذا التأويل . وأصل خبر التنوخى أنه قال : « حدثنى أبى قال : أمّا أنا فإنى سألته بالأهواز سنة أربع وخمسين وثلثمئة — عند اجتيازه بها إلى فارس فى حديث طويل جرى بيننا — عن معنى المتنبى ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ، فأجابنى بجواب مغالط لى ، وهو أن قال : هذا شىء كان فى الحداثة أوجبته الصورة ! فاستحييت أن أستقصى عليه وأمسكت» . فالمغالطة فى قوله « أوجبته الصورة » ، والصورة ههنا الصفة ، على اصطلاح أهل الكلام ، وصفة الحداثة لاتوجب ادعاء النبوّة ، فهذا هو وجه المغالطة . فلما رأى التنوخى — وهو شاب لم يَعْدُ السابعة والعشرين من عمره ، وأبو الطيب إذ ذاك شيخ قد نيَّف على الخمسين — ما أصاب هذا الشيخ من الحرج وضيق الصدر حتى لجأ إلى المغالطة فى التعليل ، وتسويغ فعلته على السفسطة ، استحيا أن يستقصى على هذا الشيخ ، فأمسك عن الذى يؤلمه ويغيظه ويضع من كبريائه ويحط من شيخوخته ، ويلجئه إلى ركوب الإحالة فى المنطق ، والفساد فى التعليل .

٢ — ويقول الأستاذ سعيد : « يورد الأستاذ على حديث أبى علىّ بن أبى حامد شبهة واحدة ، بعد أن يقرّ بإحكامه ، ويقول عنه فى ص٨٦ : « فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قِبلَ غرابته عما جرت عليه الأحكامُ فى شأن من يدعون النبوة . . . الخ » . وقد أطال فى بيان وجه الغرابة بما لافائدة بنقله هنا : (سبحان الله ياسعيد ! !) ، والذى فى كلام أبى علىّ

هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ورجوعه إلى الإسلام » ، وجلىٌّ أنهم استتابوه من دعوى النبوّة فرجع بذلك إلى الإسلام ، أما الوثيقة فهى ببطلان علويته ، وبهذا تزول شبهة الأستاذ (!!) ، فإن من المألوف أن تكتب الوثائق فى إثبات الأنساب ونفيها » اه .

* * *

وعجبٌ أمر الأستاذ سعيد فى حرصه على تأويل الكلام بما لا وجه له ولا أصل . وهو فى نقله هذا النص قد اعتمد على كتاب ابن الانبارى ، وهو مُولعٌ باختصار الأخبار (واختزالها) ، وهذا تمام خبر أبى على بن أبى حامد :

« أخبرنا التنوخى ، حدثنى أبى ، قال حدثنى أبو علىّ بن أبى حامد ، قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون — وأبو الطيب بها إذ ذاك — أنه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها ، إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية ، فقاتله وأنفره ، وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب . وحبسه فى السجن حبساً طويلاً ، فاعتلّ وكاد أن يتلف ، حتى سئل فى أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ، ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائبٌ منه ، ولا يعاودُ مثلَهُ ، وأطلقه » . فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية فى هذا الخبر ، ولا فى غيره مما رُوى عن أبى علىّ بن أبى حامد هذا ، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه ،

وهو لم يذكرها فيه ولم ترد عنه فى خبر غيره ، ثم تعمد إلى الكلام فتؤوّل بعضهُ على النبوّة وبعضهُ على العلوية، فتجعل التوبة للأولى والوثيقة للآخرة؟ ورحم الله أبا عثمان الجاحظ ، فلو أنه أدرك عصرنا هذا لقال فى ذلك أمثل مما قال فى إبراهيم النظام ،[1] فنص الخبر مبينٌ عن أن أمير حمص كتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها (١) بأن ماادّعاه باطلٌ — وهو النبوّة— (٢)وأنه رجع إلى الإسلام (٣) وأنه تائبٌ منه (٤) وأنه لا يعاود مثله . فهذه أربعةٌ فى قَرَن كانت فى هذه الوثيقة ، فكيف تسوِّغُ عربية الكلام للأستاذ سعيد تأويله وبيانه ؟ فلو سلمنا للأستاذ سعيد بالذى ذهب إليه لكان سياقُ الكلام هكذا : « حتى سئل فى أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ادعائه العلوية ، وأنه رجع إلى الإسلام ، وأنه تائب (منه) ، وأنه لايعاود مثله » ، فعلى أيِّ الكلام عطفت جملة قوله « وأنه رجع إلى الإسلام » ، وإلى أى مذكور يرجع الضمير فى قوله « وأنه تائب (منه) » ؟ وكيف تردّ أوائل هذا الكلام على أواخره ليستقيم على عربيته ؟ !

إن أخى الأستاذسعيد ليأخذ من الكلام ما يشاء ويدع مايشاء ، وبذلك (تزول شبهة الأستاذ) ، أو كما قال .

٣ — ثم يقول : « عرض الأستاذ لرواية الهاشمى التى قال فيها : (كان أبو الطيب لما خرج إلى كلب وأقام فيها ادعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه فى الشأم بالتوبة وأطلق) . وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى .

---

(١) وصفنا الأستاذ سعيد بمقالة أبى عثمان فى إبراهيم النظام ، فراجعه ص : ٢٠٠ ، ٢٠١

ومنها ومن الرواية التى قبلها نفهم أنه لما أطاق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض ... » اهـ .

يقول الأستاذ سعيد إن هذا الخبر الذى رواه يعنى (أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوّة بقى على دعواه الأولى) ، والخبر يقول إنه « ادّعى العلوية ، ثم ادّعى النبوّة ، ثم عاد يدعى أنه علوى » ، والعربية تقول إن هذا النص لا يمكن تأويله على الوجه الذى أراده الأستاذ ، فإن لها ألفاظاً ، وإن لألفاظها معانى ، وإن لمعانيها حدوداً ، فإخراج المعنى عن حدّه إخراجٌ للفظ عن معناه ، وإخراج اللفظ عن معناه إخراج له عن العربية . يقول الخبر : « ثم عاد يدّعى أنه علوىّ » فيقول الأستاذ مؤوّله ، ومعنى ذلك « ثم بقى على دعوى العلوية » ! ! ثم يقول الأستاذ : « ومنها ومن الرواية التى قبلها نفهم (أولا نفهم ، فالأمر بعد هذا سواء) أنه لما أطاق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين » . ففى الخبر الذى قبل هذا أقحم الأستاذ العلوية ولا ذكر لها فيه ، وجعل الوثيقة المذكورة فيه يراد بها دعوى العلوية . وفى هذا الخبر الذى رواهُ ولا ذكر للوثيقة فيه ، أقحم الوثيقة التى يراد بها الإشهاد عليه فيها ببطلان انتسابه للعلوية التى ادعاها ، وذكرها الخبر مرتين . فهذا أروعُ ما وقع لى من القدرة على الجمع بين الروايات (كما هو مستوفًى بكتب مصطلح الحديث ، وأنا أستحى

أن أشرحهذا فى مجلة (الرسالة) ... مما يدرسه الطلاب المبتدئون).[١]

وهذا الخبر أيضاً اعتمد الأستاذ فى نقله على (اختزال) أبى البركات (ابن الأنبارى) فى طبقات الأدباء . وسياقُ الرواية هكذا : « وقد كان المتنبى لما خرج إلى كلبٍ وأقام فيهم ، ادَّعى أنه علوىٌّ حسنىٌّ ، ثم ادّعى بعد ذلك النبوّة ، ثم عاد يدعى أنه علوىٌّ ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب فى الدعويين ، وحبس دهراً طويلاً وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » . وقد كان هذا النصُّ أمثل من (مختزل) ابن الأنبارى للذى يعتمده الأستاذ من التأويل ، وهو أحفل له فى استخراج مادة الجدل فى التفسير والتوجيه . على أن هذا الخبر هو كما وصفناهُ فى كتابنا ص ٨٥ ، « عجيبٌ لا يفرغ من العجب من اختصاره وتداخله » . فمن ذلك أنه صريحٌ بيّنٌ فى الدلالة على أنه قد أشهد على أبى الطيب مرتين : (الأولى) إشهادٌ عليه بأنه قد كذب فى (الدعويين) ، و(الآخرة) استتابةٌ وإشهادٌ عليه بالتوبة .

ففى المرة الأولى ذكر ابن أم شيبان الهاشمى (دعويين) أشهد أبو الطيب على نفسه بالكذب فيهما ، فإن أراد (بالدعويين) دعوى العلوية ودعوى النبوّة جميعاً ، كان كلامُهُ كلُّهُ خَلْطاً مُتداخلاً ، فإنه ليس يكفى فيمن ادعى النبوّة أن يشهد على نفسه بالكذب ، بل لا بُدَّ مَعهُ من الاستتابة والرجوع إلى الإسلام والإقرار به ، فإن لم يُعط ذلك قُتِل ، فإن كان فُعِلَ معه ذلك

(١) انظر ص : ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

وتاب وأقرّ ، فما قوله بعد ذلك « وحُبس دهراً طويلا (سنتين) وأشرف على القتل ، (ثم) استُتِيب ، وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ولم أعيدت استتابته ؟ أيكون هذا كله لغواً باطلاً من القول !!

فإن أراد (بالدعويين) ادعاء العلوية في المرة الأولى والمرة الآخرة ، فالأمر في ذلك على خلاف المعقول . أيقدّم الوالي الإشهاد بالكذب في دعوى العلوية ، وهي لا تخرج من الإسلام ، ولا يكفر بها مدعيها ، ولا يقتل من أجلها إن أصرّ عليها = ويدع ادعاءه النبوة فلا يقتله أو يستتيبه إلا بعد أن يحبسه دهرًا طويلاً حتى يشرف على القتل ، فيومئذ يستتيبه ويشهد عليه بالتوبة !!

ولفساد هذا الخبر وجوهٌ أخرى ، ولكنه على أي وجهيه أدرته ، لا يسوّغ للأستاذ أن يقول فيه « وهذه الرواية تعني أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك النبوة بقي على ادعائه العلوية » ، إلا أن يلغي معاني الكلمات التي وردت فيه ، أو يحيلها عن وجهها ، فيكون « ثم » ، « وعاد » كلمات مغسولة من المعاني ، ثم يزيد على ذلك أن يزيد في الكلام معاني ألفاظ لم تكن فيه . كقوله : «وحين ترك النبوّة بقي على ادعائه العلوية » . ولو أراد الأستاذ أن أن يتأوّل هذا الخبر على وجه مقارب ، لما خرج له إلا أن يقول فيه : « إن أبا الطيب تخلى عن دعوى العلوية ، وحين تركها بقي على ادعاء النبوة حتى استتيب فأطلق » ، وهذا محال .

وليعلم الأستاذ أني تركت له أبواباً من القول توطّىء له أن ينفذ إلى

الاعتراض ، فليعترض قولى بما شاء ، ولـكنى أسأله أن ينظر فى اعتراضه أوّلاً ، ثم فى الخبر بعد ، ثم فى كلامى آخراً ، فلعله يجد فى ذلك ما يمنعه من الاعتراض ويقنعه بالصواب . وأسأله أيضاً أن يتحرى فى فهم الأخبار ما تقتضيه عربية الـكلام حتى تستقيم له المعانى ، وتتجه به الآراء إلى الحق والهدى إن شاء الله .

نبوة المتنبي أيضاً

محمود محمد شاكر

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة الرأى والهوى ، كما نعوذ بك من سوء الاقتداء والتقليد .

٤ — يقول الأستاذ سعيد الأفغانى فى العــدد (١٧٠) من (الرسالة) بعقِب حديثه عن رأينا فى ردّ رواية اللاذقىّ — الذى كان قد آمَن بنبوّة المتنبى أبى الطيب ، وأسلم له ، وبايعه بيعة الإقرار بصدق نبوّته ، وزاد أن أخذ البيعة لأهله كذلك : « وقد رددتُ أنا قسماً كبيراً من رواية اللاذقىّ هذا لشىء غير ماذهب إليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً » . وقد وفى الأستاذ بعِدَته فأبان خير الإبانة عن (الشىء) الذى من أجله (ردّ قسماً كبيراً) من رواية (اللاذقىّ هذا) . وهذا بيانه بعد كلام كثير ، يقول : « وقد عجبتُ كل العجب من الأستاذ — وهو النــاقد الأصولىّ الفنّان (أستغفر الله ياسعيد) — حين لم يَدْرِ لم اختصرت حديث اللاذقى ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فإن الزيادات التى أهملتها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثمّتَ حاجةٌ لأدُلّ القراء على سبب إهمالها لأن تهافُتها بيِّنٌ . وكثيرٌ أن تجرَّدَ عليها حملةٌ كالتى نزل بها الأستاذُ الميدان ! ! فخصّص لها صفحتين من كتابه القيم ، وهو يعلمُ حفظه الله أن من أدِلّة الوضع عند المحدّثين مخالفة الواقع والمعقول ، كما هو مستوفًى بكتب مصطلح الحديث » ا هـ .

عونَك اللهمّ ! فلستُ أدرى من أين أبدأ فى بيانِ تهافتِ هذا القول وتناقضه ! هذا رجُلٌ سمّاه أبوهُ معاذاً ، فكان عند الذين قرأوا حديثه « أبا عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقىّ » ، وهو فى الرواة مجهول غيرُ معروف بصدقٍ ولا بكذبٍ ، وقدجاءنا هذا الرّجُل ينبئنا عن أبى الطيب خبرَ قدومه اللاذقية سنة نيفٍ وعشرين وثلثمئة ، فيأتى بحديثٍ طويل ممتدٍّ .

١ — يذكر فيه حلية أبى الطيب وصفته وسمته وحسن أدبه .

٢ — ثم يذكر حديثاً جرى بينه وبين أبى الطيب ، فيقول له اللاذقىّ : « والله إنك لشابٌّ خطير ، تصلح لمنادمة ملكٍ كبير ! » ، فيكون جواب أبى الطيب : « ويحك ! أتدرى ماتقول ؟ أنا نبىٌّ مرسل » .

٣ — ثم يذكر رسالة أبى الطيب إلى أمته الضالة المُضِلّة ! وغرض رسالته .

٤ — ثم ماسمع من قرآن أبى الطيب الذى وصفه بقوله : « فأتانى بكلامٍ ما مرّ بسمعى أحسنُ منه » .

٥ — ثم يذكرُ عدد آيات هذا القرآن .

٦ — ثم يخرجُ إلى ذكر معجزة هذا المتنبى فى حبس المدرار (المطر) ، لقطع أرزاق العصاةِ والفجّار .

٧ — ثم يقولُ إنه خرج مع غلام أبى الطيب ليرى المعجزة ، فلمّا

استيقنها واطمأن بها قلبُه ، انفلتَ إلى أبي الطيب وهو يقولُ : « ابسُط يدك . . . أشهدُ أنك رسولُ الله » ، فبسط يدهُ فبايعه بيعة الإقرار بنبوّته .

٨ — ثم لم يَنِ هذا اللاذقيّ حتى أخذ بيعته لأهله .

٩ — ثم يقول بعد : « ثم (صَحّ) أن البيعة عمّت كل مدينة بالشام » (ياسبحان الله) .

١٠ — ثم يعقِّبُ على ذلك أن معجزة أبي الطيب كانت « بأصغر حيلةٍ تعلمها من بعض العرب وهيَ (صَدْحَةُ المطر) » .

١١ — ثم يزعمُ أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقيّ رضى الله عنه ! « أنه رأى أهل السَّكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون ذلك ولا يتعاظمونه ، حتى إن أحدهم ليصدح عن غنمه وإبله وعن القرية التي هو فيها ، فلا يصيبها شيء من المطر .

١٢ — ثم يقول إنه سأل أبا الطيب هل دخلت السكون ، فيقول له : نعم ! أما سمعت قولي :

مُلِثَّ القطرِ ، أعْطِشْها ربوعاَ ... وإلّا فاسْقِهَــا السَّمَّ النَّقيعــا
أمُنْسِيَّ السَّــكُون وحضرموتاً ... ووالدتي وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا

ثم يقول هذا اللاذقي بعقب ذلك : « فمن ثم استفاد (أبو الطيب) مجاوزه على طغام أهل الشام » .

١٣ — ثم يختم حديثه بما كان يخرق به أبو الطيب على أهل البادية بإيهامهم أن الأرض تُطْوَى له ، وكيف كان ذلك

١٤ — ثم يزعمُ أن أبا الطيب سُئِلَ في تلك الأيام عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أخبر بنبوّتى حيث قال : « لا نبيّ بعدى » ، وأنا اسمى في السماء (لا) » .

هذا مختصر حديث هذا اللاذقىّ ، وأنت إذا قرأته بتمامه رأيته أحمق قولٍ يعجزُ عن الإتيان بمثله أحمق معتوهٍ ، لما فيه من الاضطرابِ والسخف والتلفيق والكذب ، وقلّةِ مبالاة هذا الرجل بنسبة الكفر إلى نفسه ، حين زعم أنه قال لأبي الطيب : « ابسط يدك ، أشهد أنك رسول الله » ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فهذه أغراضٌ فى كلام اللاذقى قد بينا لك عددها (١٤) ، تناول منها الأخ سعيد ثلاثة أغراض هى الثلاثة المتتابعة فى تعدادنا ، وقذف بالباقيات وردها وأهملها ، لأنها مما (يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع) ، كما قال فى كلمته الأخيرة ، ومن قَبْلُ ما قال فى كلمته التى نشرها فى (الرسالة — العدد ١٦١): « وسأعفى نفسى من أشياء كثيرة ، وردت فى (الصبح المنبى) لا يقبلها عقلٌ ولا تؤيدُها قرائن » ، ويعنى هذه الرواية عن اللاذقى .

وأنا أسأل الأستاذ سعيد أن ينصف نفسه وينصفنا ، وأن يعفينا من التأويل وطلب الحجة فيما لا تأتى منه الحجة إلا متكلفة على أبعد وجه وأضل سبيل . فانظر أيها الأستاذ سعيد إمَّا جاءك رجل بحديث قد استيقنت أن نصفه كذب قد مُزِج بقول غير معقول ، أفأنت مصدِّقه فى سائر الحديث الذى جاءك به ؟ فإن قلت : لا أصدقه فى سائر حديثه ، فقد بطل ما جاء به هذا

اللاذقى كله ، لأن أربعة أخماس من حديثه مما (يرفضها العقل ويكذبها الواقع) كما قلت أخيراً ، ومما لا يقبلها عقل ، ولا تؤيدها قرائن ، كما قلت أولاً . وإن شئت أن تتطلب الجدل فقلت : أصدق بعضه ، وأكذب بعضه . فأنك غير قادر على أن تنشىء لهذا الرأى حجة يلجأ إليها ، أو دعامة يعتمد عليها ، فإن هذا اللاذقى رجلٌ مجهول فى الرواة لا يعلم حاله فى صدق أو كذب ، ومن كان كذلك نُظر فى قوله ، فإن كان الذى يأتى به من الرواية صدقاً ، كان ذلك مانعاً من اتهامه بالكذب إلا ببينة أخرى ، وإن كان كذباً لم تجد بُدًّا من وسمه بالكذب وإسقاط روايته كلها ، وجملة واحدة ، ويصبح ما أتى به كله كأن لم يُرْوَ ولم يعرفْ ، فلا ينظرُ إليه فى رواية أو تاريخ . فان قلت : أقبل المعقول وأردُّ غير المعقول . فلا بد من أن نقول لك إنك قد اعتمدت فى بعض قولك على مذهب أهل الحديث فى علم الرواية ، فقلت : « إن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول » ، ونعم ، فإن رواية ما يستحيل أن يقع ، وما لا يأتى على وجه يرتضيه العقل ، ساقط عند المحدثين ، وهم يتهمون صاحبه بالكذب والوضع فلا تقبل له رواية أبداً ، ولو كانت صادقة ، ولو كان فى قول غيره من الصادقين ما يقع عليها حرفاً حرفاً ، وكلمة كلمة . فهذا مذهب القوم بتمامه ، ومذهب عقلاء الناس فى أمر دينهم ودنياهم . واعلم أيها الأستاذ سعيد أن القول يردُّ ويرفض ويُكَذَّب صاحبه ، لأنه غير معقول ويستحيل وقوعه ، ولا يمكن فى العقل أن يطَّرد عكسُ هذه القضية . فليس يقبل القول ويرتضى ويصَدَّق صاحبه لأنه معقول وجائز وقوعه وحدوثه . ولست أشك فى موافقتك لى على هذا ، إذن فليس من

الحكمة ولا من الصواب ولا من العدل ولا من العلم أن تختصر حديث اللاذقىّ، فتأخذ منه المعقول الجائز الحدوث، وأنت تردّ سائر حديثه بل أكثره، ثم تقول عنه فى عدد الرسالة (١٦١) : « وقد حفظ لنا (التاريخُ) مشهداً من مشاهد هذه الدعوة (النبوّة) فى اللاذقية » . فليس شىء من كلام الوضاعين والكذابين مما يصحّ أن يعتمد عليه فى تاريخ أو غيره .

ثم لو نظر الأستاذ سعيد إلى هذا الحديث الذى عدّه (مما حفظ التاريخ من مشاهد دعوة أبى الطيب إلى نبوته) ، لوجدَ يقيناً أن هذا المختصر من حديث اللاذقىّ هو أيضاً (مما يرفضَه العقل ويكذبه الواقع) و (مما لا يقبله عقل، ولا تؤيده قرائن) ، فإن فيه من الوهن والضعف والتخالف والتناقض ما لو تدبّره الأستاذُ — وهو يدرس شعر أبى الطيب، ويصوِّر منه نفسه وطبائعها وغرائزها — لعلم أنه موضوعٌ متكلفٌ ليس فيه من الصدق شىء : ولم أردك بسوء، أيها الأخ، إذ قلت فى كلمتى السابقة: إنك تأخذ من الكلام ماتشاء، وتدع ماتشاء، فتزول بذلك شبهاتك .

إن للرواية أصولاً لا يأتى لأحد أن يخرج عنها إلا بحجة لا تسقط عند النقد والنقض، ومن أصول الرواية ألاّ تُقبل روايةُ من كذَب فى أحاديث أو وضعها، وإن كان سائر الذى يرويه مما تعضده فيه رواية غيره من الصادقين، فكيف بمن يكون أمرُه فى الحديث الواحد : أربعة أخماس كذبٌ غير معقول، والخمس الباقى تختلفُ عليه الآراء فى وصفه بأنه صدق أو كذبٌ، أو معقول أو غير معقول، أو تؤيده قرينة أو لا تؤيده قرينة ؟ ألاَ إن هذا أولى بالإسقاط والرفض والنبذ حيثما ثُقِف، وكذلك هو حديث هذا اللاذقىّ المجهول.

٥ — وقد أراد أستاذنا سعيد أن يوهم قارىء كلامه أننا اتخذنا رأينا — فى نسبة أبى الطيب إلى الشجرة العلوية المباركة — (برهاناً) على ردّ رواية هذا اللاذقىّ المجهول لقولنافى ص ٨٥: «أما اللاذقى فمجهولٌ ولا يتيسر لنا نقد سنده ، ولـكن مما لاشك فيه أن اللاذقية التى نسب إليها ، كانت وقت أبى الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومحطاً لـكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة فى التاريخ العربى كلّه » . فلذلك لم يتورع عن بتر بقية كلامنا ، فقد قلنا بعقب هذا وبغير فصل : « فلا بأس من أن تجعل هذا ذكراً مذكوراً وأنت تتبصّر فى أصل الرواية على وهنها وتضاربها ، وتهالك معانيها التي يفسد بعضها بعضاً كما سترى » . فلو كنا قد اتخذنا هذا (برهاناً) لقلنا مكان (فلا بأس) (فلابد) ، ليستقيم المعنى الذى أراده لنا الأستاذ الجليل . ويخيل إلىّ أن الأستاذ سعيد سيحاول أن يقع فى هذا الـكلام بالتأويل . فأنا أضرب له المثل على الفرق بين هذا وذاك ، ليدع هذا الذى يعمد إليه من أفانين الـكلام . فإنك لو أردت أن تعلم جاهلاً دين الإسلام بعد إيمانه بصدق القرآن . وأنه وحىٌ من العزيز الحـكيم ، ثم أخذت تفهمه أن الصلاة عمود الدين ، وأن الله أمرَ بها عباده ، والبرهان والدليل على ذلك قوله تعالى : «وأقيموا الصلاة » ، فلست تقول له بعقب ذلك (فلا بأس) من الصلاة ، وإنما تقول : « فلابد من الصلاة » .

ولو تدبر الأستاذ قليلاً ، كما سألناه فى كلمتنا الأولى (عدد الرسالة ١٦٧) لعلم أن الإشارة فى هذا الموضع هى إلى الذى قلناهُ فى كتابنا ص ٢٦ — ٣٠،

من أنه كان بينه وبين العلويين عداء وحفيظة،[1] بلغ من أمرها أنهم أرصدوا له قوماً من السودان عبيدهم فى طريقه بكفر عاقب ليقتلوه — وذلك مُنْصَرَفَهُ من طبرية سنة ٣٣١ — حتى إن أبا الطيب لم يحجم عن التعريض بهم ، وهو يمدح كبيراً من أولاد على رضى الله عنه بالرملة ، هو أبو القاسم طاهر ابن الحسين بن طاهر العلوى فقال فى مديحه :

أَتَانِي وَعِيدُ (الأَدْعِياء) وأَنَّهم   أَعَدُّوا لِيَ السُّودَانَ فى كَفْرِ عَاقِبِ
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِم لَحَذِرْتُهُمْ   فَهَلْ فِيَّ وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

وقال فى مدح الأمير ابن طغج ، وقد صحبه أبو القاسم العلوى وأقام معه فى الرملة يحضر مجالسه :

وَفَارَقْتُ شَرَّ الأَرضِ أَهْلاً وَتُرْبَةً   بِهَا (عَلَوِيٌّ) جَدُّهُ غَيرُ هَاشِمِ

فلهذا ولغيره من آثار العداوة والبغضاء بين أبى الطيب والعلويين (مذهباً أو نسباً) قلنا فى ص ٢٥ ، ٢٦ : « إن عندنا فى أقوال العلويين المعاصرين عن أبى الطيب سبباً للتوقف دون التسليم » .

هذا ، على أن عندنا من الأسباب ما يحملنا على ردّ رواية العلويين فى أخبار أبى الطيب ، وقد ذكرنا بعضها متفرقاً فى كتابنا ، وبعض آخر لم نذكره لضيق الوقت ، ورغبة فى اختصار القول ، واعتماداً على فطنة القارىء .

---

(١) قد صرفنا القول فى كتابنا ونحن نذكر العلويين ، ونريد بذلك العلويين نسبا ، والعلويين مذهبا (الشيعة) ، إذ لم نجد ضرورة للتفريق بين هؤلاء وهؤلاء . وليس يخفى على القارىء موضع هذا وذاك .

إذ كان في وضع كلامنا ما يُشِيرُ إلى أطرافه .

٦ — قلت في كلمتي التي نشرتها الرسالة (العدد ١٦٧) إن الأخ سعيد قد لا يجد دليلا على صحة هذه الروايات التي رُويتْ في نبوّة أبي الطيب ، فيما يزعم ، إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلان ، ورواها المعرى — وهو الحجة والثبت ، وقلنا : إن الحكم = بأن رواية المعرى — أو غيره من العلماء ، هذه الأخبار ، مما يصححها أو يرجح الصدق فيها = حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، ولم أقل ذلك إلا لقول الأستاذ في عدد الرسالة (١٦١) : « وسأعتمد في قص الحادث (يعني النبوة) على أبي العلاء خاصة ، لفضله وتحرِّيه وقرب زمانه » ، وهذه الكلمة الأخيرة وحدها تدل على أن الأستاذ يعدُّ ما يرويه أبو العلاء عن أبي الطيب مما ترجح فيه كفة الصدق على كفة الكذب . ولكن الأستاذ لم يرض قولنا هذا ، فعاد يقول في كلمته الأخيرة : « هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ما ليس تحمل : فأنا لم أدع للمعرى تنزهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر في كتب العلماء هو الدليل الذي لا دليل غيره ، وما جعلت قرب الزمن دليلا على الصحة ، بل هو مما ييسر للمحقق وسائله » اهـ . وأنا لا أحب أن أكثر القول على أستاذنا في نقد كلامه هذا ، بل أقول : إن كان في يدك دليل على صحة هذه الروايات والأخبار فأظهره ولا تكتمه ، فمن قبلُ ما قلنا لك في مقالنا بعدد الرسالة (١٦٧) إن « الخبر لا يستحق صفة الصدق إلا بالدليل الذي يدل على صدقه ، فإذا لم تجد الدليل على صدقه ، ذهبت عنه صفة الصدق وبقي موقوفاً ، فإذا اعترضت الشبهات من قبل روايته أو درايته ، مالت به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه . . . » . ولكن أستاذنا لم يرد أن يقف عند هذا القول ،

وزعمه من (التهويل) ويقول : « وما التهويل بمُغْنٍ عن أحدنا فتيلاً » ، وزعم أنى « لم أجد بأساً فى أن أعرفه أن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب ، وأن وأن . . . إلخ إلخ مما يدرسه الطلاب المبتدئون » . وظن أن فى هذا القول مذهباً له عن الإتيان بدليله على صدق الروايات التى يزعم أنها من التاريخ وأنها صحيحة . ويخرج من هذا ويدعه ليقول : « إننا نبزنا روايات التاريخ بالبطلان والكذب، ثم لا يكون دليلنا عليها إلا أنها كذب وبطلان » . وليس الأستاذ ببالغ من كلامنا مبلغاً يسقطه أو يحزُّ فيه ، إلا أن يثبت لنا لنا أوّلاً صحة هذه الروايات ، ومن أين لأحد أن يسلم بصحتها ، ويقتنع بأنها خالية من الكذب والوضع وسوء القصد فى الإساءة والتشهير والتسميع بأبى الطيب ؟ فإذا فعل ذلك فقد بلغ أوّل الحق ، وكان له أن يجبهنا بما شاء من القول مصرحاً ومعرضاً . فالدليلَ الدليلَ أيها الأستاذ سعيد .

٧ — ومن أعجب أمر الأستاذ سعيد أنه ينشىء من الكلمة الواحدة تَرِدُ فى الكلام جملة لها معنى يوجهه هو كيف أراد على ما خَيَّلت ، ويضعها حيث شاء من الحديث غير متهيب ولا متلفتٍ عن يمين وشمال ، ولو خرج بالكلام الذى أمامه من العربية ... كما مرّ بك فى كلمتنا السابقة . فمن ذلك أنه وقف عند قولنا فى الكلمة الأولى (الرسالة عدد١٦٧) : « وتَرْكُ المعرى الشك (فى تلك الأخبار) أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزه عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب إليه ، ولا ينفى صفة الصدق عنه » . وليس يذهب عن أحد من القراء أننا أردنا بهذا الكلام أن ندفع ظن

من يظن — أيَّ الناس كان — أنّ توقفنا دون التسليم بما رواه المعرى فى خبر نبوة أبى الطيب أو نقدنا له ، أو تكذيبنا أو إسقاطنا لما روى — يكون طعناً فيه ، أو يعدّ مما يوجب نسبة الكذب إلى أبى العلاء . ولكن الأستاذ سعيداً ترك هذا ، وأراد أن يبالغ وينشىء حول كلامه (خَطًّا من النار) ، فأخذ كلمتنا : « وليس المعرى بمنزه عن الخطأ والغفلة » ، وردها بقوله : « وأنا لم أدع للمعرى تنزهاً عن الخطأ » ، فكيف — أيها الأستاذ سعيد — تزعم أننا قلنا إنك ادعيت للمعرى تنزهاً عن الخطأ ، وكيف تخرج هذا الذى ذهبت إليه من كلامنا ؟

ليعلم الأستاذ أنى لا أحفل بمثل هذا ، ولا أنظر إليه ، ولا أقف عنده ، ولكنى أبينه له ولغيره ، ليعلم أن كل أحد يستطيع أن يقول ما يشاء فيما يشاء على أى وجه يشاء ... ولكن ذلك لا يجوز على أحد ، ولا يغفل عنه من قرأ الأوّل والآخر ، ونظر وفهم وجمع وعرف معانى الكلام ، وكيف خرج ، وإلى أين ينتهى . وليعلم أيضاً أن كل أحد يستطيع أن يفهم من الكلام ما يشاء على غير قاعدة من منطق أو عربية ، ولكن فهمه لا يكون حجة يأتى بها الناس ويظهر بها عليهم ، ويحاول أن يسقط أقوالهم بها ، لا بد للكلام من منطقٍ عقلٍ وفقهِ عربيةٍ حتى يفهم ، وإلا أصبحت المعانى فوضى لا ضابط لها ولا وكيل عليها ولا حفيظ .

وللقارىء أن ينظر إلى فعلات الأخ سعيد هذه ، فقد قلنا فى كلمتنا الأولى (الرسالة عدد ١٦٧) عند رد اعتراضه : « إن هذا الخجل الذى يزعمونه

إنما هو من أباطيل (الرواية) ، وقد أتى به القوم ليعضدوا قولهم فى خرافة النبوة ... الخ » ، فجاء ينقل هذا فى كلامه مرتين هكذا :

« إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل (الرواة) » فنحن نقول : « الرواية » ، وهو يقول على لساننا « الرواة » ، وبين اللفظين فرق « كبير » فى عربيتهما ، وفى موقعهما من الكلام . ولو أردنا الذى أراده الأخ سعيد لكلامنا لقلنا : « من أكاذيب الرواة » . ولو رجع الأخ إلى كلامنا الذى أعقب هذه الكلمة ، لعلم لم قلنا (أباطيل الرواية) ، ولم نقل (أكاذيب الرواة) . هذا على أنى أقول أيضاً إن الذى زعموه من خجل أبى الطيب حين كان يسأل عن أمر لقب المتنبي — هو من أكاذيب الرواة : فإذا أراد الأستاذ أن يعرف من هم هؤلاء الرواة ، فليرجع إلى الكتاب الذى نقل عنه هذا الكلام ، فينظر من هم ، ومع ذلك فليس تغنى معرفة الرواة شيئاً فى هذا الأمر . وتعبٌ أن أمضي على هذا الوجه فى تعريف الأستاذ سعيد جوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل كلامهم ، فعليه أن يريحنا قليلاً بتدبره فى كلام هؤلاء الناس ، والنظر فى معانى رواياتهم بالذى توجبه العربية ، مع المقارنة بين هذه المعانى المختلفة المتباينة ، فعند ذلك يعرف كيف كان التناقض فى الرواية ، وكيف هدمت الروايات بعضها بعضاً فى خبر نبوة أبى الطيب .

وبعد ... فإن فى كلام الأستاذ من وجوه التهافت ما لا تطيعنى (الرسالة) على الإفاضة فيه ، ولا يواتينى الزمن على إزهاقه من أجله ، ولكنى أنصح

للأخ أن لا يلجأ إلى ضروب القول التى يخرج بها الكلام عن حدّه إلى مجاهل من المغالطة والاعتراض ، وإرادة الغلبة واتباع الظن ، وفتنة الرأى ، والإصرار على خطرات النفس . وليعلم الأستاذ أنى لست ممن يغفل عن مواضع التحريف فى القول ، أو الإحالة فى الحجة ، أو الفساد فى التأويل . فإن أراد أن يعود إلى الحديث والكتابة ، فليعمد على مذهب مرضِيّ متبع معروف غير منكر . فإن فعل فما أنا بالذى يسوءه أو يغضبه ، وما أريد من شىء إلا أن أهتدى إلى الحق على يدى مَنْ كان له فضل السبق ، وحسن الحديث ، وكمال الغلبة بالحق . . . هذا وقد أعفينا الأستاذ من كثير قول فى الذى جاء فى مقاله الأخير — لو أردنا أن نكيل له من جرائه بمثل كيله لفعلنا فأشوينا ... ولكن

عَبأْتُ لَهُ حِلمى لِأُكْرِمَ غيرَهُ   وَأَعْرَضْتُ عنه ، وهُو بادٍ مَقَاتِلُهْ

حول « نبوة المتنبي أيضاً »

سعيد الأفغاني

قرأت للأخ شاكر مقاليه الأخيرين المطولين جداً في الرسالة (١٧١ ـ ١٧٢) ، فإذا ما أريد أن أقوله قد قلته سابقاً في الرسالة (١٧٠)، فليرجع إليه فهو رد على مقاليه هذين أيضاً .

لما عرف الأستاذ شاكر أنا « لا نحفل رداً ولا نقداً إلا إذا كان حقاً ، وسبيلنا حينئذ أن نأخذ به أنفسنا ونشكر لصاحبه » عاذ بذلك ، فراغ روغة عدل فيها بالكلام عن وجهه الذي يجب أن يكون فيه ، فلم تظفر اعتراضاتنا — لسوء حظها — منه بجواب . وقد كنا طلبنا إليه التعرض لهذه الأخبار التي رماها جملة بالكذب ، فيبين وجوه بطلانها ، والسبب الحادي لرواتها على وضعها ، ببيان يزيل اللبس ويرضى الأمانة والعقل ، فأبى وطفق يتعلق بتوافه الأمور . فهذا كلام شغل أربعة أعمدة من (الرسالة) في تزييف رواية اللاذقي ، وقد عرف القراء قيمتها عندنا ، وذاك كلام يعرض لبسطي عذري في التأخر بالرد ، وذلك كلام آخر طويل يدور حول ياء سقطت من كلام له نقلناه . . . الخ

استوفى الأخ ستة عشر عموداً زَوَى عنا فيهن حججه المزعومة ونافع بيانه ، وأطلق قلمه فسطر من القول النبيل ما نمر به مر الكرام . ولما أشرف على الختام قال : « وتعبٌ أن أمضى على هذا الوجه فى تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل كلامهم » . وقد علم أصلحه الله وعلم القراء أن البحث والحوار كله يدور حول هذا فقط ، ففيم الهرب منه والاشتغال بغيره ؟ ولست أنا الذى أدعى بطلان الروايات فأحتاج لمعرفة وجوه البطلان ، وإنما نفع ذلك وغناؤه — إن تم — عائدان عليه وحده ، فهو الذى ألف واستهدف ، وهو الذى ادعى وأعوزه البرهان .

وقد كنت ظننت أنى مع أستاذ يعيننى فى إزالة ماحول هذا البحث من شُبَهٍ بالعلم الواسع والحجة البالغة ولطف التأنّى وحسن القصد ، فإذا بى أمام امرىء يريدها جدلاً ومراءً ، أو استطالة قول وحب غلبة مع معرفته من نفسه الحدة وضيق الصدر .

فما أنا — وقد عرض الأستاذ لنا أدبه عرضاً صحيحاً — بالذى يجاريه فى أسلوبه . وكل ماتفضل به من غمز احتل من مكانه محل الحجة ، لايحدونى على مقابلته أومشاكلته ، ولا على الخروج على قاعدتى التى أطمعته فورّطته، وكانت خليقة منه بغير ما فعل .

ليت الأستاذ شاكراً كان تريث فلم يحرص على صدور رده عقب كلمتى بلا تأخر ، ولم يخرج عما أخبرنا من طبعه فى الإبطاء والتخلف ، فإن الناس

لا يقدرون الكلام بسرعة صدوره ، وإنما يقدرونه بما يحمل من الحق والصواب .

ليته تريث وتدبر وأنعم فى كلامه وكلام غيره ، إذن لما أعجله حب الرد للرد ، فجعله ينتقض فكرة هى له على أنها لغيره ، ويستنجد لدفعها بالعربية والمنطق والأصول ، وبيان ذلك باختصار أنه :

كان أشكل عليه فى كلام أبى على بن أبى حامد أمر الوثيقة التى كتبوها على المتنبى بعد أن استتابوه من دعوى النبوة ، فذهبنا نحن إلى أنها فى إبطال علويته لا تنبئه ، وأمر علويته ورد فى روايات ثانية ، فكان من الأستاذ أن أورد رواية أبى على ثم علق على كلامنا فيها بقوله : (الرسالة ص ١٦٦) .

« فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية فى هذا الخبر ولا فى غيره مما روى عن على بن أبى حامد هذا ، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه ، وهو لم يذكرها فيه ولم ترد عنه فى خبر غيره ، ثم تعمد إلى الكلام فتؤول بعضه على النبوة وبعضه على العلوية فتجعل التوبة للأولى والوثيقة للآخرة ؟ » .

والذى قلناه نحن هو هذا (الرسالة ١٧٠) : « وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض ولا داع لأن يرجح الأستاذ (ص : ٨٦) من كتابه إقحام لفظ النبوة بين العلويتين فى حديث الهاشمى ، وليقول : (إن المراد بالنبوة (تأمل) فى حديث أبى على بن أبى حامد : العلوية) ، فمن المقحم ومن المؤول أيها البحاثة

المحقق الذى لا ينسى اليوم ما قاله أمس ؟! ثم قلنا : « فعلوية أبى الطيب التى أراد أن يفسر بها النبوة الواردة فى الروايات على اختلاف مصادرها لم تسلم له من الأصل ، وبقى المتنبى جعفياً يمنياً . وإذا كان لابد (تدبر) من إيراد احتمال ، فالأولى أن نجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الروايات فى غنى عن هذا الفرض أيضاً (تأمل وتدبر) وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه ، وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابه الوثيقة » .

فنظرية الإقحام أنت قلت بها أيها الأستاذ الجليل لا نحن ، وكلمتنا بدئت بقولنا : (إذا كان لابد من احتمال) ، أما كلمتك فبدئت : (إن المراد بالنبوة فى حديث أبى على . . العلوية (ص : ٨٧) من كتابك القيم ، وأياً كان صاحب اكتشاف الإقحام ومؤول النبوة بالعلوية ، فهو ونظريته خليقان بما تفضل به الأستاذ من استنكار واستبشاع .

لقد رمانى الأستاذ بدائه : عدم التدبر والتحريف ، وأراد أن يتناول فكرة لى كيفما اتفق له لينقدها ، فوقعت يده على فكرته هو منقولة فى كلامى ! وقاتل الله العجلة ، فقديماً ذكروا أن تاجراً أضمر أخذ عِدْل من أعدال شريكه ، فوضع رداءه عليه ليعرفه فى الظلمة ، ثم ذهب وجاء رفيقه ليصلح أعداله ، فوجد رداء رفيقه على عدله ، وظن أنه نسيه ، فرفعه ووضعه على عدل شريكه . ولما كان الليل أتى الشريك بحمال واطأه ، ففتح الحانوت

واحتمل العدل الذى عليه الرداء وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يتراوحان على حملة حتى أتى منزله ورمى نفسه تعباً ، فلما أصبح افتقده فإذا هو بعض أعداله !!

فعلى القارىء المتتبع أن يرجع حيثما وجد نقلاً لكلامى إلى الأصل المنقول عنه ، فلست أفرغ دائماً لبيان ما حُرِّف ، ولا أحتمل إلا تبعة ما قلته بحروفه ، غير مروى بكلام من غيرى . ومن أوّل كلامى بجُمَلٍ من عنده ثم شرع فى ردها ، فإنما رده على تأويله فحسب .

كان رغب إلينا الأخ شاكر ألا نتبع ظننا فى أنه من أهل الغرور والذهاب بالنفس والجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم والجدال فيما لاجدوى منه ولا منفعة . وقبل كلمته هذه كان ادعى لنفسه تدبراً وإمعاناً وأصولاً ودراية ، ثم فى الأخير حِلْماً عند المقاتل البادية ، حين لمزنا بالحاجة إلى هذه الصفات ، وكلام كلينا معروض لمن أراد تثبتاً ، وسبحان الذى قال : « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أنْ تَقُولوا مَالاَ تَفْعلون » .

فهل أجد حرجاً فى أن أقول ثانية : « صحف الرسالة أحوج إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها إلى الدعوى والانتقاص » .

وإن القراء « لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيل من صاحبه ومراوغة فى الحط منه » ، وحرام أن أقتل الوقت فى تتبع المزالق التى زلّ فيها صاحبنا فى مقاليه هذين ، فما هى بنافعتنا فيما ظهر ،

لتباين أسلوبينا في البحث و (اختلاف في الجبلة) ، على ما قال الأخ شاكر .

وما أنا بعائد إليه لأن الحقيقة لم تفد شيئاً بخوض هذا البحث معه ، ولن أجارى أخى فى طريقه التى سلكها فما هى لى بطريق ، ولا أَرَبَ لى بتعسف المتاهات . ولولا أن يظن العجول من القراء أن نظرية الإقحام وتأويل النبوة بالعلوية التى رمانى بها الأستاذ على عجلة وخطأ ، هى نظريتى وفكرتى ، لما خططت حرفاً من كلمتى هذه .

وبعد ، فليس عندى لأخى الأستاذ على أقواله فىّ غير السلام .

كلمة الرافعي

المقتطف والمتنبى

المقتطف شيخ مجلاتنا ، كأنهن أولاده وأحفاده ، وهو كالجدّ الأكبر : زمنٌ يجتمع ، وتاريخ يتراكم ، وانفرادٌ لا يلحق ، وعلم يزيد على العلم ، بأنه فى الذات التى تفرض إجلالها فرضاً ، وتجب لها الحرمة وجوباً ، ويتضاعف منها الاستحقاق ، فيضاعف لها الحق .

وهل الجدُّ إلا أبوّة فيها أبوة أخرى ؟ وهل هو إلا عرش حىٌّ درجاته الجيل تحت الجيل ؟ وهل هو إلا امتدادٌ مسافاته العصر فوق العصر ؟

والمقتطف يكبر ولا يهرَم ، ويتقدم فى الزمن تقدم المخترعات ماضية بالنواميس إلى النواميس ، مقيدةً بالمبدأ إلى الغاية ، وهو كالعقل المنفرد بعبقريته ، واجبه الأوّل أن يكون دائماً الأول . فقد أنشىء هذا المقتطف وما فى المجلات العربية ما يغنى عنه ، ثم طوَى فى الدهر سبعة وثمانين مجلداً أقامها سبعة وثمانين دليلاً على أن ليس مايغنى عنه . ثم أسَفَّت الدنيا حوله بأخلاقها وطباعها ، وتحولت مجلات كثيرة إلى مثل الراقصات والمغنيات والممثلات ، وبقى هو على الوفاء لمبدئه العلمى والسموُّ فيه والسمو به ، كأنما أُخِذَ عليه فى العلم والأدب ميثاق كميثاق النبيين فى الدين والفضيلة ، فبين يديه الواجب لا الغرض ، وهمه الإبداع بقوى العقل لا الاحتيال بها ، وهَدْيُه الحقيقة الثابتة فى الدنيا لا الأحلام المتقلبة بهذه الدنيا ، وطريقه فى كل ذلك طريق الفيلسوف ،

من هدوء نفسه لا من أحوال الدهر ، فهو ماض على اليقين ، نافذٌ إلى الثقة، متنقل فى منزلةٍ منزلةٍ من يقينه إلى ثقته ، ومن ثقته إلى يقينه .

وقد بدأ المقتطف مجلده الثامن والثمانين بعدد ضخم أفرده للمتنبي ، ولئن كانت الأندية والمجلات قد احتفلت بهذا الشاعر العظيم ، فما أحسب إلا أن روح الشاعر العظيم قد احتفلت بهذا العدد من المقتطف .

ولست أغلُو إذا قلت : إن هذه الروحَ المتكبرة قد أظهرت كبرياءها مرة أخرى ، فاعتزلت المشهورين من الكتاب والأدباء ، ولزمتْ صديقنا المتواضعَ الأستاذ محمود محمد شاكر مدةَ كتابته هذا البحث النفيس الذى أخرجه المقتطف فى زهاء ستين ومئة صفحة ، تدُلُّه فى تفكيره ، وتوحى إليه فى استنباطه ، وتنبهه فى شعوره، وتبصره أشياء كانت خافية وكان الصدق فيها، ليردَّ بها على أشياء كانت معروفة وكان فيها الكذب . ثم تعينه بكل ذلك على أن يكتب الحياة التى جاءت من تلك النفس ذاتها ، لا الأشياء التى جاءت من نفوس أعدائها وحسادها

ولقد كان أوّل ما خطر لى بعد أن مضيت فى قراءة هذا العدد = أن المؤلف جاء بما يصح القول فيه: إنه كتب تاريخ المتنبى ولم ينقله . ثم لم أكد أمعن فى القراءة ، حتى خيل إلىّ أنه قد وضع لشعر المتنبى ، بعد تفسير الشراح المتقدمين والمتأخرين ، تفسيراً جديداً عن المتنبى نفسه . وما الكلمة الجديدة فى تاريخ هذا الشاعر الغامض ، إلا الكلمة التى نشرها المقتطف اليوم .

إن هذا المتنبي لا يَفرُغ ولا ينتهى ، فإن الإعجاب بشعره لا ينتهى ولا يفرُغ . وقد كان نفساً عظيمة خلقها الله كما أراد ، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت ، فكأنما جعلها بذلك زمناً يمتد فى الزمن . وكان الرجل مطوياً على سِرٍّ أُلقِى الغموض فيه من أول تاريخه ، وهو سِرُّ نفسه ، وسِرُّ شعر ، وسرُّ قوته . وبهذا السرِّ كان المتنبى كالملك المغصوب ، الذى يرى التاج والسيف ينتظران رأسه جميعاً ، فهو يَتَّقِى السيف بالحذر والتلفُّفِ والغموض ، ويطلب التاج بالكتمان والحيلة والأمل .

ومن هذا السرِّ بدأ كاتب المقتطف ، فجاء بحثه يتحدَّرُ فى نسق عجيب ، متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادة ونموٌّ وشباب ، وعرض بين ذلك شعر أبى الطيب عرضاً خُيِّل إلى أن هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره على حوادث نفسه وأحوالها . وبذلك انكشف السرُّ الذى كان مادة التهويل فى ذلك الشعر الفخم ، إذ كانت فى واعية الرجل دولةٌ أضخمُ دولةٍ عجز عن خلقها وإيجادها ، فخلقها شعراً أضخمَ شعر ، وجاءت مبالغاته كأنها أكاذيب آماله البعيدة متحققة فى صورة من صُوَر الإمكان اللغوى .

ومن أعجب ما كشفه من أسرار المتنبى : سر حُبِّه ، فقال إنه كان يحب خَوْلَة أخت سيف الدولة ، وكتب فى ذلك خمس عشرة صفحة كبيرة وكأنها لم ترضه ، فقال إنه كان يؤمل أن يكتب هذا الفصل فى خمسين وجهاً من المقتطف . وهذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس أحد فى الدنيا المكتوبة (أى التاريخ) يعلم هذا السرَّ أو يظنه . والأدلة التى جاء بها المؤلف تقف

الباحث المدقق بين الإثبات والنفى . ومتى لم يستطع المرء نفيًا ولا إثباتًا فى خبر جديد يكشفه الباحث ، ولم يهتد إليه غيره ، فهذا حسبك إعجابًا يذكر ه وهذا حسبه فوزًا يُعَدُّ .

ولعمرى لو كنت أنا فى مكان المتنبِّى من سيف الدولة ، لقلت إن المؤلف قد صدق ... فهنالك موضع لا بدَّ أن يُبْحَثَ فى القلب الشاعر الذى وضعت فيه الدنيا حكمتها ، وطوت فيه القوة سرَّها ، وبثَّ فيها الجمال وحيه = وأصغرُ هذه الثلاث ، أكبر من الملوك والممالك ، ولكن الحبيبة أكبر منها كلها ..؟

مصطفى صادق الرافعى

ثلاث تراجم للمتنبي

١ — من كتاب « بغية الطلب » لابن العديم (٥٥٨ — ٦٦٠ هـ)

٢ — « « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٤٩٩ — ٥٧١ هـ)

٣ — « « المُقَفَّى » للمقريزيّ (٧٧٦ — ٨٤٥ هـ)

(١) ترجمة المتنبي من « بغية الطلب »

١ — / أحمدَ بن الُحسين بن الحَسَن بن عبد الصمد ، أبو الطَّيِّب الُجعْفِيُّ الكوفيُّ الشاعر المعروف بالمتنبّي . ٢٦

٢ — وقيل : هو أحمد بن الحسين بن مُرّة بن عبد الجبّار ، وكان والده الحسين يعرف بِعِيدانِ السَّقّاء .

٣ — وكان أبو الطيب شاعراً مشهوراً مذكوراً محظوظاً من الملوك والكبراء الذين عاصرهم ، والجيد من شعره لا يُجارَى فيه ولا يُلْحَق ، والرديء منه في نهاية الرداءة والسقوط ، وكان يتعظم في نفسه ويترفَّع ، وقيل : إنه ادَّعى « النبوة » في حداثته فلقب بالمتنبي لذلك ، وكان عارفاً باللغة قَيِّماً بها .

٤ — قدم الشام في صباه وجال في أقطارها ، وصمّد بعد ذلك إلى الديار المصرية ، وكان بها في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة .[1] ثم قدم حلب وافداً على الأمير سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حَمدان مادحاً له ،[2] فأكرمه ونَفَق عليه ، وصار خصيصاً به ، ملازماً له حَضَراً وسَفَراً ،

---

(١) دخوله مصر وكونه بها في سنة ٣٣٥ هـ ، خبر جديد لم أجد من ذكره ، وهو يوجب إعادة النظر في ترتيب رحلة المتنبي منذ صباه ، إلى أن لقي سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ .

(٢) في الأصل : « ومادحاً له »، كأنه أراد أن يكتب « ومدحه » .

إلى أن خرج من حلب غضبان بسبب كلام وقع بينه وبين أبي عبدالله بن خالويه في مجلس سيف الدولة ، فضربه ابن خالويه بمفتاح . وكان دخوله إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، وخروجه منها إلى مصر الدفعة الثانية في سنة ست وأربعين وثلاثمئة ، وكان نزوله بحلب في محلتنا المعروفة باآدرنى كشرَى [هكذا في الأصل] . قال لي والدي : وكانت داره داراً هي الآن خانـكاه سعد الدين كُمُشْتُكين ملاصقة لداري .

٥ — وكان ابن خالويه مُؤَدِّبَ وَلَدَيْ الأمير سيف الدولة : أبي المكارم ، وأبي المعالي . فظفرت بجزء بخط ابن خالويه ذكر فيه ما يحفظه الأميران المذكوران ، فذكر أنواعًا من الفقه والأدب وأشعار العرب ، وقال في جملتها : « ويحفظان من شعر الشاعر المعروف بالمتنبي كذا وكذا قصيدة » ، وعيّنها ، ولم يذكر أنهما يحفظان لغيره من العصريين شيئاً . وهذا يدل عظم على قدره وجلالة أمره في ذلك الزمان .

٦ — رَوَى عن أبي الطيب : القاضي أبو الحُسَيْن محمدُ بن أحمدَ بنِ القاسم المحامليّ ، وأبو الفتح عثمان بن جِنِّي النَّحْوِيُّ ، وأبو محمد الحسن بن علي بن الصَّقْر الـكاتب ، وأبو الحسن عليُّ بن أيُّوبَ بن الحُسيْن بن السَّاربان الـكاتب ، (١) والأستاذ أبو علي أحمد بن محمد بن مَسْكَوَيْهْ ، وأبو عبد الله

(١) « الساربان » يقال لمن يحفظ الجمال في مرعاها · قال الخطيب في تاريخه (١١ : ٣٠٥) «علي بن أيوب بن الحسين بن أيوب بن أستاذ ، أبو الحسن ، القمي الـكاتب المعروف بابن الساربان سكن بغداد . . . . وذكر لنا أنه سمع من المتنبي ديوان شعره ، سوى القصائد الشيرازيات . فقرأت عليه جميع الديوان ، وكان رافضياً ، وكان يذكر أن مولده بشيراز في سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، ومات ببغداد في سنة ثلاثين وأربعمئة . »

ابن باكُوَيه الشيرازى،(١) وأبو الحسن على بن عيسى الرَّبَعِيُّ ، وأبو القاسم ابن حسن الحِمْصِيُّ ، وعبد الصمد بن زهير بن هارون بن أبى جَرادة ، ومحمدُ ابن عبدالله بن سَعْدٍ النحويُّ الحلبيَّان، وعبدالله بن عبيد الله الصُّفْرى الشاعر الحلبى ، وعبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى الجوع الورَّاق المِصْرِيّ ، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن المَغْرِبِيّ ، وأبو بكر الطائى ، وأبو القاسم النَّيْلَبُخْتِيُّ ، وأبو محمد الحسن بن عمر بن إبراهيم ، وأبو العباس بن الحُوْت ، (٢) وجماعة سواهم .

٧ ــ أنبأنا تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن ، قال ، أخبرنا الحافظُ أبو القاسم على بن الحسن عمّى قال ، قال لناهبةُ الله بن عبد الله بن أحمد الواسطى ، قال لنا أبو بكر الخطيبُ : « عِيدَان » بكسر العين ، والياء المعجمة باثنتين من تحتها ، هو والدُ أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبّى ، كان يُعْرَفُ بعيدان السَّقَّاء .

* * *

٨ ــ أخبرنى صديقنا أبو الدُّر ياقوت بن عبد الله الرومى ، مولى الحموى

(١) ترجمته فى الأنساب للسمعانى ٢ : ٥٥ ، والإكمال لابن ماكولا ١ : ١٦٦ ، والمشتبه للذهبى : ٤٤ ، وتبصير المنتبه لابن حجر : ٥٧ ، وتاج العروس (باك) ، ولباب الأنساب للسيوطى ١ : ٩١ ، وهو فى أكثرها : « أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد بن باكويه » ، وانفرد ابن حجر فى لسان الميزان (٥ : ٢٣٠) فقال: « محمد بن عبدالله بن عبيدالله بن باكويه» توفى بعد عشرين وأربعمئة .

(٢) هكذا ضبط فى الأصل .

٢٧ البغدادِيُّ قال : رأيت / ديوان أبى الطيب المتنّبي بخط أبى الحسن على ابن عيسى الرَّبَعِيِّ ، قال فى أوَّله : الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن مُرَّة بن عبد الجبار الُجعفِيّ ، وكان يكتم نسبه ، وسألته عن سبب طَيِّه ذلك فقال : إنى أنزل دائماً بعشائر وقبائل من العرب ، ولا أحب أن يعرفونى ، خيفة أن يكون لهم فى قومى تِرَةً . وهذا الذى صح عندى من نسبه . قال : واجتزت أنا وأبو الحسن محمد بن عُبيدالله السَّلامى الشاعر على الجسر ببغداد ، وعليه من جملة السُّؤّال رجل مكفوفٌ . فقال لى السلامى : هذا المكفوف أخو المتنبى ، [1] فدنوت منه فسألته عن ذلك فصدَّقه ، وانتسب هذا النسب وقال : « من هاهنا انقطع نسبنا » . وكان مولده بالكوفة فى كندة سنة ثلاث وثلاثمئة ، وأرضعته امرأة عَلَوِيَّة من آل عُبَيْد الله. [2]

٩ ـ قال الرَّبَعِيُّ : وقال لى المتنبى : « كنت أحب البطالة وصحبة البادية ،

---

(١) هذه أيضاً فائدة لم نجدها من قبل عند أحد .

(٢) هذا خبر الربعى صاحب المتنبى ، الذى جاء فأيد قولى فى « علوية » أبى الطيب ، وكنت استخرجت هذا القول استخراجاً من دراسة ديوانه ، بلا دليل قاطع فى الرواية إلا ما رواه البغدادى فى الخزانة عن الأصفهانى (انظر السفر الأول : ١ ، ٤) من أن المتنبى « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة » . فالمتنبى إلا يكن علويا كل العلوى ، فإنه أخوهم من الرضاع . و « آل عبيد الله » هم بنو : « عبيد الله بن على بن عبدالله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ومنهم العلوى الذى مدحه المتنبي صغيراً ، وهو الأشتر ، أو المشطب « أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن عبدالله بن على بن عبد الله بن الحسين . . . . » ، انظر السفر الأول ٢٧ تعليق : ١ / ٢٨ تعليق : ٢ / ٣٨ ، تعليق : ١ / ٤١ ، تعليق : ١ / ٤٢ ، تعليق ١:

وكان يذمُّ أهل الكوفة ، لأنهم يضيِّقون على أنفسهم فى كل شىء ، حتى فى الأسماء فيتداعون بالألقاب ، ولما لُقِّبْتُ بالمتنبى ثقُل ذلك علىَّ زماناً ، ثم ألفتُه » .(١)

١٠ — وقال الربَعِىُّ . رأيت عنده بشيراز جزءاً من شعره بخط ابن أبى الجوعِ الورّاق المصرىِّ ،(٢) وعليه بخط آخر : « المتنبى السُّلمى البغدادِىُّ » . فقال : ما كفاه أن عزانى إلى غير بلدى ، حتى نسبنى إلى غير أبى !

١١ — قال : وما أظن أنّ أحداً صدق فى رواية هذا الديوان صِدْقى ؛ فإننى كنت أكاثره ونحن / بشيرازَ ، وربما أخذ عنى من كلام أبى على النحوىّ ، وسمعت شعره يقرأ عليه دفعاتٍ ، ولم أقرأ عليه إلا العضديات والعميديات ، فإنى قرأتها تكرمة لمن قيلت فيه ، ونقلتها بخطى من مُدْرَج بخطه كان معه . هذا آخر كلام الربعى .

* * *

١٢ — أخبرنا أبو الْيُمْنِ زيد بن الحسن بن زَيْد الكندىّ ، فيما أذن لنا فيه ، قال ، أخبرنا أبو منصور بن زُريق قال : قال لنا أبو بكر الخطيب :(٣)

(١) وهذا أيضاً خبر جديد مهم جداً ، فى سبب تلقيه « المتنبى » ، وكل أخبار الربعى مهمة .

(٢) انظر ما سلف ، رقم : ٦ ، ص : ٢٥١

(٣) هذه الأخبار من رقم : ١٢ — إلى آخر رقم : ١٧ ، فى كتاب تاريخ بغداد « ٤ : ١٠٢ — ١٠٤ ، ثم انظر تمامها هنا منذ رقم : ٢٣ .

أحمد بن الحسين بن عبد الصَّمد أبو الطيب الُجعفى ـ المعروف بالمتنبي، بلغنى أنه ولد بالكوفة فى سنة ثلاث وثلاثمئة ، ونشأ بالشام ، وأكثر المقام بالبادية ، وطلب الأدب وعلم العربية ، ونظر فى أيام الناس ، وتعاطى قول الشعر من حداثته ، حتى بلغ فيه الغاية التى فاق أهل عصره ، وعلا شعراء وقته . واتصل بالأمير أبى الحسن بن حمدان المعروف بسيف الدولة ، وانقطع إليه وأكثر القول فى مديحه . ثم مضى إلى مصر فمدح بها كافور الخادم ، وأقام هناك مدة ، ثم خرج من مصر وورد العراق ، ودخل بغداد وجالس بها أهل الأدب ، وقرئ عليه ديوانه .

١٣ ــ فحدثنى أحمد بن أبى جعفر القَطِيعى ، عن أبى أحمد عُبيد الله بن محمد بن أبى مسلم الفَرَضِيّ قال : لما ورد المتنبي بغداد سكن فى رَبَض حُمَيْد ، فمضيت إلى الموضع الذى نزل فيه لأسمع منه شيئاً من شعره فلم أصادفه ، فجلست أنتظره ، وأبطأ علىّ فانصرفتُ من غير أن ألقاه ، ولم أعد إليه / بعد ذلك . ٢٨

وقد كان القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملى يسمع منه ديوانه ورواه عنه .

١٤ ــ قال الخطيب : أخبرنا على بن المُحَسِّن التنوخِيّ ، عن أبيه قال ، حدثنى أبو الحسن محمد بن يحيى العلوىّ الزيدىُّ قال : كان المتنبي وهو صبىٌّ ينزل فى جوارى بالكوفة ، وكان يعرف أبوه بعيدان السَّقَّاء ، يستقى لنا ولأهل المحلّة ، ونشأ هو محبّاً للعلم والأدب ، فطلبه ، وصحب الأعراب فى البادية ، فجاءنا بعد سنين بدوياً قُحًّا ، وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرنى

وراق كان يجلس إليه يوماً قال لى : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عِيدان قط ! فقلت له : كيف ؟ فقال : كان اليوم عندى وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعىّ ، سماه الوراق ، وَأُنْسِيَه أبو الحسن ، يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، قال : فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له الرجل : ياهذا أريد بيعه ، وقد قطعتنى عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر.[1] قال : فقال له ابن عِيدَان : فإن كنت قد حفظته فى هذه المدة فمالى عليك ؟ قال : أَهَبُ لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه علىّ إلى آخره ، ثم استلبه فجعله فى كُمِّهِ وقام ، فعَلِقَ به صاحبه وطالبه بالثمن ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ، قد وهبتَه لى ! قال : فمنعناه منه وقلنا له : أنت شرطت على نفسك هذا للغلام ! فتركه عليه .

١٥ — وقال أبو الحسن : كان عِيدان والد المتنبى يذكر أنه من جُعْفِىّ ، وكانت جَدَّة المتنبى هَمْدَانِيَّةً صحيحة النسب لا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من صلحاء الكوفيات .

١٦ — قال التنوخىّ ، قال أبى : فاتفق مجىء المتنبى بعد سنين إلى الأهواز منصرفاً من فارس ، فذاكرته بأبى الحسن ، فقال : تِرْبى وصديقى وجارى بالكوفة ! وأطراه ووصفه . وسألت المتنبى عن نسبه ، فما اعترف لى به ، وقال : أنا رجل أَخْبِطُ القبائل وأَطْوِى البوادى وحدى ، ومتى انتسبت

(١) فى التاريخ : « فإن كنت تريد حفظه من هذه المدة [فبعيد ! فقال : إن كنت حفظته] فمالى عليك »

لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التى أنتسب إليها ، ومادمت غير منتسب إلى أحد ، فأنا أَسْلَمَ على جميعهم ويخافون لسانى .

١٧ — قال : واجتمعت بعد موت المتنبى بسنين مع القاضى أبى الحسن ابن أمِّ شَيْبان الهاشمىِّ الكوفىِّ ، وجرى ذكر المتنبّى فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عِيدَان ، يَسْقِى على بعير له ، وكان جُعْفِيًّا صحيح النسب . قال : وقد كان المتنبى لما خرج إلى كَلْب وأقام فيهم ، ادعى أنه عَلَوِىّ حَسَنِىٌّ ، ثم ادعى بعد ذلك النُّبوّةَ ، ثم عاد يدعى أنه علوىٌّ ، إلى أن أُشْهِد عليه بالشام بالكذب فى الدعويين ، وحُبس دهراً طويلاً وأشرف على القتل ، ثم اسْتُتِيبَ ، وأُشهد عليه بالتوبة وأُطلق .

٭ ٭ ٭

١٨ — قرأت بخط عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى الجوع الورّاق المصرى : سألت أبا الطيّب المتنبى أحمد بن الحسين بن الحسن
٢٩ / عن مولده ومنشئه ، فقال : ولدتُ بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمئة فى كِنْدة ، ونشأت بها ، ودخلت مدينة السلام ، ودرتُ الشام كلَّه سَهْله وَجَبَله .

١٩ — أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادىّ فى كتابه قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن علىّ بن على بن نصر بن سعيد البصرى قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل قال ، أخبرنا على بن أيوب بن الحسين بن الساربان قال:[1] ولد أبو الطيب أحمد

(١) انظر ماسلف رقم : ٦ ، ص : ٢٥٠

ابن الحسين بن الحسن المتنبّي بالكوفة فى محلة كندة ، سنة ثلاث وثلاثمئة ، وقال الشعر وهو صبى فى المكتب .

٢٠ — وقرأت فى بعض النُّسخ من شعره أن مولده قيل على التقريب لا على التحقيق .(١)

٢١ — وقرأت فى تاريخ أبى عبد الله محمد بن على العظيمى(٢) الحلبى ، وأخبرنا به المؤيد بن محمد الطوسىُّ إجازةً عنه قيل إنه ولد ـ يعنى المتنبى ـ سنة إحدى وثلاثمئة ، والأول أصح والله أعلم .

٢٢ — أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الحموى ، قال : ذكر أبو الرَّيحان محمد بن أحمد البَيْرُونىّ ، ونقلته من خطه : أن المتنبى لما ذكر فى القصيدة التى أولها :

« كُفِّى أرَانى وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا »

. . . النور الذى تظاهر لاهُوتيُّه فى ممدوحه ، وقال :

« أنا مُبْصِرٌ وأظنُّ أَنِّىَ حَالِمٌ »

ودار على الألسن ، قالوا : قد تجلَّى لأبى الطيب ربُّه ! وبهذا وقع فى السجن = « والوثاق » الذى ذكره فى شعره :

« أيَا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخُدُودِ »

(١) الذى يقول : « قرأت » هو ابن العديم نفسه .
(٢) هكذا فى الأصل .

ولم يذكر سبب لقبه — على صدقه ، وإنما وجه له وَجْهَاما ، كما حكى عنه أبو الفتح عثمان بن جنى أن سببه هو قوله :

أَنَا فى أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللهُ غريبٌ كصالحٍ فى ثَمُود

وإنما هو أن الخيوط فى رأسه كانت تديره وتزعجه ، فتحيَّن غيبة سيف الدولة فى بعض غزواته ، وقصد أعراب الشام ، واستغوى مقدار ألف رجل منهم ، واتصل خبره بسيف الدولة فكرَّ راجعاً وعاجله ، فتفرق عنه أصحابه ، وجيء به أسيراً ، فقال له : أنت النبيُّ ؟ قال : بل أنا المتنبِّى ، حتى تطعمونى وتسقونى ، فإذا فعلتم ذلك فأنا أحمد بن الحسين ! فأُعْجِب بثبات جأشه وجرأته فى جوابه ، وحقن دمه ، وألقاه فى السجن بحمص إلى أن تقرَّر عنده فضله ، فأطلقه واستخصّه . ولما أكثروا ذكره بالتَّنَبِّىّ تلقب به كيلا يصير ذمًّا إذا احتشم أُخْفِيَ عنه ، وشتماً لايُشافه به ، واستمر الأمر على ماتولى التلقُّب به .(١)

● قلت(٢) : قول أبى الريحان إنه تحين غيبة سيف الدولة فى بعض غزواته ، إلى آخر ما ذكره ، ليس بصحيح ، فإن أهل الشام وغيرهم من الرواة لم ينقلوا أن المتنبى ظهر منه شيء من ذلك فى أيام سيف الدولة ومملكته بحلب والشام ، ولا أنه حبسه منذ اتصل به ، وإنما كان ذلك فى أيام لُؤلؤٍ الإخشيدى أمير حمص .

---

(١) فى الأصل « التقلب به »

(٢) القائل هو ابن العديم ، فى نقد هذا الخبر الغريب !!

٢٣ — [١] أخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن البَغْدادي كتابةً قال، أخبرنا
أبو مَنصور بن زُرَيق قال، أخبرنا أبو بكر الخطيب قال، وأخبرنا علي بن
٣٠ المحسِّن التنوخي قال، حدثنا أبي / قال، حدثني أبو علي بن أبي حامد قال:
سمعت خلقاً بحلب يحكون، وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك، أنه تنبأ في بادية السَّماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لُؤلؤٌ أمير حمص من قِبَل الإخشيدية، فقاتله وأسره وشرَّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب، وحبسه في السجن دهراً طويلاً، فاعتلّ وكاد أن يتلف، حتى سئل في أمره فاستتابه، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ورجوعه إلى الإسلام، وأنه تائب منه، ولا يعاود مثله، وأطلقه.

قال: وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أُنزل عليه، وكانوا يحكون له سُوَراً كثيرة، نسخت منها سورة ضاعت وبقي أوّلها في حفظي وهو: « والنجم السيار، والفلك الدّوّار، والليل والنهار، إن الكافر في أخطار، امض على سَنَنِك، واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامعٌ بك زيغ من أَلْحَدَ في دينه، وضلّ عن سبيله » . قال: وهي طويلة لم يبقَ في حفظي منها غير هذا.

قال: وكان المتنبي إذا شُوغِب في مجلس سيف الدولة، ونحن إذ ذاك بحلب يُذْكَر له هذا القرآن وأمثاله مما كان يحكى عنه، فينكره ويجحده.

---

(١) هذه الأخبار من رقم ٢٣ إلى آخر رقم: ٢٦، من تمام أخبار الخطيب في تاريخ بغداد، والتي ذكرها من رقم: ١٢، إلى رقم: ١٧

قال : وقال له ابن خَالَوَيْه النحوى يوماً فى مجلس سيف الدولة : لولا أن الآخر جاهل ، لما رضى أن يدعى بالمتنبي ، لأن « متنبٍّ » معنـاه كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالـكذب فهو جاهل . فقال له : أنا لست أرضى أن أُدْعَى بهذا ، وإنما يدعونى به من يريد الغضّ منى ، ولست أقدر على الامتناع .

٢٤ — قال الخطيب ، قال لنا التنوخى ، قال لى أبى : فأمَّا أنا فإنى سألته بالأهواز فى سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمئة ، عند اجتيازه بها إلى فارس ، وفى حديث طويل جرى بيننا عن معنى « المُتَنَبِّى » ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تَنَبَّى أم لا ؟ فأجابنى بجوابٍ مُغَالِطٍ لى ، وهو أن قال : هذا شىء كان فى الحداثة أوجبَته الصورة : فَاسْتَحْيَيْتُ أن أَسْتَقْصِىَ عليهِ ، وأَمْسَكْتُ .

٢٥ — وقال لى أبوعلى بن أبى حامد ، قال لى أبى ونحن بحلب ، وقد سمع قوماً يحكون عن أبى الطيب المتنبى هـذه السورة التى قدّمنا ذِكرها : لولا جَهْلُهُ ، أين قولُه : « امْضِ عن سَنَنِك » إلى آخر الـكلام من قول الله تعالى : ﴿ فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكين ، إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ، إلى آخر القِصَّة ، وهل تتقاربُ الفصاحةُ فيهما أو يشتبه الـكلامان .

* * *

٢٦ — قرأت فى نسخة وقعتْ إلىّ من شعر أبى الطيّب المتنبى ذُكِر فيهما عند قوله :

أبَا عَبْدِ الإلَهِ مُعَاذُ ، إنّى   خَفِيٌّ عَنْكَ فى الهَيْجَا مَقامى
ذَكَرْتَ جَسِيمَ ماطَلَبِى وأنَّا   نُخَاطِرُ فيه بالمُهَجِ الجِسَامِ
أمِثْلِى تأخُذُ النّكَباتُ مِنْهُ   ويَجْزَعُ من مُلاقَاةِ الحِمَامِ
ولو بَرَزَ الزَّمَانُ إلىَّ شَخْصًا   لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامى
ومَابَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللّيَالِى ،   ولا سَارَتْ وفى يدهَا زِمامى
/ إذا امْتَلأَتْ عيونُ الخَيْلِ منّى ،   فويْلٌ لِلتَّيَقُّظِ والمنامِ ٣١

وقال ، قال أبوعبد الله مُعَـاذُ بنُ إسماعيل اللاذقىُّ : قدِم المتنبى اللّاذقيَّةَ فى سنة نيّف وعشرين وثلاثمئة ، وهو كما عذّرَ ،(١) وله وفْرَةٌ إلى شحمتى أذُنِهِ ، وَضَوَى إلىّ فأكرمْتُه وعظَّمْتُه ، لِمَا رأيتُ مِنْ فصَاحَتِهِ وحُسْنِ سَمتِهِ . فلما تمكّنَ الأنسُ بينى وبينه وخَلَوْتُ مَعَهُ فى المنزل اغتناماً لمشاهَدَتِهِ واقتباساً من أدَبِهِ ، وأعجبنى ما رأيتُ قلتُ : واللهِ إنَّكَ لشابٌّ خَطِيرٌ ، تَصْلُح لمُنَادَمِةِ ملكٍ كبيرٍ . فقال لى : ويْحَكَ ! أتدرى ما تَقُول ؟ أنا نبيٌّ مُرْسَل ! فظننتُ أنه يَهْزِلُ ، ثم ذكرتُ أنى لم أحَصِّلْ عليه كلمة هَزْلٍ منذ عرفْتُهُ ، فقلت له : ماتقولُ ؟ فقال : أنا نبيٌّ مرسلٌ . قلتُ له : مرسل إلى مَنْ ؟ قال : إلى هذه الأمةِ الضالةِ المضلّة . قلتُ : تفعل ماذا ؟

(١) هكذا وردت هنا ، وفى المقريزى رقم : ١٣ ، ولعل صوابها : « ولما يعذر » ، أى لم ينبت شعر عذاره ، وهو شعر خده ولحيته . وانظر الخبر فيا سلف ١ : ٧٨ ، وفيه : « وهو لا عذار له »

قال : أمْلأُها عَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْرًا . قلت : بماذا ؟ قال : بإدْرار الأرزاق، والثوابِ العاجِل والآجلِ لمن أطاعَ وأتَى ، وضَرْبِ الأعْناق وقطع الأرزاق لمن عصى وأبَى . فقلتُ له : إن هذا أمرٌ عظيمٌ أخاف منه عليك، أنْ يَظْهَر ! وعَذَلْتُه على ، قوله ذلك ، فقال بَدِيهًا :

أبا عبْدِ الإله مُعاذُ ، إنّي خفِيٌّ عنك في الهَيْجا مَقامى

الأبيات ، فقلت له[1] : قد ذكرتَ أنك نبيٌّ مرسلٌ إلى هذه الأمة ؟ أفيُوحَى إليك ؟ قال : نعم . قلت : فاتلُ علىّ شيئاً من الوحى إليك ! فأتانى بكلام ما مرَّ بسَمعى أحْسَنُ منه ، فقُلْتُ : وكم أُوحِيَ إليك من هذا ؟ فقال : مئة عِبْرَةٍ وأرْبعَ عَشْرَةَ عِبْرَةً . قلت : وكم العِبرةُ ؟ فأتى بمقدار أكْبَرِ الآى من كتاب الله . قلت : فأسْمَعُ في هـذه العِبَرأنَّ لك طاعة في السماء فما هى ؟ قال : أحْبِسُ المدْرَارَ لقَطْع أرْزَاقِ العُصَاةِ والفُجَّار. قلت : أتَحْبِسُ من السماء مَطَرَها ؟ قال : إى ، وَالذى فَطَرها ، أفما هى مُعْجزة ؟ قلت: بَلَى واللهِ . قال : فإن حَبَسْتُ عن مكانٍ تنظرإليه ولا تشك فيه ، هل تُؤْمِنُ بِى وتُصَدِّقُنى على ما أُتيتُ به من ربى ؟ قلت : إى والله . قال : سأفعل ، ولا تسألنى عن شىء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تُظْهِرْ شيئاً من هذا الأمر حتى يَظْهَرَ ، وانتظرْ مَاوُعِدْتَهُ من غير أن تسألَهُ . فقال لى بعد أيامٍ : أتحب أن تنظرَ إلى المعجزةِ التى جرى ذكرها ؟ قلت :

(١) فى الأصل : « لم ذكرت » ، وعلى « لم » علامة (ص) لتدل على الخطأ

بَلَى واللهِ . فقال لى : إذا أرسلتُ إليك أحدَ العبيد فاركبْ مَعَهُ ولا تَأَخَّرْ، ولا يَخْرُجْ معك أحدٌ . قلت : نعم . فلما كان بعد أيامٍ تَغَيَّمَتِ السماء فى يوم من أيَّامِ الشتاء ، وإذا عَبْدُهُ قد أقبل فقال : يقول لك مولاىَ . ارْكَبْ للوعدِ ، فبادرتُ بالرُّكُوبِ معه وقلت : أين رَكِب مولاك ؟ فقال : إلى الصحراء ، ولم يخرجْ معه أَحَدٌ غيرى = واشتدَّ وَقْعُ المَطر ، فقال : بادِرْ بنا حتى نَسْتَكِنَّ معه من هذا المَطَرِ ، فإنَّه ينتظرنا بأعْلَى تَلٍّ لا يُصِيبُهُ فيه المطرُ . قلت : وكيف عمل ؟ قال : أَقْبَلَ ينظرُ إلى السماء / أوّل ما بَدَا ٣٢
السحاب الأسود وهو يتكلم بما لا أفْهَم ، ثم أخَذَ السَّوْطَ فأدار به فى موضِعٍ سَتَنْظُر إليه من التَّلِّ وَهُوَ يُهَمْهِم ، والمطر مِمّا يليه ، ولا قطرة منْهُ عليه ! فبادرت معه حتى نظرتُ إليه ، وإذا هو على تلٍّ على نصف فرسخٍ من البلدِ ، فأتَيْتُهُ وإذا هو عليه قائمٌ ، ماعليه من ذلك المطر قطرةٌ واحدةٌ ، وقد خُضْتُ فى الماء إلى رُكْبَتَى الفرس ، والمطر فى أشَدِّ مايكونُ . ونظرتُ إلى نحو مثتى ذراع فى مثلها من ذلك التلّ يابسٌ ما فيه نَدًى ولاقطرةُ مطر . فسلمتُ عليه ، فردَّ علىَّ وقال لى : ماترى ؟ فقلت : ابْسُطْ يدك ، فإنى أشْهَدُ أنك رسولُ الله ! فبسط يده فبايعتُه بَيْعَةَ الإقرار بنبوّته ، ثم قال لى : ماقال هذا الخبيثُ لما دَعَا بِكَ ؟ — يعنى عبدَه — فشرحت له ما قال لى فى الطريق لما استخبرته ، فقتل العبد وقال :

أىَّ مَحَلٍّ أرْتَقِى ، أىَّ عظيمٍ أتّقى
وكُلُّ ماخَلَقَ اللهُ وَمَا لَم يَخْلُق
مُحْتَقَرٌ فى هِمّتِى ، كشَعْرةٍ فى مَفْرِقِ

وأخذتُ بَيْعَتَه لأهلى ، ثم صحَّ بعد ذلك أن البيعة عَمَّتْ كلَّ مدينةٍ بالشام ، وذلك بأصغر حيلةٍ تَعلَّمَهَا من بعض العرب ، وهى « صَدْحَةُ المطر » يَصْرِفُه بها عن أىِّ مكان أحبَّ بعد أن يَحْوِى عليه بعصاً ، وينفُثُ بالصَّدحة التى لهم ، وقد رأيتُ كثيرًا منهم بالسَّكُون ، وحَضْرَموت ، والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ولايتعاظمونه ، حتى إن أحَدَهُم يَصدَح عن غَنَمه وإبله وبقره ، وعن القَريةِ من القُرى فلا يصيبها من المطر قطْرة ، ويكون المطر مما يلى (الصَّدْحَة) = وهُوَ ضربٌ من السِّحْر ، ورأيت لهم من السِّحر ماهو أعظم من هذا . وسألتُ المتنبى بعد ذلك : هل دخلتَ السَّكُونَ ؟ قال : نعم ، ووَالدى منها ، أما سمعت قولى :

أمُنْسِىَّ السَّكُونَ وحَضْرَمَوْتاً وَوَالِدَتِى وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا

فقلت : مِنْ ثَمَّ استفاد ماجَوَّزَه على طَغَامِ أهلِ الشامِ ! وجَرَتْ له أشياء بعد ذلك من الحروب والحبس ، والانتقال من موضع إلى موضعٍ ، حتى حصل عندَ سيفِ الدولةِ وعَلاَ شأْنُهُ .

● قلت : و « الصدحَة » التى أشار إلى أنها تمنع المطر معروفةٌ إلى زماننا هذا . وأخبرنى غير واحد ممن أثق به من أهل اليمن أنهم يصرفون المطرَ عن الإبل والغنم ، وعن زرْع عدُوِّه ، وإن رِعاءَ الإبل والغنم ببلادهم يستعملون ذلك ، وهو نوع من السحر .

* * *

٢٧ — وذكر أبو الحسن على بن محمد بن على بن فُورجَّةَ فى كتابه

« التجنّى على ابن جنّى » قال : أخبرنى أبو العلاء أحمدُ بنُ سليمانَ المعرىُّ عمَّن أخبره من الكُتَّابِ قال : كنتُ بالديوانِ فى بعض بلادِ الشام، فأسرعتِ المُدْيةُ فى إصبع بعض الكتاب وهو يَبْرِى قَلَمَهُ ، وأبو الطيب حاضرٌ ، فقام إليه وتَفَل عليه وأمسَكها ساعةً بيده ، ثم أرسلها وقد اندَمَلَتِ بدمها ، فجعل يُعَجِّبُ من ذلك ، ويُرِى مَنْ حَضَرَ أنَّ ذلك من مُعجزاته .(١)

قال : ومما كان يُمَخرِقُ به على أبياتِ البادِيَةِ ، أنه كان مَشَّاءً قَوِيًّا

٣٣ على السير سَيْرًا لاغَايَةَ بَعْدَه ، وكان عارفاً / بالفَلَواتِ ومواقعِ المياه ومحالِّ العَرَبِ بها ، فكان يسيرُ من حِلَّةٍ إلى حِلَّةٍ بالبادية فى ليلةٍ ، وبينهما مسيرةُ ثلاثٍ ، فيأتى ماء ويغسِل يديه ووجْهَه ورجْلَهُ ، ثم يأتى أهل تلك الحِلَّة فيخبرها عن الحلَّةِ التى فارقها ، ويُريهم أن الأرضَ طُوِيَتْ له . فلما عَلَتْ سنُّهُ رَغِبَ عن ذلك وزَهِدَ فيه ، وأقبَلَ على الشِّعر وقد وُسِمَ بتلك السِّمَةِ .

* * *

٢٨ — أنبأنا أبو محمد عبد العزيز محمود بن الأخضر قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن على بن على بن نصر بن سعيد قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى قال ، أخبرنا على بن أيوبَ بن الحُسَيْن قال : أنشدنا أبو الطيب المتنبى لنفسه ، وكان قوم فى صباه وَشَوْا به إلى السلطان

---

(١) هذا الخبر ، رواه المعرى فى رسالة الغفران : ٣٥٥ ، بغير هذا اللفظ .

وتكذّبوا عليه ، وقالوا له : قد انقاد له خَلْقٌ من العرب ، وقد عزم على أخذ بَلَدِك ! حتى أوحشوهُ منه ، فاعتقله وضيّق عليه ، فكتب إليه يمدحُهُ :

أيا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخدُودِ   وقَدَّ قُدُودَ الحِسَانِ القُدُودِ
فهُنَّ أسَلْنَ دَمًا مُقْلَتِي   وعَذَّبْنَ قَلْبِي بطُولِ الصُّدُودِ

قال فيها في ذكر الممدوح :

رَمَى حلبًا بنَوَاصِي الخُيول   وسُمْرٍ يُرِقْنَ دَمًا في الصَّعيدِ
وبِيضٍ مُسَافِرَةٍ ما يُقِمْنَ ،   لا في الرِّقاب ولا في الغُمودِ
يَقُدْنَ الفَنَاءَ غَدَاةَ اللِّقَاءِ   إلى كُلِّ جَيْشٍ كثير العَدِيدِ
فوَلَّى بأشياعِهِ الخَرْشَنِيُّ ،   كشَاءٍ أحَسَّ بِزَأْرِ الأُسُودِ
يُرَوْنَ من الذُّعْرِ صوتَ الرِّياحِ   صَهِيلَ الجِيَادِ وخَفْقَ البُنُودِ
فَمَنْ كالأمير ابن بِنْتِ الأمير ،   أمْ مَنْ كآبائه والجُدُودِ
سَعَوا للمعالي وهم صبية ،   وسادُوا وجادُوا وَهُمْ في المُهُودِ
أمَالِكَ رِقِّي ، ومَنْ شأنُهُ   هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وعِتْقُ العَبيدِ
دَعَوْتُكَ عند انقِطاع الرَّجاء ،   والموتُ مِنِّي كحَبْلِ الوَرِيدِ
دَعَوتُك لمّا بَرَاني البِلَى   وأوْهَنَ رِجْلَيَّ ثِقْلُ الحَدِيدِ
وقد كان مَشْيُهُما في النعال ،   فقد صار مشيُهُمَا في القُيودِ

وكنتُ مِنَ النّاسِ فى مَحْفِلٍ ، فَهَا أَنَا فى مَحْفِلٍ من قُرُود

تُعَجِّلَ فِيَّ وُجُوبُ الحُدُود وحَدِّىَ قبلَ وُجُوبِ السجُودِ

وقيل عَدَوْتُ عَلَى العَالمين ، بين وِلَادِى وبَيْنَ القعُودِ

فمالَكَ تَقْبَلُ زُورَ الكَلَامِ ؟ وقدْرُ الشهادةِ قَدْرُ الشُّهودِ

فَلَا تَسْمَعَنَّ من الكَاذِبينَ ، ولا تَعْبَأَنَّ بِمَحْلِ اليَهُودِ

وكُنْ فارقاً بين دعْوَى «أردْتُ» وَدَعْوَى «فَعَلْتُ» بشأْوٍ بعيدِ

وفى جُودِ كَفَّكَ مَا جُدْتَ لِى بنَفْسِى وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثمُودِ

٭ ٭ ٭

٢٩ — وذكر أبو منصور الثعالبى فى اليتيمة عن ابن جنى أنه قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لُقِّبْتُ بالمتنبى لقولى :

أنا فِى أمةٍ ، تداركَها اللهُ ، غريبٌ كصالحٍ فى ثمُودِ / ٣٤

مَا مُقامِى بدار نَخْلَةَ إلاَّ كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ اليَهُودِ

٣٠ — أخبرنا أبو هاشم عبد المطّلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمىّ قال ؛ أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السَّمْعَانىّ قال ، أنشدنا عمر بن محمد السَّرَخْسِىُّ قال ، أنشدنا الحسنُ بن على الحافظ قال ، أنشدنا الأستاذ أبو على أحمد بن محمد المعروف بمسكَوَيْه قال ، أنشدنا المتنبى :

ومِنْ نَكَدِ الدُّنْيا على الحُرِّ أنْ يَرَى   عَدُوًّا له ما مِن صَدَاقَتِهِ بُدُّ

٣١ — قال : قيل للمتنبي : على مَنْ تَنَبَّأْتَ ؟ قال : على الشعراء . فقيل : لكل نبي معجزةٌ ، فما معجزتك ؟ قال : هذا البيت .

* * *

٣٢ — وقرأت في رسالة علي بن منصور الحلبي المعروف بِدَوْخَلَةَ ،(١) وهي التي كتبها إلى أبي العلاء بن سُليمان ، وأجابه عنها برسالة الغفران ، وذَمَّ فيها أبا الطيب المتنبي ، وقال : وذكر ابن أبي الأزهر والقُطْرُبُلِّيُّ في التاريخ الذي اجتمعا على تصنيفه : أن الوزير علي بن عيسى أحضره إلى مجلسه فقال له : أنت أحمدُ المتنبّي ؟ فقال : أنا أحمدُ النبّي ، ولي علامةٌ في بطني ، خاتم النبوة . وأراهم شبيهاً بالسِّلْعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فَصُفِعَ وقُيِّد ، وأمر بحبسه في المطبق .

● ثم طالعت التاريخ المشار إليه فقرأت فيه في حوادث سنة اثنتين وثلاثمئة قال : وفيها جلس الوزير علي بن عيسى للنظر في المظالم ، وأحضر مجلسه المتنبِّي ، وكان محبوساً ليخلي سبيله ، فناظره بحضرة القضاة والفقهاء فقال : أنا أحمد النبي ، ولي علامة في بطني خاتَم النبوة ، وكشف عن بطنه وأراهم شبيهاً بالسلعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فصفع مئة صفعة ، وضربه وقيده وأمر بحبسه في المطبق . فبان لي أن أبا الحسن عليّ بن منصور الحلبي ، رأى

---

(١) نشرت هذه الرسالة الدكتورة بنت الشاطئ في أول الطبعة الثانية من رسالة الغفران ، وهذا الجزء الآتي هو في ص : ٢٥ ، ٢٦ ، ولكن بغير هذا اللفظ الذي هنا .

فى تاريخ ابن أبى الأزهر والقُطْرُ ُبلىّ ذِكْرَ أحمد المتنبى فظنّه أبا الطيب أحمد ابن الحسين ، فوقع فى الغلط الفاحش لجهله بالتاريخ ، فإن هذه الواقعة مذكورة فى هذا التاريخ فى سنة اثنتين وثلاثمئة ، ولم يكن المتنبى وُلد بَعْدُ ، فإن مولده على الصحيح فى سنة ثلاثٍ وثلاثمئة ، وقيل إن مولده سنة إحدى وثلاثمئة ، فيكون له من العمر سنة واحدة = وأبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القُطْرُ بلّى ، ومحمد بن أبى الأزهر ماتا جميعاً قبل أن يترعرع المتنبى ويعرف .

وهذا المتنبى الذى أحضره علىٌّ بن عيسى هو رجل من أهل أَصبهان تنبّأ فى أيام المقتدر يقال له : أحمد بن عبد الرحيم الأصبهانى ، ووجدتُ ذكره هكذا منسوباً فى كتاب عُبَيْد الله بن أحمد بن طاهر الذى ذيّل به كتاب أبيه فى تاريخ بغداد .

° ° °

٣٣ — أخبرنى ياقوتُ بن عبدالله الحموىّ قال : وقع لى كتابُ مصنَّفٌ
فى أخبار أبى الطيب صغير الحجم تصنيف الأستاذ / أبى القاسم عبيد الله ٣٥
بن عبدالرحيم الأصبهانىّ ،[1] وذكر فيه ادعاءه النبوة وقال فيه : وقدهجاه الشعراء بذلك ، فقال الضبُّ الضريرُ الشامىّ فيه :

---

(١) هكذا جاء اسمه هنا - وفي ابن عساكر رقم : ٣ ، أما فى الخزانة فقال : « أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الأصفهانى » ، وكذلك فى كتابه هكذا الذى نشر فى تونس سنة ١٩٥٥ باسم « الواضح فى مشكلات شعر المتنبى » ورواية ابن العديم من كتاب الأصفهانى أتم وأوضح من الموجود فى كتابه المطبوع باسم « الواضح . . . » فى هذا الخبر ، والذى بعده . وهذا دال على أن المطبوع مختصر اختصارا مخلا فى بعض الأحيان .

أطْلَلْتَ يا أيُّها ، الشقيُّ ، دَمَكْ ... لارَحِمَ الله رُوحَ من رَحِمَكْ
أقسَمْتُ لَوْ أقسَمَ الأميرُ عَلَى ... قَتْلِكَ قتلَ العِشَارِ ماظَلَمَكْ

ويُرْوَى « قبل العشاء » ، فأجابه المتنبى فقال :

إيهاً أتاكَ الحِمَامُ فاخْتَرَمَكْ ... غَيْرُ سَفِيهٍ عَلَيْك من شَتَمَكْ
هَمُّكَ فى أمردٍ تُقلِّبُ فى ... عَيْنٍ دوَاةٍ منْ صُلْبِه قَلَمَكْ
وهِمَّتِى فى انْتِضَاء ذِى شُطَبٍ ... أقُدُّ يوماً بحـدِّه أدَمَكْ
فاخْسأ كُلَيباً واقْعُدْ على ذَنَبٍ ... واطْلِ بما بين الْيَتَيْك فَمَكْ

قال : وهجاه شاعر آخر فقال ، وقيل هو الضَّبِّ أيضاً :

قد صَحَّ شِعْرُكَ والنُّبُوَّةُ لم تصِحّ ... والقولُ بالصِّدقِ المبِّين يَتَّضِحْ
الْزَم مَقالَ الشِّعرِ تَحْظَ برُتْبَةٍ ... وعن التنبِّى لا أبالَك فانْتزِحْ
تَرْبَحْ دَماًقدكنت تُوجِبُ سَفْكَهُ ، ... إن المتَّع بالحياة لَمَنْ رَبَحْ

فأجابه بأبيات وهى :

نارُ الدِّرَايَةِ من لِسانِى تُقْتَدَحْ ... يَغْدُو علىَّ مِنْ النُّهى ما لَمْ نُزِحْ
بَحْرٌ لو اغْتَرفَتْ لُطَامةُ مَوْجِهِ ... بالأرض والسَّبعِ الطِّباقِ لما نُزِح
أمْرِى إلىَّ ، فإنْ سَمَحْتُ بمهجةٍ ... كَرُمَتْ علىَّ ، فإنمِثْلِى من سَمَحْ

٣٤ — أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رَوَاحة الحموىّ، وأبو يَعقُوب يوسف بن محمود السَّاوى الصُّوفى، قالا، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفِى إجازةً، إن لم يكن سماعاً، قال، سمعت أبا عبد الله الحسين بن على بن همام الحُسينى الطالقانى ببغداد يقول: هجا أبو عبدالله بن الحجّاج أبا الطيب المتنبي لما دخل بغدادَ بمقطعات منها:

يا دِيمة الصَّفع هُبِّى، عَلَى قَفَا المتنبّى
وياقفاهُ تقدَّمْ، تعالَ واجْلِسْ بِجَنْبِي
ويايدى فاصْفَعِيهِ بالنَّعْلِ حتَّى تَدِبِّى
إن كان هذانبيٌّ، فالقِرْدُ لاشك رَبِّى

فلما بلغ أبا الطيب قال:

عارَضَنى كلبُ بنى دَارمٍ، فصُنْتُ منه الوَجْهَ والعِرْضَا
ولم أُكلِّمه احتقاراً به، مَن ذا يَعَضُّ الكَلْبَ إن عضَّا

كذا رواه السلفى «هُبِّى»، والمحفوظ «صُبِّى».

* * *

٣٥ — وقال لى ياقوتُ الحموىّ: وذكر الأستاذُ أبو القاسم عُبَيْد الله ابن عبد الرحيم الأصبهانى فى أخبار أبى الطيب، (١) قال: وقد تعلَّق قوم

---

(١) انظر التعليق السلف س ٢٦٩: تعليق: ١، والاختصار فى المطبوع واضح جدا.

ممن يتعصَّبُ على المتنبى ، فانتزع من شِعْره أبياتاً زعم أنها تدلُّ على فساد اعتقاد ، وقد جعل لها من يتعصب له وجهاً ، منها .

هَوِّنْ على بَصرٍ ما شقَّ مَنْظَرُه ، فإنَّما يَقَظاتُ العَيْنِ كالحُلُمِ

٣٦ / قالوا : هذا البيت من اعتقاد السُّوفسطائية ، وقوله فى أخرى :

تمتَّـع من سُهادٍ أو رُقادٍ ولا تأْمُلْ كرًى تحت الرِّجامِ
فإنَّ لِثَالِثِ الحَالَـيْنِ معنًى سوَى معنى انْتِباهك والمنَامِ

قالوا : فهذا ينبىء عن اعتقاد الحشيشية ، وقوله فى أخرى .

تخالفَ الناسُ حتى لا اتِّفاق لهم إلاَّ على شَجَبٍ ، وَالخُلْفُ فى الشَّجَبِ
فقيل : تسلم نفسُ المرءِ باقِيَةً ، وقيل : تَشْرَكُ جسم المرءِ فى العَطَبِ

قالوا : فهذا مذهب من يقول بالنفس الناطقة ، وقوله فى عَضُد الدولة :

نَحْنُ بَنُو الدُّنيا ، فما بَالُنا نعافُ ما لابُدَّ من شُرْبِهِ
تَبْخَلُ أيْدِينَا بأرواحِنَا على زمانٍ هى مِنْ كَسْبِهِ
فهذه الأرواحُ من جَوِّه ، وهذه الأجسادُ من تُرْبِهِ

فهذا مذهب الهوائية وأصحاب القضاء ، وقوله فى ابن العميد :

يُعَلِّلُنَا هذا الزّمانُ بِذَا الوَعْدِ ويَخْدَع عمَّا فى يديه من النَّقْدِ
فإنْ يَكنِ المهدىُّ مَنْ بَان هَدْيُهُ ، فهذا ، وإلا فالهُدَى ذَا فما المَهْدِى

قالوا فهذا مذهب أهل النجوم .

* * *

٣٦ — وقال لى ياقوت الحموى : نقلت من خط أبى الرَّيحان محمد بن أحمد البَيْرونىّ فى رسالة له سماها « التعلُّل بإجابة الوهم فى معانى نظوم أولى الفضل » ، قال فى أثناء كلامٍ ذكره : ثم إن لى من أخلاقهم - يعنى الشعراء - أسوة حسنة ومَسْلاة أكيدة ، بإمام الشعراء الذى طرّق لهم ولمن بعده إلى طريقته المخترعة فى الشعر ، وخلَّفهم من معانى كلامه فى بروق تخطف أبصارهم وبصائرهم « كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قامُوا » ، أبى الطيب المتنبى ، حتى إن أفاضل أهل زماننا كأحمد بن فارسٍ يحسده على ما آتاه الله من فضله ويقول : إنه مبخوتٌ وإلاَّ (قال لى ياقوت : كذا رأيته مبيضاً بخطه) ويقول : سألت أبا الفضل بن العميد عن معنى قوله :

وَفَاؤُكُما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ

فأجابنى بأن المتنبى خرج من الدنيا بعد ستين سنة عاشها ، ولم يكن وقف على معناه !

وكان أبو الطيب ، على ضيق عَطَنه ، رفيعَ الهمة فى صناعته ، فاقتصر لها فى رحلته بمدح عَضُد الدولة ووزيره ابن العميد ، وراوده الصاحبُ إسماعيلُ ابن عبَّاد على التزاور رغبةً فى مديحه ، فأبى الانحطاط إلى الكَتَبة ، وهذا ما حمله على الخوض فى مساوى شعره ، وليس يترفع عن حله ونثره فى أثناء

كتابته ، ومشاركة الحاتمى فى إدامة حلّ نظمه فى رسائله ، بعد مقالته التى عملها فيه محرضاً عليه ومتنادراً به كنوادر المخنثين = كما حمل مثله أبا محمد المُهلّبى مُسْتَوْزَرَ بختيار بن معز الدولة على إغراء سفهاء بغداد عليه ، ومعاملته
٣٧ بالسخف الذى أعرض بوجهه عنه وعنهم ، ولم يزد / فى الجواب على الخسأ ، ترفعاً وتنزهاً واكتفاء من مهاجاتهم ، على ما فى خلال شعره من مثل قوله :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ
يَخْلُو من الهَمِّ أَخْلاَهُم مِنَ الفِطَنِ

وذكر أبياتاً مثلَهُ ، وقال : ثُم ما يدريني هل كان فى سبب الفتك به من الأعرابىّ نُبَذٌ من ذلك الإغراء،[1] فالقائل بالشر غير مبالٍ أيضاً بفعله ، وخاصة عند استماع ما كان حَظِىَ به لدى المقصودين من القبول والإقبال ، حتى إنه قال عند دخوله إلى شيراز : أنا لا أُنشد ماثلاً ! فأمر عَضُدُ الدولة بكرسىّ له ، فلما دخل ورآه ، أنشده قائماً ، فأمره بالجلوس فأبى وقال : هيبتك تمنع عن ذلك ! فوقع قوله وفعله منه أحسن المواقع . وكان المهلّبى مع بختياره ينكران أن عَضُدَ الدّولة فعل ذلك ،[2] حنقاً وجهلاً بالقدر .

قال : ومما يغيظنى حقًّا ، قوم مُتَّسِمُون بالفضل يكابرون عقولهم فى أمره ،

(١) هذا هو نفس ما ذهبت إليه فى مقتل أبى الطيب استظهاراً من الشعر والأخبار ، لامن نص منقول . انظر ما سلف ١ : ٢٨٦

(٢) فى الأصل : « يناكر أن عضد الدولة . . . »

ويرتكبون فى إطفاء نوره ،[1] كشمس المعالى قابوس ، فقد كان يقول : ليس للمتنبي فى ديوانه ما يَسْوَى استماعاً إلا أربعة أبيات ، ثم لم يكن يبتدئ من ذات نفسه بالإشارة إليها ، وكان سوء خلقه يمنعني من سؤاله عنها = وكأبى الفتح البُسْتى فى قوله :

سُئِلْتُ عن المُتَنَبِّي فَقُلْتُ مَقَالَ امْرِىءٍ [مُنْصِفٍ] لَيْسَ يَغْلُو[2]

لهُ فى مَوَاضِـعَ فَصْلُ الخِطَابِ ، وسَائِرُ مَا قَالَهُ فَهُوَ فَسْلُ

قال : ولو كان قَلَبَهُ فقال : إن مواضِـعَ منه فَسْلٌ وسائر ما قاله فَصْلُ خطابٍ ، لـكان أبعد عن الإثم ، وأقرب إلى الصدق والصواب .

* * *

٣٧ — وذكر ابن الصَّابى فى كتاب الوزراء : أن ابن العميد كان يُجْلِسُ المتنبي فى دَسْتِه ، ويقعُد بين يديه فيقرأ عليه الجمهرة لابن دُرَيْدٍ ، لأن المتنبي كان يحفظها عن ظهر قلب .

٣٨ — وقرأت فى بعض مطالعاتى أن المتنبّى لما اجتاز بالرملة ومَدَحَ طاهر بن الحسن بن طاهر بن يحيى العَلَوِيَّ ، أجلسه طاهر فى الدَّسْت ، وجلس بين يديه حتى فرغ من مِدحته .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله « ويرتكبون الإثم فى إطفاء نوره » .

(٢) ما بين القوسين : زيادة منى ، ليقوم وزن البيت .

٣٩ — وقرأت فى كتاب « نزهة عيون المشتاقين » لأبى الغنائم الرَّنْدِى ، قال : حدثنى جماعة أن المتنبى لما مدح طاهر بن الحسن بن طاهر أجازه ألف دينار . قلت : والقصيدة التى مدحه بها هى القصيدة البائية التى أولها :

أَعِيدُوا صَبَاحِى فَهْوَ عِنْدَ الكَوَاعِبِ ،
وَرُدُّوا رُقَادِى فَهْوَ لَحْظُ الحَبَائِبِ

* * *

٤٠ — وقال ابن فُورَجَّة فى كتاب « التجنى على ابن جنى » : حدثنى الشيخ أبو علىّ أحمد بن محمد بن يعقوب مَسْكَوَيْهِ بأصبهان ، وكان تربيةَ ابن العميد ونديمه ، قال : حضرت مجلس ابن العَميد بأرَّجان وقد دخل عليه أبو الطيب ، وكان يستعرض سيوفاً ، فلما بَصُر بأبى الطيب نَهَض من مجلسه وأجلسه فى دَسْتِه ، ثم قال لأبى الطيب : اختر سيفاً من هذه السيوف . فاختار منها واحداً ثقيل الحَلْىِ ، واختار ابن العميد آخر غيره ، فقال كل منهما : سيفى الذى اخترته أجود ! ثم اصطلحا على أن يجرِّباهما ، فقال ابن
٣٨ العميد : فبماذا / نجرِّبهما ؟ فقال أبو الطيب : فى الدنانير ، فيؤتى بها فيُنْضَد بعضها على بعض ، ثم تضرب به ، فإن قدَّها فهو قاطع . فاستدعى ابن العميد بعشرين ديناراً ، فنُضِدت ، ثم ضربها أبو الطيب فقدَّها وتفرقت فى فى المجلس ، فقام من مجلسه المفخَّم يلتقط الدنانير المتبددة فى كمه ، فقال ابن

العميد : ليلزم الشيخ مجلسه ، فإن أحد الخدام يلتقطها ويأتيه بها . فقال : بل صاحب الحاجة أولى بها !

قال ابن فُورَجَّة . وكان رجلاً داهيئة ، مُرَّ النفس ، شجاعاً ، حُفَظة للآداب ، عفيفاً ، وكان يشين ذلك كله ببخله .

٤١ — قرأت على ظهر نسخة قديمة من شعر المتنبي ما صورته : وحكى أبو بكر الخوارزميّ أن المتنبي كان قاعداً تحت قول الشاعر :

وإنَّ أحَقَّ النَّاسِ باللَّومِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى البُخْلِ الرِّجَالَ ويَبْخَلُ

وإنما أعرب عن طريقته وعادته بقوله :

وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فى التُّرْبِ خَاتَمُهْ

قال : فحضرت عنده يوماً وقد أحضر مالٌ ، فصُبَّ بين يديه من صلات سيف الدولة على حصير قد افترشه ، فوُزِن وأعيد فى الكيس ، وتخللت قطعة كأصغر ما تكون خلال الحصير ، فأكبَّ عليه بمجامعه يعالج لاستنقاذها منه ، ويشتغل عن جلسائه ، حتى توصَّل إلى إظهار بعضها ، وأنشد قول قيس بن الخطيم :

تبدَّتْ لنَا كالشَّمْسِ بَيْنَ غَمَامَةٍ ، بَدَا حَاجِبٌ مِنها وضَنَّتْ بِحاجِبِ[1]

(١) فى هامش الأصل : « المعروف : تحت غمامة » .

ثم استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها ، وقال : إنها تُخَضِّرُ المائدة .

* * *

٤٢ — أنبأنا أحمد بن زاهر بن عبد الوهّاب البغدادى فى كتابه عن أبى بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى قال ، أخبرنا أبو غالب بن بِشْرَان إجازة قال ، أخبرنا محمد بن نصر الكاتب = قلت : ونقلته من خطه ببغداد = قال ، حدثنى أبو الفَرَج عبدُ الواحد بن نصر الببّغاء ، قال : كان أبو الطيب المتنبى يأنَسُ بى ويشكو عندى سيفَ الدولة ، ويأمَنُنى على غِيبته له ، وكانت الحال بينى وبينه صافية عامرة دون باقى الشُّعراء ، وكان سيفُ الدولة يغتاظ من عظمته وتعاطيه ،(١) ويجفو عليه إذا كلمه ، والمتنبى يجيبه فى أكثر الأوقات ويتغاضى فى بعضها .

قال : وأذكر ليلة وقد استدعى سيفُ الدّولة بَدْرة فشقّها بسكين الدواة ، فمدّ أبو عبد الله بن خَالَوَيْه النّحويُّ جانب طَيْلَسانه ، وكان صوفاً أزرق ، فحثا فيه سيفُ الدّولة صالحاً ، ومددت ذيل دُرّاعتى ، وكانت دِيباجاً ، فحشى لى فيها ،(٢) وأبو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا أو يطلب شيئاً منها ، فما فعل ، فغاظه ذلك ، فنثرها كلها ، فلما رأى أنها قد فاتته ، زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيفُ الدولة ، فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته وطرطوره فى حلقه ، واستحيى ، ومضت به ليلةٌ عظيمة ،

---

(١) هكذا فى الأصل ، ولعلها « تعاليه » أو « تعاظمه »
(٢) هكذا هنا ، ولعله « فحثا لى » كالأولى

وانصرف ، فخاطب أبو عبد الله بن خَالَوَيْه / سيفَ الدولة فى ذلك ، فقال : ٣٩
من يتعاظم تلك العظمة ، يَتَّضِعُ إلى مثل هذه المنزلة، لولا حماقته !

٤٣ — ومما يحكى من بخله وشُحِّه ماقرأته فى تاريخ أبى غالب همام بن الفضل بن المهَذَّب المعرِّى — سَيَّرَه إلى بعض الشِّراف بحلب — قال : وكان سيفُ الدولةِ قد أقطعه — يعنى المتنبى — ضيعة تعرف بِبَصَّف ، من ضياع معرّة النعمان القبلية ، فكان يتردد إليها ، وكان يوصف بالبخل ، فما ذكر عنه ماحدثوه جماعة من أهل بَصَّف أن كلباً من كلاب الضيعة المعروفة بِصَنْهيان ، كان يطرُق تين بَصَّف فذكر ذلك لأبى الطيب المتنبى ، فقال للناطور : إذا جاء الكلب فعرِّفنى به . فلما جاء عرّفه ، فقال : شدوا على الحصان . وخرج إليه فطرده أميالاً ، ثم عاد لا يعقل من التعب ، وقد عرق فرسه ، فقال له أهل بصَّف : يا أستاذ ، كيف جرى أمر الكلب ؟ فقال : كأنه كان فارساً مرّةً ، إن جئته بالطعنة عن اليمين عاد إلى الشمال ، وإن جئته من الشمال عاد إلى اليمين .

٤٤ — قال أبو همام المعرّىّ : وحدثوا عنه أن أبا البهاء بن عدىّ ، شيخ رَفَنِيَّة ، كان صديقاًله، فنزل عنده ببصَّف ، فسمعوه وهو يقول له : يا أبا البهاء، أوجز فى أكلك ، فإن الشمعة تَتْوَى.(١)

وسمعوه يحاسب وكيلاً له وهو يقول : والحبَّتان مافعلتا — يعنى فضة .

---

(١) توى (من باب سمع) يتوى : أى هلك وذهب ضياعاً .

٤٥ — أخبرني ياقوت بن عبد الله مولى الحموي قال : قرأت في أخبار المتنبي تصنيف أبي القاسم عُبيد الله بن عبد الرحيم الأصبهاني قال ، وأخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد أنه قال :[1] رأيت المتنبي وقد مدح رجلاً بقوله :

انْصُرْ بِجُودِكَ أَلْفَاظاً تَرَكْتُ بِهَا
فى الشَّرْقِ والغَربِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
فقد نَظَرْتُكَ حتى حَانَ مُرْتَحَلٌ
وذَا الوداعُ فكُنْ أَهْلاً لما شِيتَا

فأعطى دون الخمسة دراهم وقبلها .

٤٦ — قال : وأخبرني الطرائفي ، قال ، حدثني المتنبي قال : أول يوم وصلتُ بالشِّعر إلى ما أردته ، أني كنت بدمشق ، فمدحت أحد بني طُغُجّ بقصيدتي التي أولها :

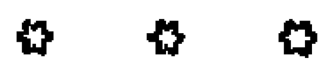
أَيا لائِمِي إنْ كُنْتَ وَقْتَ اللَّوَائِمِ عَلِمْتَ بما بى بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ

فأثابني الممدوح بمئة دينار ، ثم ابيضت أيامي بعدها .

٤٧ — قال أبو القاسم بن عبد الرَّحيم : واتصل بعد هذا بأبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حَمْدَان ونَفَق عليه نفاقاً تاماً ، فأجرى ذكره

(١) انظر هذا الخبر ومابعده في كتاب « الواضح ... » للأصفهاني .

عند سيف الدولة أبي الحسن على بن حَمْدان ، فأمر بإحضاره عنـده ، فاشتط المتنبي عليه ، واشترط أن ينشده جالساً ، وأن لا يُكَلَّف تقبيل الأرض بين يديه ، فأجابه إلى ذلك ، وأنشده ، فصادف من سيف الدولة رجلاً قد غُذِىَ بالعلم وحُشِى بالفهم ، فأعجبه شعره ، واستخلصه لنفسه ، وأجزل عطاءه ، وأكرم مثواه ، ووصله بصلات كثيرة ، وسلمه إلى الرُّوَّاض فعلموه الفروسية ، وصحب سيف الدولة فى عدة غزوات إلى بلد الروم ، منها « غزوة الفناء »
// التى لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وأخذت عليه الروم الطرق ، فجرَّد ٤٠
السيف وحمل على العسكر وخرق الصفوف ونجا بنفسه .



٤٨ — قرأت بخط محمد بن على بن نصر الكاتب من كتابه الموسوم بالمفاوضة ، وأخبرنا به أبو حَفص عُمَر بن محمد بن معمّر بن طرزد وغيره ، إجازة عن أبى بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى ، قال ، أنبأنا أبو غالب بن بشران قال ، أخبرنا ابن نصر قال ، حدثنى أبو القاسم الرَّقِّى المُنَجِّم عن سيف الدولة : أنه انهزم فى بعض السنين ، وقد حُلِّت الصناديقُ عن بغاله فى بعض دروب الروم ، وأنها ملأت الدروب ، وكان على فرس له يعرف بالثُّرَيَّا ، وأنه حرَّك عليها نحو الفرسخ حتى نزل ، ولم يعثُر ولم يتلعثم ، وأخبرنى أنه بقى فى هذه السفرة فى تسعة أنفس أحدهم المتنبى ، وأنه كان يحدث أبا عبد الله بن خَالَوَيْهِ النحوىّ حديث الهزيمة ، وأن المتنبّى كان يجرى بفرسه ، فاعتلقت عمامته طاقة من الشجر المعروف بأمّ غَيْلان ، فكلما جرى الفرس انتشرت

العمامة ، وتخيَّل المتنبي أنه قد ظَفِر به ، فكان يصيح : الأمانَ ياعِلْج ! قال : فبهتُّ به وقلت : أيَّما عِلْج ؟ ! هذه شجرة قد علقت بعمامتك ! فودّ أن الأرض ساخت به وما سمعته يقول ذلك . فقال ابن خَالَوَيْه : أيها الأمير : أفليس قام معك حتى بقى فى تسعة أنفس ! تكفيه هذه الفضيلة !

٤٩ — وقرأت فى مجموع بخط بعض الفضلاء : أنه لما فعل ذلك ، لحقه سيفُ الدولة وضحك منه وقال له : يا أبا الطيب ، أين قولك :

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرِفُنى ... والطَّعْنُ والضَّرْبُ والقِرْطَاسُ والقلمُ

ولم يزل يضحك منه بقية يومه فى مُنْهَزَمِه .

❁ ❁ ❁

٥٠ — أنبأنا أبو الحسن على بن أبى عبد الله بن المقَيّر ، عن أبى على الحسن بن جعفر بن المتوكّل البغدادىّ ، ونقلته من خطه ، قال ، حدثنى الشيخ الإمام الفَصِيحىُّ وقت قراءتى عليه ديوان أبى الطَّيِّب أحمد بن الحسين المتنبى ، وهو ابن عِيدَان السَّقَّاء ، قال : قدم بعض الأشراف من الكوفة فدخل إلى مجلس فيه المتنبى ، فنهض الناس كلهم له سوى المتنبى ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال بالكوفة وما تجدّد هناك ، فقال له المتنبى : ياشريف ، كيف خَلَّفْتَ الأسعار بالكوفة ؟ فقال: كل راوية برطلين خبز.[١]

(١) « الراوية » : قربة السقاء .

فأخجله . وقصد الشريف أن يعرِّض بأن أباه كان سقاء .

* * *

٥١ — ذكر ابن فُورَجة فى « التجنّى على ابن جنّى » وقال : وأمّا محله — يعنى المتنبى — فى العلم فقال الحسن بن على بن الحلاّب : سمعته يقول : من أراد أن يُغْرِب علىّ بيتاً لا أعرفه فليفعل . قال : وهذه دعوى عظيمة ، ولا ريب أنه صادق فيها .

٥١ — وأخبرت عن أبى العَلاء بن سُليمان المعرّى أنه كان يسمِّى المتنبى : « الشاعر » ، ويسمِّى غيره من الشعراء باسمه ، / وكان يقول : ليس فى شعره لفظة يمكن أن يقوم عنها ما هو فى معناها .(١) ٤١

٥٢ — وقرأت فى بعض كلام أبى العلاء : قد عُلِمَ أن أحمد بن الحسين كان شديد التفقد لما ينطق به من الكلام ، يغيِّر الكلمة بعد أن تُرْوَى عنه ، ويفرُّ من الضرورة وإن جلب إليها الوزن .

٥٣ — سمعت شيخنا ضياء الدّين الحسن بن عَمْرو الموصلّى المعروف بابن دُهْن الحَصَا ، يقول : كان أبو العلاء المعرّى يعظم المتنبى ويقول : إياى عنى بقوله :

أنَا الَّذِى نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِى ... وأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِى مَنْ بِهِ صَمَمُ

٥٤ — أنبأنا أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السّبّاكُ قال ، أخبرنا

(١) فى الأصل : « أن يقوم عنها »

أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاريّ إجازة، عن أبي علي التنوخي قال، حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الصقر الكاتب = رجُلٌ من أهل مَعَلْثَايَا، (١) ومِمّن نشأ بالموصل، وكان أبوه عاملاً لسيف الدولة على أنطاكية، وهو من أهل الأدب = قال: جرى ذكر أبي الطيب المتنبيّ بين يدي أبي العباس النّامي المِصّيصِي، فقال لي النامي: كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي! قال، وقال لي في هذا المجلس: كنت أشتهي أن أكون قد سبقته إلى معنيين قالهما، ماسُبِق إليهما، ولا أعلم أن أحداً (اخترعهما) قبله. (٢) فقلت: ماهما؟ قال: أما أحدها فقوله:

رَمَانِي الدَّهْرُ بالأَرْزاءِ حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ

والآخر قوله:

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبَارُهُ ... فَكَأَنَّما يُبْصِرْنَ بِالآذَانِ

٥٥ — أخبرني ياقوتُ بن عبدالله الحمويّ قال، حكى لي بعضُ الفضلاء في المذاكرة، قال: لما ورد المتنبي إلى شيراز مادحاً لعَضُدِ الدَّولةِ، كان يجتاز على مجلس أبي عَليٍّ، وقد اجتمع إليه أعيانُ أهل العلم، وكان زِيُّ المتنبيّ زِيًّا عجيبًا، يلبس طرطوراً طويلاً وقَبَاءً، ويعمل له عَذَبَة طويلة تشبُّها بالأعراب، فكان أبو علي يستثقله ويكره زِيَّه، ويجد في نفسه نفوراً منه، وكان إذا

---

(١) هكذا ضبطت في أصل ابن العديم، وضبطها ياقوت بفتح الميم وسكون العين وفتح اللام.
(٢) في الأصل: «أخبر عنهما قبله».

اجتاز عليهم يقول أبو عليّ لتلاميذه : إذا سلم عليكم فأوجزوا فى الردّ ، لئلاّ يستأنس فيجلس إلينا . وكان أبو الفتح عُثمان بن جنّى يُعْجَب بشعره ويحب سماعه ، ولا يقدر على مراجعة شيخه فيه ، فقال أبو على يوماً : هاتوا بيتاً تعربونه ، فابتدر أبو الفتح فأنشد للمتنبى :

حُلْتِ دُونَ المزَارِ ، فاليومَ لَوْزُرْتِ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ العنَاقِ

فقال أبو على : أعِدْ أعِدْ ! فأعاده ، فقال : ويحك ، لمن هذا الشعر ، فإنه غريب المعنى ؟ قال : هو للذى يقول :

أمْضَى إرادَتَه فَسوفَ له قَدٌ واسْتَقْرَبَ الأقْصَى فثَمَّ لَهُ هُنَا

قال : فازداد أبو عليّ عجباً وقال : ما أعجب هذه المعانى وأغربها ! من /قائلها ؟ قال : الذى يقول : ٤٢

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَى
مُضِرٌّ ، كَوَضْعِ السيف فى موضع النَّدَى

قال : فاستخفَّ أبا عليّ الطرب ، وقال : ويحك ! من قائل هذا ؟ قال : الذى يقول . قال : = ونسى البيت الذى أنشده = قال : فقال أبو على : أحسن والله ، وأطلتَ أنت ، من يكون هذا ؟ قال : هو صاحب الطرطور الذى يمرُّ بك فتستثقله ولا تحب محاضرته . قال : ويحك ! أهذاك يقول هذا ؟! فقال : نعم . قال أبو على : والله ماظننت أن ذلك يأتى بخير أبداً ، إذا كان

فى الغد ومرّ بنا فاسألوه أن يجلس إلينا لنسمع منه ، فلما كان فى الغد ومرّ بهم ، كلموه وسألوه النزول عندهم ، ففعل ، واستنشده أبو على ، فملأ صدره وأحبّه ، وعجب منه ومن فصاحته وسعة علمه ، فكلم عَضُدَ الدّولة فيه حتى أحسن إليه وضاعف جائزته .

● قلت : وهذه الحكاية لا يقبلها القلب ولا تكاد تثبت ، فإن أبا على الفارسىّ كان يعرف المتنبى قبل أن يصيرَ بشيراز حين كانا بحلب ، وقد حكى أبو الفتح عثمان بن جنِّى، عن أبى على الفارسى فى كتاب « الفسْر »، ما يشهد بخلاف ما تضمنته الحكاية = قال أبو على : خرجت بحلب أريد دار سيف الدولة ، فلما برزتُ من السُّور إذا أنا بفارس متلثّم قد أهْوَى نحوى برمح طويل ، فكدت أطرح نفسى من الدابة فَرَقاً ، فلما قرُب منى ثَنَى السنانَ وحسر لِثامه ، فإذا المتنبى ، وأنشدنى :

نَثَرْتَ رُؤُوساً بالأُحَيْدِبِ منهمُ
كما نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسنٌ هو ؟ فقلت : ويحك قتلتنى يارجل ! قال ابن جنّى : فحكيت هذه الحكاية بمدينة السلام لأبى الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علىٍّ بالثناء والتقريظ بما يقال فى مثله .

٥٦ — وجرى للمتنبى مع ابن خَالَوَيْهِ مثل هذه الواقعة التى حكاها أبو على ، فإننى نقلت من خطّ أبى الحسن على بن مُرْشد بن على بن مقلد بن

نصر بن منقذ الكنانى المالكىّ ، من كتابه الموسوم « بالبداية والنهاية »
فى التاريخ قال فيه : حدثنى أبى قال ، حدثنى = وبيَّضَ ، ولم يذكر من
حدث أباه = قال ، حدثنى ابن خالويه ، وكان نديماً ومجالساً لسيف الدولة ،
قال : خرجت فى بعض الأيام إلى ظاهر حلب ، فقعدت أطالع فى كتاب
وأنظر إلى قُوَيْق ، فما رفعت رأسى إلا مِنْ وَقْعِ فرس ، فنظرت فإذا بفارس
مسدِّدٍ نحوى رمحه . فقلت : والله ما أعرف بينى وبين أحد من الناس ما يوجب
هذا ! ورأيت الفارس متلثِّماً ، فلما دنا حطَّ لثامه فإذا بأحمدَ بن الحسين
المتنبى ، فسلَّم علىّ ، فرددت السلام وجاريته الحديث ، فقال : كيف رأيت
قصيدتى التى أنشدتُها أول أمس الأميرَ سيف الدولة ؟ فقلت : والله إنها
لمليحةٌ ، وإن أوّلها لا يحتاج إلى تمام فى قولك :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِى العَزَائِمُ

وفيها كذا وكذا . فقال : ما رأيت إلا مليحاً ؟ والذى فيه ما سبقنى إليه
من أحسن فيه من ذكر « الدراهم » ، فإنها / لا تأتى فى شعرٍ إلا بَرَّدته ٤٣
وضعّفته ، إلا ما جاءنى :

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً   كَما نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

٭ ٭ ٭

٥٧ — أخبرنى أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن علىّ إذناً ، عن
أبى الفتح محمد بن عبد الباقى البطّىّ ، عن أبى نصر الحُمَيدى قال ، أخبرنا
غَرْسُ النِّعْمَةِ محمد بن هلال بن المُحَسِّنِ بن أبى إسحق الصَّابى قال ، وحدثنى ،

رضى الله عنه = يعنى أباه هِلال بن المحسِّن = قال ، حدثنى أبو إسحق جدِّى ، تجاوز الله عنه ، قال : لما ورد أبو الطيب أحمدُ بن الحسين المتنبى إلى بغداد متوجهًا إلى حضرة الملك عَضُد الدَّولة بفارس ، أعدَّ له أبو محمد عشرة آلاف درهم وثياباً كثيرة ، مقطوعة وصحاحاً ، وفرساً بمركب ، ليعطيه ذلك عند مَديحه له ، فأخَّر المتنبى من ذاك ما كان متوقعاً منه ، وحضر مجلس أبى محمد للسلام عليه الذى لم يخلط به غيره ، فغاظ أبا محمد فعله ، وخاطبتُ المتنبى على استعماله ما استعمل ، وتأخيره من خدمة الوزير ما أخَّر ، فقال : لم تجر عادتى بمدح مَنْ لم يتقدَّم له إلىّ جميلٌ . فقلت : إن الوزير شديد الشَّغَفِ بوردك ، معتقد فيك الزيادة بك على أملك ، والامتناع من خدمته إلا بعد الاستسلاف لصلته غير مستحسن منك ، بل مستقبح لك ! فقال : ليس إلى مخالفة عادتى سبيل ! واتصل ذلك بأبى محمد من غير جهتى ، فأكد غيظه وأظهر الإقلال به والاطّراح له ، وفرَّق ما كان أعده على الشعراء ، وزادهم مدة مُقام أبى الطيب من الإحسان والعَطاء . وتوجَّه أبو الطيب إلى شيراز ، ثم عاد منها ، فكانت وفاته فى الطريق بين دير العاقول ومدينة السلام ، على ما شرح فى أخباره . وقد كان أبو محمَّد اعتقد أن يَقْطَعه بالفعال الجميل والحِبَاء الجزيل عن قصد شيراز ، فلما جرى أمره على ما جرى تغيَّرت نيته واستحالت تلك العزيمة منه .

● قلت : وهذا الوزير أبو محمد ، هو المُهَلَّبىّ .

٥٨ — قال ، وحدثنى قال ، حدثنى أبو علىّ والدِى قال ، حدثنى

أبو إسحاق والدى قال : راسلت أبا الطيب المتنبى فى أن يمدحنى بقصيدتين ، وأعطيته خمسة آلاف درهم ، ووسّطت بينى وبينه صديقاً له ولى ، فأعاد الجواب بأننى ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا من أوجب علىّ حقاً سواك ، وإن أنا مدحتك تنكّر لك الوزير أبو محمّد المهلبىّ ، لأنى لم أمدحه ، وجرى بيننا فى ذلك ما قد عرفته ، فإن كنت لا تُراعى هذه الحال ولا تباليها فعلتُ ، ولم أُرِدْ منك عِوَضاً من مال . قال : فتنبهت والله إلى ما كان ذهب عنى ، وعلمت أنه نصحنى ، فلم أعاوده.(١)

* * *

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

(١) فى هامش المخطوطة عند آخر هذا الخبر ما نصه : « بلغ ، بدر الدين عبد الواحد » ، أى بلغت من مراجعة النسخة عند هذا الموضع . وفى المخطوطة بعد هذا خرم مقداره ورقة واحدة ، هى الورقة : ٤٤ ، أشرنا إليه بهذه النقط .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيق ٤٥

٥٩ — وذكر علي بن عيسى الرَّبَعِيُّ في كتاب « التنبيه » الذى ردَّ فيه على ابن جنى فى كتاب « الفَسْر » ، قال: كنت يومًا عند المتنبى بشيراز ، فقيل له : أبو علىّ الفارسىّ بالباب . وكانت بينهما مودة ، فقال : بادروا إليه فأنزلوه ! فدخل عليه أبو على وأنا جالس عنده فقال : يا أبا الحسن ، خذ هذا الجزء = وأعطانى جزءاً من كتاب « التذكرة » ، وقال : اكتب عن الشيخ البيتين اللذين ذاكرتُك بهما ، وهما :

سأطلُبُ حَقِّى بالقَنا ومَشايخٍ ... كأنَّهمُ من طُولِ ما التَثَموا مُرْدُ
ثِقالٌ إذا لاقَوْا، خِفافٌ إذا دُعُوا، ... كثيرٌ إذا شَدُّوا ، قليلٌ إذا عُدُّوا

فهما مثبتان فى التذكرة بخطِّى . قال : وهذا من فعل الشيخ أبى علىّ الفارسىّ عظيم .

قال الرَّبعى : وكان قصد أبى علىّ الفارسىّ نفعه ، لا التأدُّب والتكثُّر ، وأيًّا قصد فهو كثير .

٦٠ — قرأتُ بخط يحيى بن سَلامَة بن الحسين بن محمد الحَصْكَفِيِّ فى تعليق

الله : حكى أن السَّرِىَّ الرفَّاء حين قصد سيفَ الدولة بن حمدان ، رحمه الله ، أنشده بديهاً بيتين ، هما :

إنّى رأيتُكَ جالساً فى مَجْلسٍ قَعَدَ الملُوكُ به لَدَيْكَ وقَامُوا
فكأنكَ الدَّهرُ المُحيطُ عَلَيْهِمُ وكأنَّهم من حَوْلِكَ الأيَّامُ

ثم أنشده بعد ذلك ما كان قال فيه من الشعر ، وبعد يومين أو ثلاثة أنشده أبو الطيب المتنبي:

أيَدْرِى الدَّمْعُ أىَّ دَمٍ أراقَا

إلى أن انتهى إلى قوله :

وخَصْرٍ تَثْبُتُ الأبْصَارُ فيهِ كأنَّ عليه من حَدَقٍ نِطَاقَا

قال : فقال السريّ : هذا والله معنًى ما قدر عليه المتقدمون ! ثم إنه حُمَّ فى الحال وتحامل إلى منزله ، فمات بعد ثلاثة أيام .

● قلت : هكذا وجدته بخط الحَصْكَفِى ، والمتنبى فارق سيفَ الدولة فى سنة ست وأربعينَ وثلاثمئة ، والسريُّ توفى بعد سنة ستين وثلاثمئة ببغداد — على ما نقله الخطيب فى تاريخه — وقيل سنة اثنتين وستين وثلاثمئة ، فعلى هذا لا يكون لهذه الحكاية صحة . وقد نقل أبو إسحاق إبراهيمُ بن حبيب السقطى فى تاريخه المسمى « بلَوَامِع الأمور » : أن السّريَّ توفى سنة أربع وأربعين وثلاثمئة ، فعلى هذا تكون هذه الحكاية محتملة الصحة ، بشرط

أن يكون موت السّرى بالشام ، ولم ينقل ذلك ، كيف ؟ وهو أن هذه القصيدة من أوّل شعر أبى الطيب المتنبى فى سيف الدولة ، والله أعلم .

٦١ — أخبرنا ياقوت بن عَبْد الله الحموى قال : وحدَّث أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضَّبِّىُّ أن الصاحبَ إسماعيلَ بن عبَّادٍ قال بأصبهان ، وهو يومئذ على الإنشاء : بلغنى أن هذا الرجل ، يعنى المتنبى ، قد نزل بأرَّجانَ متوجِّهاً
٤٦ إلى ابن العميد ، ولكن إن جاءنى خرجت إليه من جميع / ما أملكه !
وكان جميع ما يملكه لا يبلغ ثلاثمئة دينار ، فكنا نعجب من بُعْد همته وسموِّ نفسه . وبلغ ذلك المتنبى ، فلم يعرِّج عليه ولا التفت إليه ، فحقدها الصاحبُ حتى حمله على إظهار عيوبه فى كتاب ألَّفه لم يصنع فيه شيئاً ، لأنه أخذ عليه مواضع تحمَّل فيها عليه .

٦٢ — أخبرنى بعض أهل الأدب قال : وجدت فى كتاب بعض الفضلاء ، عن أبى القاسم عبدالصَّمد بن بابك قال ، قال أبو الفتح بنُ جنِّى : كنت أقرأ ديوان أبى الطيب عليه ، فقرأت قوله فى كافور :

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوقَ ، والشَّوْقُ أَغْلَبُ
وأَعْجَبُ مِنْ ذا الهَجْرِ ، والوصلُ أَعْجَبُ

حتى بلغتُ إلى قوله :

أَلا ليتَ شِعْرِى هل أقُول قَصِيدةً
ولا أشْتَكِى فيها ولا أتعَتَّبُ

وبِي ما يذُودُ الشِّعْر عنِّي أقلُّهُ   ولكنَّ قلبي يا ٱبْنَةَ القَومِ قُلَّبُ

فقلت له : يعزُّ عليَّ ، كيف يكون هذا الشعر في ممدوحٍ غير سيف الدولة ؟! فقال : حذَّرناه وأنذرناه فما نفع ، ألستُ القائل فيه :

أخا الجودِ ، أعطِ النَّاس ما أنت مالكٌ
ولا تُعْطِيَنَّ النـاسَ ما أنا قائلُ

فهو الذي أعطاني لكافور ، بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

٦٣ — وأحضر إليَّ عمادُ الدين أبو القاسم علي بن القاسم بن علي بن الحسن الدِّمشقي ، وقد قدم علينا حَلَب في رحلته إلى خراسانَ ، جزءاً فيه أخبارُ سيفِ الدولة بن حمدان ، تأليف أبي الحسن علي بن الحسين الدَّيْلَمِيِّ الزَّرّاد فنقلت منه : « وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته ، وكان يحضُره أبو إبراهيم ، وابن ماثِل القاضي ، وأبو طالب البغداديّ وغيرُهم ، فوقع بين المتنبي وبين أبي عبد الله الُحسَين بن خالَوَيْه كلامٌ ، فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه ففتحه ، وخرج دمه يسيل على ثيابه ، وغضب فمضى إلى مصر ، فامتدح كافوراً الإخشيديّ » .

٦٤ — أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي ، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن منصور الغسَّانيّ ، وأبي الحسن علي بن المسلم السُّلَمي قالا ،

أخبرنا أبو نصر بن طلاب قال ، أملى علينا أبو عبد الله الحسَّن بن على بن كوجك ، وأخبرنا أن أباه حدثه قال : كنت بحضرة سيف الدولة ، وأبو الطيب اللغوىّ ، والمتنبّى ، وأبو عبدالله بن خالويه ، وقد جرت مسألة فى اللغة تكلَّم فيها ابن خالويه مع أبى الطَّيب اللُّغوىّ ، والمتنبى ساكت ، فقال له الأمير سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيِّب ! فتكلم فيها بما قوَّى حجة أبى الطيب اللغوىّ ، وأضعف قول ابن خالويه ، فَخَرِدَ منه ، وأخرج من كمه مفتاح حديد لبيته ، ليلكُم به المتنبى ، فقال له المتنبى : اسكت ويحك ! فإنك عجمىٌّ ، وأصلك خُوزىٌّ ، وصنعتك الحياكة ، فمالك وللعربية !

٦٥ — ودفع إلىّ بعضُ الشُّرَاف من أهل حلب كتاباً فيه تاريخٌ جمعه أبو غالب همَّامُ بن الفضل بن جعفر بن على بن المهذب المَعرىُّ ، قال فى حوادث سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة : وفيها وصل أبو الطيب المتنبى الشاعر إلى سيف الدولة ، ومدحه بالقصيدة الميميَّة :

وَفَاؤُكُمَا كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ

بعد انصرافه من حصن بَرْزَوَيْهِ . وقال فى حوادث سنة ست وأربعين وثلاثمئة : فيها سار المتنبىّ من الشام إلى مصر .

٦٦ — ووقع إلىّ أجزاء من تاريخ مختار الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المُسَبِّحى ، فقرأت فيه قصيدة لأبى الطيب يرثى بها أبا بكر ابن طُغج

الإخشيذ ، ويعزى ابنه أو نوجورَ بمصر ، في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة.[١]
والقصيدة ليست في / ديوان شعره ، فقد كان أبو الطيب صعد إلى مصر مرة ٤٧
أخرى قبل هذه المرة التي ذكرناها،[٢] وأوّل القصيدة :

هُوَ الزَّمَانُ مُشِتٌّ بالّذِي جَمَعَا ... في كل يوم تَرَى من صَرْفِهِ بِدَعَا

إنْ شِئْتَ مُتْ أسفاً، أو فابْقَ مُصْطَبِرًا، ... قد حَلَّ ما كُنْتَ تَخْشَاهُ وقد وَقَعَا

لَوْ كانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مَنْعَتُهُ ... لم يَصْنَعِ الدَّهْرُ بالإخْشِيدِ ماصَنَعَا

وهي طويلة .

* * *

٦٧ — وقرأت في كتاب أبي القاسم يحيى بن على الحضرميّ الذي ذَيَّل به تاريخ أبي سعد بن يونس ، وذكر فيه من دخل مصر من الغرباء فقال : أحمدُ بن الُحسَين بن الحسن الكُوفيُّ الشاعرُ ، أبو الطَّيِّب، يعرف بالمتنبي، رحل من مصر سرًّا من السلطان ليلة النَّحر سنة خمسين وثلاثمئة ، ووجَّه الأستاذُ كافور خلفه رواحلَ إلى جهات شتى فلم يُلْحَقْ .

٦٨ — أنشدنا على بنُ أحمد الماذرائي قال : كتب إليَّ أبو الطيب أحمدُ بن الُحسَين المتنبيّ في حاجة كانت له إليَّ بالرملة :

---

(١) هذا خبر مهم لما فيه من تحديد التاريخ . وانظر ما سلف ، والمقريزى رقم : ١٧ .
(٢) انظر ماسلف رقم : ٤ ، ص : ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

إنىَّ سَـأَلْتُكَ بالّذِى زَانَ الإِمَامةَ بالوَصِى
وأبانَ فى يَوْمِ الغَدِيـ رِ لِـكُلِّ جَبَّـار غَوِى
فَضْلُ الإمام عَلَيْهِمُو بولاَيةِ الرَّبِّ العَلِى
إلاَّ قَصَدْتَ لِحَاجتى وأعَنْتَ عَبْدَكَ يا عَلِى

قال : وكان يتشيّع ، وقيل : كان ملحداً . والله أعلم .

● قلت : وسنذكر فى ترجمة طاهر بن الحسن بن طاهر حكاية عن الخالِدِيَّيْنِ ، تدل على أن المتنبى كان مخالفاً للشيعة. (١)

* * *

٦٩ — أنبأنا أبو اليُمْن الـكندىّ ، عن الشيخ أبى منصور مَوْهَوب ابن أحمد بن الجواليقى قال ، قال علىُّ بنُ حمزة البصرىُّ صاحبُ أبى الطيب المتنبى ، أو غيره ممن صحب المتنبى — شك فيه أبو منصور — قال : بلوت من أبى الطيب ثلاثَ خِلالٍ محمودة ، وتلك أنّه ما كذب ولا زَنا ولا لاَطَ ، وبلوتُ منه ثلاثَ خِلال ذميمة كل الذم ، وتلك أنه ما صام ولا صلىّ ولاقرأ القرآن ، عفا الله عنا وعنه آمين .

٧٠ — وذكر ابنُ فورجَةَ فى كتاب « التجنّى على ابن جنى » ، عن أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سُلَيْمان المعرىِّ ، عن رجل من أهل الشام كان

---

(١) وانظر ما سيأتى رقم : ٨١ ، وما سلف رقم : ٥٠ .

يتو كل لأبى الطيب فى داره ، يعرف بأبى سعد = قال : وبقى إلى عهدنا = قال : دعانى أبو الطيب يوماً ونحن بحلب ، أظُنّه قال : ولم أكن عرفت منه الميل إلى اللهو مع النساء ولا الغِلمان ، فقال لى : أرأيت الغلام ذا الأصداغ الجالسَ إلى حانوت كذا من السُّوق ؟ = وكان غلاماً وسيماً فَحّاشاً فياهو بسبيله = فقلت : نعم ، وأعرفه . فقال : امض فأتنى به ، واتخذ دعوة وأنفق وأكثر . فقلت : وكم قدر ما أنفقه ؟ فلم يزدنى على قوله : « أنفق وأكثر » ، وكنت أستطلع رأيه فى جميع ما أنفق ، فمضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الأطعمة ، وصحفاتٍ من الحلوى ، واستدعيت الغلام فأجاب ، وأنا متعجب من جميع ما أسمع منه ، إذ لم تجر له عادة بمثله ، فعاد من / دار سيف ٤٨
الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام ، وفُرِغ من اتخاذ الطعام ، فقال : قدِّم ما يؤكل ، وواكل ضيفك ! فقدمت الطعام فأكلا وأنا ثالثهما ، ثم أجنّ الليل ، فقدمت شمعة ومِرْفَع دفاتره ، وكانت تلك عادته كل ليلة ، فقال : أحضر لضيفك شراباً واقعد إلى جانبه فنادمه . ففعلت ما أمرنى به ، كل ذلك وعينه إلى الدفتر يدرس ولا يلتفت إلينا إلا فى الحين بعد الحين ، فما شربنا إلا قليلاً حتى قال : افرش لضيفك وافرش لنفسك وبت ثالثنا . ولم أكن قبل ذلك أبايته فى بيته ، ففعلت ، وهو يدرس حتى مضى من الليل أكثره ، ثم أوى إلى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : ما يصنع الضيف ؟ فقال : أحْبُهُ واصرفه . فقلت له : وكم أعطيه ؟ فأطرق ساعة ثم قال : أعطِهْ ثلاثمئة درهم . فتعجبت من ذلك ، ثم جسَّرت نفسى فدنوت إليه وقلت : إنه

ممن يجيب بالشيء اليسير ! وأنت ، فلم تنل منه حظًّا ! فقطّب ثم قال : أتظنني من هؤلاء الفَسَقَةِ ؟ أنطه ثلاثمئة درهم ولينصرف راشداً . قال : ففعلت ما أمرني به وصرفته . قال : وهذا من بديع أخباره ، ولولا قوة إسناده لما صدقت به .

٧١ — أبنأنا أبو الحسن بن المقيِّر ، عن أبي الفتح بن البطّي ، عن أبي نصر الْحُمَيْدي قال ، أخبرني غرسُ النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسِّن ابن أبي إسحاق الصّابي قال ، وحدثني رضي الله عنه = يعني والده هلال ابن المحسِّن = قال ، حدث الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسويُّ قال ، حدثني أبو القاسم عبدُ العزيز بن يوسف حكار قال : لما وصل أبو الطيب المتنبي إلى حضرة عضد الدولة في أول مجلس شاهده فيه ، قال لي عضد الدولة : آخرج واستوقفه واسأله : كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم في نفسه منا ؟ قال : فامتثلت ما أمرني به ، ولحقته وجلست معه وحادثته وطاولته ، وأطلت معه في المعنى الذي ذكرته ، فكان جوابه عن جميع ماسمعه مني أن قال: ماخَدَمَتْ عيناىَ قَلْبِي كاليوم ! فجاء بالجواب موزوناً ، واستوفى القول في اختصار من اللفظ .

٧٢ — قرأت في مجموع صالح بن إبراهيمَ بن رِشْدِينَ بخطِّه : قال لي أبو نصر بن غِياثٍ النّصرانيُّ الكاتب : اعتلّ أبو الطيب المتنبي بمصر العلّة التي وصف الحمى في أبياته من القصيدة الميمية ، فكنت أواصل عيادته

وقضاء حقه فيها ، فلما توجه إلى الصلاح وأبلّ ، أغببت زيارته ثقة بصلاحه ، ولشُغلٍ قطعنى عنه ، فكتب إلى : « وَصَلْتَنِى ، وصلك الله ، معتلاً ، وقطعتنى مُبِلاً ، فإن رأيت أن لا تحبّب العلة إلىّ ، ولا تكدّر الصحة علىّ ، فعلتَ إن شاء الله » .

٧٣ — ونقلت من هذا المجموع بخطّه : ذكر لى أبو العباس بن الحوت الورّاق — رحمه الله (١) ا أن أبا الطيب المتنبى أنشده لنفسه هذين البيتين :

تضاحك منّا دَهْرُنا لِعِتابِنا وعلَّمَنا التَّمْوِيهَ لَوْ نَتَعَلَّمُ

شريفٌ زُغَاوِىٌّ، وزَانٍ مُذَكَّرٌ ، وأعْمَشُ كَحَّالٌ ، وأعْمَى مُنَجِّمُ (٢)

٧٤ — أنشدنا أبو حفصٍ عمر بن على بن قَشَام الحلبىّ قراءة عليه بها ، قال ، أنشدنا الحافظ أبو بكر محمد بن على بن ياسر الجيّانىّ الحافظ قال ، أنشدنى أبو القاسم زاهر بن طاهر قال ، أخبرنا أبو الحُسين البَحِيرىّ ، قال أنشدنا محمد بن الحُسَين بن موسى السُّلمى قال ، أنشدنى محمد بن الحسين البغدادىّ قال ، أنشدنى المتنبى :

هنيئاً لكَ العيدُ الّذِى أنْتَ عِيدُه وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وضَحَّى وَعَيَّدَا

فذَا اليَوْمُ فى الأيَّامِ مِثْلُكَ فى الوَرَى كما كُنتَ فيهم أوحَدًا كان أوْحَدَا

---

(١) انظر ما سلف رقم : ٦ ، ص : ٢٥١ ، تعليق : ٢

(٢) « زغاوى (بفتح الزاى وضمها) منسوب إلى « زغاوة » ، وهى قبيلة من السودان ، فلذلك تعجب المتنبى . وانظر ما سيأتى فى المقريزى : ٧٤

٧٥ — أخبرنى الشيخ الصالح أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدىّ قال ، أخبرنا محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الخطيبُ قال ، أخبرنا أبو بكر محمد بن منصور بن محمد السّمْعانى قال ، سمعتُ الشيخ أبا الحسن على بن أحمد المدينىّ قال ، سمعتُ أبا عبد الرحمن السُّلَمِى قال ، سمعت السيد أبا الحسين محمدَ بن أبى / إسماعيلَ العلوىّ ٤٩
يقول : دخل المتنبى على الأستاذ الرئيس أبى الفَضْل محمد بن الحُسَيْن وبين يديه مَجَامِرُ من آسٍ ونَرْجس ، قد أخفى فيها مواضع النار ، لا تُرَى النار وتُشَمّ رائحه النَّدِّ ، فقال : ياأبا الطيب ، قل فيه شيئاً ! فأنشأ يقول :

أحبُّ الذى حَبَّتِ الأنْفُس　　وأَطْيَبُ ماشَمَّهُ المَعْطِسُ
ونَشْرٌ من النَّدِّ ، لـكِنَّهُ　　مَجَامِرُهُ الآسُ والنَّرْجَسُ
ولسْتُ أرَى وَهَجًا هَاجَهُ ،　　فَهَلْ هَاجَهُ عِزُّكَ الأقْعَسُ
وإنَّ الفِئَامَ التى حَوْلَه(١)　　لتَحْسدُ أقْدَامَهَا الأرْؤُسُ

٧٦ — أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادى فى كتابه قال ، أخبرنا الرئيسُ أبو الحسن على بن على بن نصر بن سعيدٍ البصرىّ قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل قال ، أخبرنا على ابن أيوب بن الحُسَين بن السَّاربان قال : وخرج ، يعنى المتنبى ، من شيراز

(١) فى الأصل : « الذى » ، والفئام : الجماعات .

لثمان خلونَ من شعبان قاصداً إلى بغداد ثم الكوفة ، حتى إذا بلغ دَيْرالعاقول وخرج منه قدر ميلين ، خرج عليه فرسانٌ ورجَّالة من بنى أسد وشيبان ، فقاتلهم مع غلامين من غلمانه ساعة وقتلوه ، وقُتِل معه أحد الغلامين وهرب الآخر ، وأخذوا جميع ما كان معه ، وتبعهم ابنه المحسَّد طلباً لكُتُبِ أبيه ، فقتلوه أيضاً . وذلك كله يوم الاثنين لثمانٍ بقين من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

٧٧ — أنبأنا زيد بن الحسن الكندى قال ، أخبرنا أبو منصور بن زُرَيق قال ، أخبرنا أبوبكر أحمدُ بن علىّ بن ثابت الخطيب قال : خرج المتنبى إلى فارس من بغداد فمدح عَضُدَ الدولةِ ، وأقام عنده مدةً مديدة ، ثم رجع يريد بغداد فقتل فى الطريق بالقرب من النعمانية ، فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

٧٨ — وقرأت فى تاريخ أبى محمد عبدالله بن أحمد الفَرْغَانىّ : لما هرب المتنبىّ الشاعر من مصر وصار إلى الكوفة فأقام بها ، وصار إلى ابن العميد فمدحه ، فقيل إنه صار إليه منه ثلاثون ألف دينار وقال له : تمضى إلى عضد الدولة ! فمضى من عنده إليه فمدحه ووصله بثلاثين ألف دينار ، وفارقه على أن يمضى إلى الكوفة يحمل عياله ويجىءُ معهم إليه ، وسار حتى وصل إلى النعمانية ، بإزاء قرية تقرب منها يقال لها « بَنُورَى » ، [1] فوجد أثر خَيلٍ هناك ، فتنسَّم خبرها ، فإذا خيل قد كمنت له فصادفته لأنه قصدها ، فطعن طعنة نُكِّسَ عن

(١) انظر ما سيأتى فى القريزى رقم : ٢١ ، والتعليق عليه ، وما سيأتى هنا رقم : ٨١ .

فرسه ، فلما سقط إلى الأرض نزلوا فاحتزوا رأسه ذبحاً ، وأخذوا ما كان معه من المال وغيره ، وكان مذهبه أن يحمل ماله معه أين توجّه ، وقُتِل ابنه معه ، وغلام من جملة خمسة غلمة كانوا معه ، وأن الغلام المقتول قاتل حتى قتل ، وكان قتل المتنبي يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

● قال الفرغانى : وحُدِّثت أنه لما نزل المنزل الذى رحل منه فقتِل ،
جاءه قوم خفراء فطلبوا منه / درهماً ليسيروا معه ، فمنعه الشح والكبر ، ٥٠
فأنذروا به ، فكان من أمره ما كان .

وقيل بأنهم لما طلبوا منه الخفارة اعتذر فى ذلك، إذ قال لهم : لا أُكذِّب نفسى فى قولى:

يُذِمُّ لِمُهجَتِي سَيْفِي وَرُمْحِي

ففارقوه على سخطٍ وأنذروا به ، وكان من أمره ما كان .

٧٩ — وقرأت فى جُذاذة طِرْسٍ مطروح فى النسخة التى وقعت إلىّ سماعَ جَدِّ جَدِّ أبى القاضى أبى الحسن أحمد بن يحيى بن زُهير بن أبى جرادة من شعر المتنبى،(١) على محمد بن عبد الله بن سَعْد النحوى الحلبىّ ، وفيها مكتوب بغير خطّ النسخة : « المتنبى أبو الطيِّب ، أحمد بن الُحسَين ، عاد من

(١) ابن العديم ، كاتب هذه الترجمة هو: « عمر بن أبى الحسن أحمد بن أبى غانم هبة الله بن محمد بن هبة الله بن القاضى أبى الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن جرادة »

شيراز من عند فَنَّاخُسرو وابن العميد وزيره بأموال جزيلة ، فلما صار بالصافية من أرض واسط ، وقع به جماعة من بنى أسد وغيرهم ، فقتلوه وخمس غلمان (كذا) كانوا معه وولده ، وسلبوا المـال ، وذلك فى شوال من سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، وكان المتولّى لقتله رجل منهم يقال له فاتكُ بن أبى جهل ، وهو ابن خالةِ ضَبَّة الذى هجاه المتنبى . وكان على شاطىء دجلة .

٨٠ — وسمعت والدى رحمه الله يقول لى : بلغنى أن المتنبى لـمـا خرج عليه قُطّاع الطريق ومعه ابنه وغلمانه ، أراد أن ينهزم ، فقال له ابنه : يا أبَهْ : وأين قولك ؟ :

الخَيْلُ والليـلُ والبَيْـــداء تَعرِفُنى
والطّعْنُ والضَّرْبُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

فقال له : قتلتنى ياابن اللَّخْناء ، ثم ثبت وقاتل حتى قُتِل .

٨١ — سَيَّر إلىّ الشريف الأجلُّ العالم تاجُ الشرف ، شرفُ الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على الحُسَيْنى ، جزءًا بخطه فى مقتل أبى الطيب كتب فيه ما نقلته ، وصورته : « نقلت من خط أبى بَكرٍ محمد بن هاشم الخالِدىّ أحد الخالديَّيْنِ فى آخر النسخة التى بخطه من شعر أبى الطيب المتنبى ما هذه صورته :

ذكر مقتله

كنا كتبنا إلى أبي نصر محمد بن المبارك الجَبُّلي نسأله شرح ذلك ، وهذا الرجل من وجوه التُّنَّاء بهذه الناحية ،[١] وله أدب وحرمة ، فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه :

«وأما ماسألتما عنه من خبر مقتل أبي الطيب المتنبي رحمه الله ، فأنا أَنسُقُه لكما وأشرحه شرحا بيِّناً :

اعلما أن مسيره كان من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، وقتل بِبَيْزَعَ ،[٢] ضيعة بقرب من دير العاقول ، في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة . والذى تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجلٌ من بني أسد يقال له : « فاتك بن أبي الجَهْل بن فراس بن بَدَّاد » ، وكان من قوله لما قتله وهو منعفر : قبحًا لهذه اللحْية ياسبَّاب ! وذلك أن فاتكاً هذا قرابة لوالدة ضَبَّة بن يزيد العيني الذى هجاه المتنبي بقوله :

ما أنصَفَ القَوْمُ ضَبَّهْ وأمَّـــــهُ الطُرْطُبَّهْ

ويقال: إن فاتكاً خالُ ضَبَّة ، وأن الحميَّة داخلته لما سمع ذكرها بالقبيح

---

(١) « التناء » جمع « تانئ » وهم المقيمون بالبلدة فى أرض العجم ، وأصلهم منها .

(٢) انظر « بنورى » و« بنوزى» فيما سلف رقم : ٧٨ ، وماسيأتى فى المقريزى رقم: ٢١ هـ. وقد نقل هذا ياقوت فى معجمه « بيزع » .

فى الشعر ، وما للمتنبى شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً ، فكان على سخافته وركاكته / سبب قتله وقتل ابنه ، وذهاب ماله .

● وأما شرح الخبر ، فإن فاتكاً كان صديقاً لى ، وكان كما سُمّىَ « فاتكاً » ، لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال ، فلما سمع الشعر الذى هُجِىَ به ضَبَّة أحفظه ذلك واشتد عليه ، ورجع على ضَبَّة باللّوم وقال له : قد كان يجب أن لا تجعل لشاعرٍ عليك سبيلاً ! وأضمر غير ما أظهر ، واتّصل به انصرافُ المتنبى من بلاد فارس إلى العراق ، وأن اجتيازه بجَبُّلَ ودير العاقُول . فلم يكن ينزل عن فرسه ، وجماعة معه من بنى عمه رأيهم فى المتنبى مثل رأيه ، فى طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد . وكان فاتك يتحرّق خوفاً أن يفوته ، وكان كثيراً ما يجيئُنى وينزل عندى ، فقلت له يوماً وقد جاءنى ، وهو يسأل قوماً مجتازين عنه : قد أكثرت المسألة عن هذا الرجل ، فأىّ شىء عزمك أن تفعله به متى لقيته ؟ قال : ماعزمى إلا الجميل ، وأن أعذله على ما أفحش فيه من الهجاء . فقلت : هــــذا الأليق بأخلاقك والأشبه بأفعالك . فتضاحك ثم قال : يا أبا نصر ، والله لئن اكتحلت عينى به ، أو جمعتنى وإيّاه بقعة ، لأسفكن دمه ، ولأمحَقَنّ حياته ، إلاَّ أن يُحال بينى وبينه . فقلت له : كُفّ ، عافاك الله ، عن هذا القول ، وارجع إلى الله ، وأزِلْ هذا الرأى عن قلبك ، فإن الرجل شهير الاسم بعيدُ الصوت ، وقتلك إيّاه فى شعر قاله لا يحسن ، وقد هجت الشعراء الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام ، فما علمنا أن شاعراً قتل بهجاء ، وقد قال الشاعر :

هَجَوْتُ زُهَيراً ثم إنى مَدَحْتُهُ وما زالتِ الأشرافُ تُهْجَى وتُمْدَحُ

ولم يبلغ جرمه مايوجب قتله ! فقال : يفعل الله مايشاء ! وانصرف ، فلم يمض لهذا القول إلا ثلاثة أيام حتى وافى المتنبى ومعه بغال مُوقَرَةٌ بكل شىء من الذهب والفضة والثياب والطيب والجوهر والآلة ، لأنه كان إذا سافر لم يخلّف فى منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يساوى درهماً واحداً فما فوقه ، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره ، لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً . قال: فتلقّيته وأنزلته دارى وساءلته عن أخباره ؟ وعمن لقى ؟ وكيف وجد من قصده ؟ فعرفنى من ذاك ماسررت به ، وأقبل يصف لى ابن العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمه ، وسماحة الملك فنّاخُسْرو ورغبته فى الأدب وميله إلى أهله . فلما أمسينا قلت له : على أىّ شىء أنت مُجْمِعٌ؟ قال : على أن اتخذ الليل جملاً ، فإن السير فيه يخفّ على . قلت : هذا هو الصواب ! = رجاء أن يخفيه الليل، ولا يصبح إلاّ وقد قطع بلداً بعيداً = والوجه أن يكون معك من رجالة هذه المدينة الذين يخبرون الطريق ويعرفون المواضع المخوفة فيه ، جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد . ، فقطّب وقال : ولم قلت هذا القول ؟ قلت : تستأنس بهم ! قال : أمّا والجُرَازُ فى عنقى ، فما بى حاجة إلى مؤنس غيره. قلت : الأمر كما تقول ، والرأى فى الذى أشرت به عليك . فقال: تلويحك هذا ينبىء عن تعريض ، وتعريضك يخبر عن تصريح ، فعرفنى الأمر وبيّن لى الخَطْب . قلت : إن هذا الجاهل فاتك الأسدىّ ، كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو مُحْفَظٌ عليك لأنك هجوت ابن أخته ، وقد تكلم بأشياء

توجب الاحتراس والتيقظ ، ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بنى عمه قولهم مثل قوله . قال غلامه ، وكان عاقلاً لبيباً فارساً يسمع كلامنا = فقال : الصواب ما رآه أبو نصر ، خذ معك / عشرين رجلاً يسيرون بين ٥٢
يديك إلى بغداد . فاغتاظ غيظاً شديداً وشتم الغلام شتماً قبيحاً ، وقال : والله لا تُحُدِّثَ عنى أنى سرت فى خَفارة أحد غير سيفى . قلت : ياهذا ، فأنا أوجِّه قوماً من قبلى فى حاجة يسيرون بمسيرك ويكونون فى خفارتك . قال : والله لا فعلت شيئاً من هذا . ثم قال لى : ياأبا نصر ، أبِخُرُوِّ الطير تُخَشِّينى ، ومِنْ عبيد العصا تخاف علىّ ، ووالله لو أن مِخْصَرتى هذه ملقاة على شاطىء الفرات وبنو أسد مُعْطِشُون لخمس ، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيّات ، ما جَسَر لهم خفٌّ ولا ظِلْفٌ أن يَرِدَه ! حاش لله من فكر أشغله بهم لحظة العين ! فقلت له : قل إن شاء الله . فقال : كلمة مقولة لا تدفع مقضيًّا ، ولا تستجلب أتيًّا ! ثم ركب فكان آخر العهد به .

قال : ولما صح عندى خبر قتله ، وجَّهت مَنْ دفنه وابنه وغلامه ، وذهبت دماؤهم هدراً .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبى وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً :

وكتب محمد بنُ هاشم الخالدى بالموصل فى سنه خمس وخمسين وثلاثمئة ، وهو يستغفر الله ويستقيله من كل ذنب وخطيئة عن عمد أو خطأ » .

٭ ٭ ٭

أما قوله : « أبخرُوٌّ الطير تخشيني ، ومن عبيد العصا تخاف على » ، فإن بني أسد يلقبون « خُرُوٌّ الطير » ، قال امرؤ القيس :

* فرَّتْ بنو أسدٍ خُرُوٌّ الطير عن أربابها *

ويلقبون أيضاً « عبيد العصا » ، قول الشاعر — ونظنه امرأ القيس أيضاً — :

* قُولَا لِدُودَانَ عَبيدِ العَصَا *

آخر ما كان بخط أبي بكر الخالدي .

* ما غرَّكُمْ بالأسَدِ البَاسِلِ *

* * *

كذا في الأصل قد أتم هذا البيت ، وأظنُّ أنه بخط أخيه أبي عثمان ، ولا أحققه .

٨٢ — أخبرنا تاجُ الأمناء أحمدُ بنُ محمد بن الحسن كتابة قال ، أخبرنا عمى أبو القاسم ، عن أبي غالب شُجاع بن فارس بن الحُسين الذُّهْلِي قال ، أنشدني الحكيم أبُو على الحسين بن عبد الرحمن الثَّقفي النيسابُوريّ ، لأبي القاسم المظفر الزَّوْزَنيّ الكاتب ، (١) يرثي المتنبي :

لارَعَى اللهُ سِرْبَ هذا الزَّمان إذْ دَهَانَا في مِثْلِ ذَاكَ اللِّسَانِ
مَارأى النَّاسُ ثانيَ المُتَنَبِّي أيُّ ثانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمانِ

(١) في الهامش : (قلت : هو المظفر بن على) .

كان مِنْ نَفْسه الكبيرة في جَيْشٍ، وفي كبرياء ذي سُلطانِ
كان في لفظِه نبيًّا، ولكنْ ظهرتْ مُعْجِزاته في المَعاني

٨٣ — أنشدني نجيب الدين داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود الطِّيبي التَّاجر إملاءً من لفظه بحلب قال، أنشدني شمس الدين بن الوالي بالموصل، لأخت المتنبيّ ترثي أخاها المتنبي لما قُتِل:(١)

يا حَازِمَ الرأيِ إلاَّ في تَهَجُّمِهِ على المكارهِ غَابَ البَدْرُ في الطَّفَلِ
لَنِعْمَ ما عَامَلَتْكَ المُرْهَفَاتُ بِهِ ونِعْمَ ما كُنْتَ تُوليها من العَمَلِ
الأرضُ أمٌّ أصَبْنَاهَا بواحدِهَا فاسْتَرْجَعَتْهُ وردَّتْهُ إلى الحَبَلِ

(١) خبر أخته هذا، لم أجده إلا هنا، وانظر المقريزي أيضاً رقم : ٣٤ .

٢ — ترجمة المتنبي لابن عساكر

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذه نبذة من أخبار أبى الطيب المتنبى رحمه الله تعالى مما أورده ابن عساكر فى ترجمته » .

* * *

قال الشيخ الإمام الحافظ الثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن الحسين الدمشقىّ ، ابن عساكر ، فى حرف الألف .

١ — أحمد : هو ابن الحسين بن الحسن بن عبد الصّمد ، أبو الطيّب الجعفىّ الشاعر المشهور بالمتنبىّ ، قدم دمشق ومدح بها . روى عنه القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملىّ الفقيه .

٢ — وقال أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد [٤ : ١٠٢] : أحمد بن الحسين بن عبد الصّمد الشاعر المعروف بالمتنبىّ .

٣ — وقال الحسن المتطبّب : وظفرت بمختار صغير فى أخبار المتنبى قد اختاره ياقوت بن عبد الله العربى ، من مختار ألفه [ياقوتُ] بن عبد الله الرومىّ الأصل البغدادىّ المنشأ ، الحَمَوىّ المَوْلى ، رحمه الله تعالى ، فنقلت منه ما يأتى ذكره : وهو أنه ذكر فى نسب المتنبى فقال : « وقال قوم : هو أحمد بن الحسين بن عبد الصّمد الجعفىّ . وقال أبو الحسن على بن عيسى الرَّبَعِىُّ النحوى : الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه أحمد بن الحسين بن مُرّة بن عبد الجبّار الجعفىّ ،

وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمئة ، وأرضعته امرأة علوية من آل عُبَيْد [الله]. (١)

٤ — وكان محظوظاً في حال حياته ، مازال معظماً عند الملوك ، وفي حال وفاته . قد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحا كثيرة ، وهما [كذا] ضربان ، منهم من تكلم على ديوانه أجمع ، ومنهم من تكلم على بعضه .

٥ — فمن تكلم على شعره وأجمع ، فهو أول من شرحه : « ابن جني » له كتاب في شرح ديوانه وقد سماه « الفَسْر » = وكتاب« اللامع العزيزي » و « معجز أحمد » أيضاً ، لأبي العلاء المعري = وكتاب لأبي الحسن علي بن أحمد الواحديّ = وكتاب « الموضح » لأبي زكريا يحيى بن علي التّبريزيّ = وكتاب عبد القاهر الجرجاني = وكتاب أبي منصور محمد بن عبد الجبار السّمعانيّ = وكتاب أبي القاسم إبراهيم بن محمد الإفليلي = وكتاب ابن الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم = وكتاب الكمال عبد الرحمن بن محمد الأنباريّ = وكتاب في سرقات المتنبي للحسن بن محمد بن وكيع وسماه « المنصف » = وكتاب لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَريّ = وكتاب لأبي اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْديّ = وكتاب لعبدالواحد بن محمد بن علي ابن زكريا = وكتاب محمد بن علي بن إبراهيم الهراسي الكافيّ = وكتاب أبي الحسن محمد بن عبد الله الداني ، عشر مجلدات = وكتاب كمال الدين القاسم ابن القاسم الواسطيّ = فهذه سبعة عشر شرحاً مستوفاة لسائر ديوان المتنبي .

● وأما من تكلم على أبيات منه مشكلة ، أو صنّف فيه مأخذاً ، فمنه :

(١) مابين القوسين زيادة من ابن العديم ، انظر ترجمته رقم : ٨ .

كتاب « الوساطة » للقاضى [على] بن عبد العزيز الجرجانىّ = وكتاب أبى بكر محمد بن العباس الْخُوَارَزْمِيّ = وكتاب عبد الرحمن بن دُوسْت النَّيسابورىّ = وكتاب أبى الفضل أحمد بن محمد العروضىّ = وكتاب التجنى ، على ابن « جنى » لابن فُورَجَّه = وكتاب « الفتح على أبى الفتح » لابن فُورَجَّه أيضاً = وكتاب معانى أبياته لابن جنى = وكتاب «التنبيه» لأبى الحسن على بن عيسى الرَّبَعِيّ وقد ردّ فيه على ابن جنى = وكتاب سعد ابن محمد الوحيد ، وقد ردّ فيه على ابن جنى أيضاً = وكتاب لأبى القاسم عُبَيْد الله بن عبد الرحيم الأصفهانى = وكتاب الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر = وكتاب لأبى عبد الله محمد بن جعفر القَزّاز القَيْرَوانىّ = وكتاب أبى القاسم على بن جعفر بن القطاع = وكتاب الصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد = وكتاب لأبى الحسن على بن عبد الرحمن الصَّقِلِّيّ = وكتاب قصائد المتنبىّ للأعلم الشنتمرى = وكتاب « نزهة الأديب ، فى سرقات المتنبى من حبيب » ، لِحَسْنُون المصرى = وكتاب الانتصار المتنبي ، عن شعر المتنبى ، لأبى الحسن بن محمد المغربى = وكتاب التنبيه المنبى عن رذائل المتنبى ، لأحمد المغربى أيضاً = كتاب « بقية الانتصار ، المكثر من الاختصار » ، للمغربى أيضاً = وكتاب « الرسالة الحاتمية » لأبى الحسن محمد بن المظفر الحاتمى = وكتاب « جبهة الأدب » للحاتمى أيضاً = وكتاب « المآخذ الكِنْدية ، من المعانى الطائيّة » ، وكتابُ « الاستدراك على ابن الدهان » للوزير ضياء الدين ابن الأثير الجزرى = وكتاب « الإبانة » للصاحب العَمِيدِىّ [الموجود فى هذه النسخة] .

٦ — قال أبو عبد الله ياقوت الرومى الحموى : ولم نسمع بديوان شعر فى الجاهلية ولا فى الإسلام شرح هكذا بهذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان ، ولا يتداول شعر فى أمثال أو طُرَف أو غرائب على ألسنة الأدباء فى نظم أو نثر أكثر من شعر المتنبى .

٧ — قال : وكان أبو العلاء المعرى إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس كذا ، قال البحترى كذا ، قال أبو تمام كذا . فإذا ذكر المتنبى قال : قال الشاعر كذا . فقيل له يوماً : لقد أسرفت فى وصفك المتنبى ، أليس هو القائل :

بَليتُ بِلَى الأَطْلاَلِ إنْ لم أَقِفْ بها
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضاعَ فى التُّرْبِ خَاتَمُهْ

كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يومًا . فقيل له : ومن أين علمت ذلك ؟ فقال : سليمان بن داود عليه السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يوماً . فقيل له : ومن أين تعلم أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى: ﴿ هَبْ لِى مُلْكاً لاَ يَنْبَغِى لأَحَدٍ من بَعْدِى ﴾ ، وما عليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه ؟

٨ — قال أبو عبد الله ياقوت الرومى : قيل : كان المتنبى يوماً جالساً بواسط وعنده ابنه المحسَّد قائماً ، وجماعة يقرؤون عليه ، فدخل عليه بعض الناس فقال : أريد أن تجيز لنا هذا البيت ، وهو :

زَارَنَا فى الظّلاَمِ يَطْلُبُ سَتْرًا   فافتضحنا بِنُورِهِ فى الظّلاَمِ

فرفع رأسه وقال : يامحمّد ، قد جاءك بالشّمال فأْته باليمين . فقال محمّد ارتجالاً ، وهو :

فالتجأنا إلى حَنَادِسِ شَعْرٍ   سَتَرَتْنَا عن أعْيُنِ اللُّوَّامِ

معنى قول المتنبى لولده : « جاءك بالشّمال فأْته باليمين » ، أى إن اليسرى لايتمّ بها عمل ، وباليمنى تتم الأعمال ، ومراده أن المعنى يحتمل الزيادة فأوْرِدْها ، وقد ألطف المتنبى فى الإشارة ، وأحسن ولده فى الأخذ . قال وأنشده المتنبى مما ليس فى ديوانه قوله :

وحبيبٍ أخْفَوْهُ منّى نَهاراً   فتخَفَّى وزارَنِى فى اكتِتَامِ
زَارنى فى الظّلاَمِ يَطْلُبُ سَتْراً   فافتضَحْنَا بِنُورِهِ فى الظّلاَمِ

٩ — قال ياقوت الرومىّ : وقرأت فى رسالة أبى الحسين على بن منصور الحلبىّ المعروف بابن القارح ، ويعرف بدَوْخَلَةَ ، قال : كان محمد بنُ وكيع التِّنِّيسىّ سمساراً فى بلده ، وكان متأدباً ظريفاً ويقول الشعر ، وعمل كتاباً فى سرقات المتنبى وخاف عليه كثيرًا ، وسألنى يوماً أن أخرج معه إلى تُونَةَ لنشرب ،(1) فخرجت معه ، واستصحب مغنياً يعرف بابن دَيّار ، فلما غَنَّى طرب ، فأمره ألا يغنيه إلا بشعره ، فغنَّى :

لَو كان كلُّ عَليلٍ   يزْدَادُ مِثْلَك حُسْنَا

---

(1) « تونة » ، جزيرة قرب تنيس ودمياط .

لكان كلُّ صحيحٍ يَوَدُّ لو كان مُضْنَى
يا أكمل النّاسِ حُسْناً صِلْ أكْمَلَ النّاسِ حُزْنَا
غَنِيتَ عنّى ، ومالِى وَجْهٌ بهِ عَنْكَ أغْنَى

فقلت له : هل تثقل عليك المؤاخذة ، قال : [لا] . قلت : أبياتك مسروقة ، الأول من قوله :

فلو كانَ المَرِيضُ يزِيدُ حُسْنًا كما تَزْداد أنْتَ على السَّقامِ
لمَا عِيدَ المريضُ إذَنْ وعُدَّت شِكايتُه من النِّعَمِ الجِسَامِ

والثانى من قول رؤبة :

مَسْلَمَ ما أنساكَ ماحَيِيتُ لو أشْرَبُ السُّلْوَانَ مَاسَلِيتُ
مابِى غِنًى عَنكَ وإن غَنِيتُ

فقال : والله ماسمعت بهذا ! فقلت : إذا كان الأمر على هـذا ، فاعذر المتنبى على مثله ، ولا تبادر إلى الحطِّ عليه ولا المؤاخذة له .

١٠ — قال المصنف : وقرأت فى بعض الكتب أنه لما خرج المتنبى بأرض سَلَمْيَةَ من عمل حِمْص فى بنى عدى الكلبيّين ، قبض عليه ابن على الهاشمى فى ضيعة له يقال لها « كُوتَكِينَ » ، وأمر النجار فجعل فى رجله قُرْمَةً ، وفى عنقه من خشب الصفصاف ، فقال المتنبى :

زعم المُقِيمُ بكُوتَكِين بأنَّه مِنْ آل هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ
فأجَبْتُه : مُذْ صِرْتَ مِنْ أبنائِهم صارَتَ قُيُودُهُمُ من الصَّفْصَافِ

ولما أن صار معتقلا فى الحبس كتب إلى الوالى رحمه الله تعالى :

بِيدى أيها الأميرُ الأريبُ لا لِشَىْء إلا لأنِّى غرِيبُ
أو لِأمّ لها إذا ذَكَرَتْني دَمُ قَلْبٍ بدمعِ عَيْنٍ سَكُوبُ
إن أكُنْ قبلَ أن رأيتُكَ أخطأْ تُ ، فإنى على يدَيْكَ أتوبُ
عائِبٌ عَابنِى لَدَيْكَ ، ومنه خُلقت فى ذوى العيوب العُيُوبُ

وقد تقدّم شعره الذى قاله فى السجن للضبّ الضرير (؟؟)

١١ — قال أبو عبد الله ياقوت الرومى : ولم يزل المتنبى بعد أن خرج من الاعتقال فى خمول بالشام وضعف حال ، يمدح الناس بعشرة دراهم فما دونها . واتفق أنه اتصل بأبى العشائر ، فأكرمه وعرف منزلته ، وكان أبو العشائر يومئذ والى أنطاكية من جهة سيف الدولة بن حمدان . ولما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية قدّم المتنبى إليه وأثنى عليه عنده ، وعرفه منزلته من الشعر والأدب . وكان سيف الدولة كثير الميل إلى الشعراء والشعر ، فاشترط عليه المتنبى — وذلك فى أوّل اتصال له به — أنه إذا أنشده مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد ، وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه ، فنسبوه إلى الجنون ، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط وتطلّع إلى ما يَرِدُ منه ، فلما أنشده حَسُن موقعه عنده وقرّبه وأجازه الجوائز السنيّة ، وأقرّه على هذه الشروط مُدّة بقائه عنده ، ومالت نفسه إليه وأحبه ، فسلّمه إلى الرُّوَّاض فعلموه شيئاً من الفروسية والطِّراد والمثاقفة . وحضر مع سيف الدولة غزواته إلى بلاد الروم ،

فكان مما شهده « غزوة القَفَاء » و « غزوة المصيبة » . أما « غزوة المصيبة »؛ فدخل سيف الدولة بلاد الروم فى أربعين ألفاً فلم ينجُ معه إلا نفر يسير = وأما « غزوة القفاء» فهلك كل من معه ، وأخذت الروم عليه الطريق فى الجبل ، وكان سيف الدولة مقداماً مجرَّباً ، فجرَّد السيف وحمل على العسكر ، فخرق الصفوف ونجا بنفسه فى ستة أنفار ، المتنبي أحدهم ، فكانت منزلة المتنبي عند سيف الدولة مَكِينَةً ، بحيث أنه كان لا يصبر عنه سفراً ولا حضراً .

١٢ — وحدث أبو الحسن على بن الحسين الزَّرَّاد الدَّيلمى فى كتاب ألفه فى أخبار سيف الدولة بن حمدان : إنما كان سبب انصراف أبى الطيب عن سيف الدولة إلى مصر ، أنه كان لسيف الدولة مجلس يحضره أهل العلم عامة كل ليلة ، فيتكلمون بحضرته ويبحثون ويتناظرون ، فتمارَى فى بعض الليالى المتنبي وابن خالويه النحوى فى شىء جرى بينهما بحضرة سيف الدولة ، فقام ابن خالويه وضرب وجه المتنبي بمفتاحٍ كان فى يده ، فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبي من ذلك، إذ لم ينتصر له سيف الدولة قولاً ولا فعلاً ، فخرج من فوره إلى دمشق ، وقصد كافور بمصر .

١٣ — قال أبو منصور ، وحدثنى جماعة من أهل الأدب : أن المتنبي عوتب فى آخر أيامه على تراجع شعره . فقال : قد تجوَّزت فى قولى ، وأعفيته طبعى ، واغتنمتُ الراحة منذ فارقت بنى حمدان وفيهم من يقول :

وقَدْ عَلِمت بما لاَقَتْه منَّا ... قبائل يَعرُبٍ وبَنِي نِزَارِ

لَقِينَاهم بأرْمَاحٍ طِوَالٍ تُبشِّرهم بأعمارٍ قِصَارِ

يعنى أبا زهير بن مهلهل بن نصر بن حَمْدان ، وفيهم من يقول :

أأخا الفوارسِ لَوْ رأيتَ مواقِفِى والخَيْلُ من تحتِ الفوارس تَنْحَطُ

لقرأتَ منها ما تخُطُّ يدُ الوَغَى والبِيضُ تَشْكُلُ والأسِنَّةُ تَنقُطُ

يعنى أبا العشائر .

١٤ — وقال أبو الفتح بن جنى : كنت قرأت ديوان المتنبى عليه ، فلما وصلت إلى قوله :

أُغَالبُ فيك الشَّوقَ ، والشوقُ أغلبُ

وأعْجَبُ من ذا الهجرِ ، والوصلُ أعجَبُ

فلما انتهيت إلى قوله منها :

لَحَى الله ذِى الدُّنيا مُنَاخاً لراكبٍ ! فكلُّ بَعِيد الهَمِّ فيها مُعَذَّبُ

ألا ليتَ شِعْرِى هل أقولُ قصيدةً فلا أشْتَكى فيها ولا أتعتَّبُ

وبِى ما يذودُ الشِّعرَ عنِّى أقَلُّهُ ولكنَّ قلبى يا ابنَةِ القَوْم قُلَّبُ

وأخلاقُ كافورٍ ، إذا شئْتُ مَدْحه وإن لم أشأ ، تُمْلِى علىَّ وأكتُبُ

إذا تَرَكَ الإنْسانُ شيئاً وراءهُ ويَمَّم كافُوراً فما يَتَغَرَّبُ

فقلت له : يعزُّ علىَّ كيف يكون هذا الشعر فى ممدوح غير سيف الدولة ! فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع فيه الحذر ، ألست فيه القائل :

أخا الجود أعطِ الناسَ ما أنتَ مالكٌ ولا تُعْطِيَنَّ الناسَ ما أنا قائلُ

فهو الذى أعطانى لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

١٥ — قال أبو عبد الله الرومى : وقرأت فى كتاب « المفاوضة » : حدثنى الحلبيُّ المؤدِّب قال : كان سيف الدولة يميلُ إلى أبى العباس النَّامى الشاعر المشهور ميلاً شديداً ، إلى أن جاءه المتنبى فمال عنه إليه ، فغاظ ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم ، خلا به وعاتبه ، وقال : كم تفضل علىَّ ابن عِيدان السَّقَّاء !! فأمسك سيف الدولة ولم يجبه ، فلجَّ ، وألحَّ عليه وطالبه بالجواب ، فقال له : لأنك لا تحسن أن تقول :

يَعُودُ من كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ وقد أغَذَّ إليه غَيْرَ مُحْتَفِلِ

قال : فنهض من بين يديه مغضباً ، واعتقد أن لا يمدحه أبداً .

١٦ — قال : وذكر الشيخ ابن الدَّهان سعيد بن المبارك فى كتابه الذى سماه « المآخذ الكندية ، فى المعانى الطائية » : أنه قال أبو فراس لسيف الدولة : إن هذا المتشدِّق كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرِّق مئتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خيرٌ من شعره !! فتأثَّر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه . وكان المتنبي غائباً ، وبلغته القصَّة ، فدخل على سيف الدولة وأنشده :

أَلاَ ما لِسَيْفِ الدولةِ اليوم عاتِبـاً
فَدَاه الوَرَى أمْضَى السُّيوفِ مَضَارِبَا

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته ، فخرج من عنده متغيِّراً . وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغُوا فى الوقيعة فى حق المتنبى ، وانقطع المتنبِّى يعمل فى القصيدة الميمية التى أولها :

واحرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قلبُه شَبِمُ

فأنشدها ، وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه ، فهمَّ جماعة بقتله بحضرة سيف الدولة ، مما وجدوا من شدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه ، فلما وصل فى إنشاده إلى قوله :

يا أعدلَ النَّاس إلاَّ فى مُعَامَلَتِى ، فيكَ الخِصَامُ ، وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
أُعِيذُها نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أن تَحْسَبَ الشَّحْمَ فيمن شَحْمُهُ وَرَمُ

علم أبو فراس أنه يعنيه ، فقال : ومن أنت يادعِيّ كندة ، حتى تأخذ أعراض أهل الأمير فى مجلسه ! ! فاستمرَّ المتنبى فى إنشاده ولم يردَّ عليه ، إلى أن قال :

أنَا الَّذِى نَظَرَ الأعْمَى إلى أَدَبِى وأسْمعت كَلِمَاتِى مَنْ بِهِ صَمَمُ

فزاد ذلك غيظاً فى أبى فراس ، فلما وصل إلى قوله :

الخَيْل واللَّيل والبيداء تَعْرِفُنِى والطَّعنُ والضربُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

قال أبو فراس : وما أبقيت للأمير ، إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة ؟ ، أتمدح نفسك وتأخذ جوائز الأمير ؟ فقال المتنبى :

وَمَا انتفاع أخِى الدُّنْيَا بِنَاظِرِه ، إذا اسْتَوَتْ عِنْدهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

فغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته فى هذه القصيدة ، وكثرة دعاويه فيها ، وضربه بالدواة التى بين يديه ، فقال المتنبى فى الحال :

إن كان سَرَّكُمُ ما قالَ حَاسِدُنَا ، فما لِجُرْحٍ إذا أرْضَاكُمُ ألَمُ

فأعجب سيف الدولة هذا البيت ، ورضى عنه فى الحال ، وأدناه إليه ، وقبّل رأسه ، وأجازه بألف دينار ، ثم أردفه بألف دينار أخرى ، فقال المتنبى :

جاءتْ دنانيرُكَ مختومَةً عاجلةً ألفاً على ألْفِ
أشْبَهَهَا فِعْلُك فى فَيْلَقٍ قَلَبْته صَفًّا على صَفِّ

١٦ — وحدث عبد الصمد بن بابك قال : حضر المتنبى مجلس أبى أحمد ابن نصر البازيار ، وزير سيف الدولة ، وهناك أبو عبد الله بن خالويه النحوىّ ، فتماريا فى أشجع السُّلَمىّ وأبى نواس البصرىّ ، فقال ابن خالويه : أشجعُ أشعرُ إذْ قال فى هارون الرشيد :

وعَلَى عَدُوِّكَ يابن عَمِّ مُحَمدٍ رَصَدانِ ، ضوءُ الصُّبح والإظلامُ
فإذا تَنَبَّه رُعْتَهُ ، وإذا غفَا سَلَّت عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

فقال المتنبي : لأبى نواس ما هو أحسن من هذا فى [بنى] بَرْمَك حيث يقول :

لَمْ يَظْلِمِ الدَّهرُ إذْ تَوالتْ فِيهِمْ مُصِيبَاتُهُ دِرَاكا
كانوا يُجِيرُون مَنْ يُعَادِى منهُ ، فَعَادَاهُمُ لِذَاكا

١٧ — قال أبو عبد الله : وقرأت فى سيرة بعض أهل الأدب أن أبا الطيب سأل كافوراً أن يُوَلِّيه صَيْداء من بلاد الساحل ، أو غيرها من نواحى الصعيد ، فقال له كافور : أنت فى حال الفقر وسوء الحال وعدم القُوت والمعين ، سَمَتْ نفسك إلى النبوَّة ، فضلاً عن الملك والإمارة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع ، فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بين المتنبى وكافور ، حتى إن كافورًا وضع عليه العيون والأرصاد خوفًا منه ، وأحسّ المتنبى بالشر ، فكتم أموره عنه ، ولم يزل فى تستر من أموره ، وطال تحفُّظه على كافور واشتغل عنه ، فهرب المتنبى من مصر ، ولما أحس كافور بهربه ، بذل فى طلبه الأموال وسرح الطيور والخيول فلم يظفر به ، ولما خلص المتنبى إلى العراق هجا كافورًا بقصائد كثيرة ، منها ما هو مثبوت (؟؟) فى ديوانه ، ومنها ما هو فى الرواية التى هى مثبوتة فى ديوانه (؟؟) ، فمن ذلك قوله فى قصيدة له :

أبا النَّتْنِ ، كم قَيَّدتَنى بمَواعِدٍ مَخافَةَ نَظْمٍ للفُؤادِ مُرَوِّعِ
وقدَّرتَ من فَرْط الجهالة أنَّنى أقيم على كِذْبٍ رَصِيفٍ مُصَنَّعِ

أُقِيم على عَبْدٍ خَصِىٍّ مُنَافِقٍ لئيمٍ رَدِىءِ الفِعلِ للجُودِ مُدَّعِى
وأترك سيفَ الدولة الملكَ الرِّضَى كريم المحيَّا أرْوعاً وابن أرْوَعِ
فتًى بحرُه عَذْب ، ومقصِدُه غِنًى ومَرْتَع مَرْعَى جُودِهِ خيْرُ مَرْتَعِ
تظلُّ إذا ماجئتَه الدهر آمناً بخيرِ مكانٍ بل بأشرفِ مَوْضِعِ

١٨ — قال أبو عبد الله : وتنازع نُدَمَاء أبى الفضل بن العميد فى بيت المتنبى :

وتَرَى الفَضِيلَةَ لا تَرُدُّ فضيلةً الشَّمسُ تُشْرِقُ والسَّحَابُ كَنَهْوَرَا

فقال أبو الفضل : أثبتوه حتى أتأمله ، فأُثبت البيت ووُضع بين يديه ، فأطرق مليًّا يفكر فيه ثم قال : هذا يعطِّلنا عن المهم ، وما كان الرجل يدرى ما يقول !

قال أبو عبد الله : وكان ابن العميد كثير الانتقاد لشعر المتنبى ، لما أنشده القصيدة الأولى قال : له يا أبا الطيب أتقول :

بادٍ هَوَاكَ ، صَبَرْتَ أم لم تَصْبِرَا وبُكاكَ ، إن لم يَجْرِ دَمْعُكَ أوجَرَى

ثم تقول بعده :

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وابتسامُك صاحباً لَمَّا رآهُ ، وفى الحشَا مالا يُرَى

فسرعان ما نقضتَ ما ابتدأت به ! فقال : تلك حال وهذه حال ، وقد تختلف المقاصد .

وقال المتنبي من قصيدة مدح بها ابن العميد المذكور :

مَا كَفَانِي تقصيرُ مَا قلتُ فيهِ ... فِي عُلاَه حتى ثَنَاهُ انْتِقادُهْ

١٩ — وحدث محمد بن الحسن الخوارزميّ قال : مررت بمحمد بن موسى الملقب بسيبويه المُوَسْوِس ، وهو على مسجد عَفَّان وهو يقول : مدح الناس المتنبي حيث قال :

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الُحرِّ أن يَرَى ... عَدُوًّا لهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدُّ

ولو قال : « ما من مُدَاراته بُدٌّ » ، لكان أحسن وأجود .

قال : واجتاز المتنبي بمسجد ابن عمر ، وبسيبويه الموسوس ، فوقفه عليه وقال : أيها الشيخ كنت أحب أن أراك ! فقال له : رعاك الله وحيَّاك . فقال له : بلغني أنك أنكرت عليّ قولي :

ومِنْ نكد الدنيا على الحرّ أن يرى ... عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ

فما كان الصواب عندك ؟ فقال له : إن الصداقة مشتقة من الصدق فى المودّة ، ولا يسمى الصديق صديقاً وهو كاذب فى مَودّته ، فالصداقة إذن ضد المداوة ، ولا موقع لها فى هذا الموضع ، ولو قلت : (ما من مداراته بُدٌّ) ، أو (مُداجاته) أو (مُحاباته) ، لأصبت ! وهذا رجل منّا ، وكنى عن نفسه ، قد قال :

أتانِي فى قَميصِ اللاّذِ يَسْعَى ... عَدوٌّ لى يُلَقَّبُ بالحبيبِ

فقال المتنبي : مع هذا غيره ؟ قال : نعم .

فقلتُ له : متى استعملتَ هذا ؟   لقد أقبلتَ فى زِيٍّ عجيبِ !

فقالَ : الشَّمْس أهدتْ لِى قميصاً   مليحَ اللون من نَسْجِ المغيبِ

فتبسم المتنبي وانصرف ، وسيبويه يصيح : أنبكَمَ الرجلُ وجلالِ الله !!

٢٠ — وحدث أبو القاسم عبد العزيز المعروف بالحكار = وكان كاتب الإنشاء بحضرة عضد الدولة عظيم المنزلة منه ، ثم وَزَرَ لابنه صمصام الدولة = قال : لما دخل المتنبي مجلس عضد الدولة وانصرف عنه ، أتبعه بعض جلسائه وقال له : سَلْه كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم فى نفسه منا ؟ قال : فامتثلت أمره ، وجاريت المتنبي فى هذا الميدان ، وأطلت معه عنان القول ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه منى أنه قال : « ما خَدَمَتْ عَيْنَاىَ قلبى كاليوم » ، فجاء الجواب موزوناً ، وهو من مشطور السريع ، ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه . وكان ذلك من آكد الأسباب التى حَظِىَ بها عنده .

٢١ — قال أبو عبد الله : وحُدِّثت أن المتنبي لما ورد على عضد الدولة بشيراز اتفق أن أبا على الفارسىّ بها ، وكان ممرُّ المتنبي على دار أبى على إلى دار عضد الدولة ، فكان إذا مرّ به يستثقله أبو على ويذمُّه على قبح زيه ، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء والحمق . وكان لابن جنى هوى فى أبى الطيب، كثير الإعجاب بشعره لا يبالى بأحد يذمه أو يحط منه ، وكان يسوءه إطناب

أبى على فى ذمّه ، فقال أبو على يومًا : اذكروا بيتاً من الشعر نبحث فيه ، فبدأ ابن جنى وأنشد للمتنبى :

حُلْتَ دُون المزارِ ، فاليوم لوزُرْ ... تَ لَحَال النُّحولُ دُونَ العِنَاق

فاستحسنه أبو على واستعاده ، وقال : لمن هذا البيت فإنه غريب المعنى؟ فقال ابن جنى : للذى يقول :

أَزُورُكُمْ وسَوادُ اللَّيْل يَشْفَعُ لى ... وأَنْثَنِى وبياضُ الصُّبحِ يُغْرِى بِى

فقال : هذا والله حسن بديع جداً ، فلمن هما ؟ قال : للذى يقول :

أَمْضَى إرادَتَهَ ، فسوفَ له قَدٌ ، ... واسْتَقرب الأَقْصَى فَثَمَّ له هُنَا

فكثر إعجاب أبى على واستغرب معناه وقال : لمن هذا ؟ فقال ابن جنى : للذى يقول :

وَوَضْعُ النَّدَى فى مَوْضِعِ السيْفِ بِالعُلَى
مُضِرٌّ ، كوضع السَّيفِ فى مَوْضع النَّدَى

فقال : حسن والله ، وقد أطلت يا أبا الفتح ، فأخبرنا مَنِ القائل ؟ قال: هو الذى لا يزال الشيخ أيّده الله يستثقله ويستقبح زِيَّه وفعله ، وما علينا من القشور إذا استقام اللب ؟ قال أبو على : ومن تعنى؟ ألمتنبى ؟ قلت : نعم ، قال : والله لقد حبَّبته إلىّ وعرفتنى قدره ! وقام ودخل على عضد الدولة فأطال فى الثناء عليه ، ولما اجتاز به استنزله واستنشده وكتب عنه أبياتاً من شعره .

٢١ – وحكى الشيخ أبو الحسن على بن عيسى الرَّبعى فى كتاب «التنبيه» الذى ردَّ فيه على ابن جنى فى كتاب «الفَسْر» قال : كنت يوماً عند المتنبى بشيراز ، فقيل له : أبو على الفارسىّ بالباب ، وكانت بينهما مودة ، فقال بادروا إليه فأنزلوه ، فدخل إليه أبو على وأنا جالس عنده فقال : ياأبا الحسن خذ هذا الجزء – وأعطانى جزءاً من كتاب التذكرة وقال : اكتب عن الشيخ البيتين اللذين ذكرتك بهما وهما :

سأَطْلُبُ حَقِّى بالقَنَـــا ومَشَايِخٍ
كأَنَّهُمُ من طُول ما الْتَثَمُوا مُرْدُ
ثِقالٌ إذا لاَقَوْا ، خِفَافٍ إذا دُعُوا
كثيرٌ إذا شَدُّوا ، قليلٌ إذا عُدُّوا

فهما مثبتان فى التذكرة بخطى ، وهذا من فعل الشيخ أبى علىٍّ عظيم .

٢٢ – قال الرَّبعى : وحكى عن بعض من كان يأنس إليه الصاحب بن العميد (كذا) قال : دخلت يوماً إليه فوجدته واجماً ، وكانت قد ماتت أخته عن قريب ، فظننته حزيناً لأجلها ، فأخذت أعزّيه وأسلّيه ، فقال : ويحك ، ما وجومى لأجل ماظننت ! قلت : فلايُحزن الله الوزير ، فما الخبر ؟ قال : إنه ليغيظنى أمر هذا المتنبى ، واجتهادى فى أن أخمل ذكره ، وقد ورد على نيفه وستون كتاباً فى التعزية ما منها كتاب إلاَّ وقد صُدِّر بقول المتنبي :

طَوَى الجزيرةَ حتَّى جاءَنى خَبَرٌ فَزِعْتُ فِيهِ بآمَالِى إلى الكَذِبِ

حَتَّى إذ لم يَدَعْ لى صِدْقُهُ أَمَلاً   شَرِقْتُ بالدَّمعِ حتّى كاد يَشْرَقُ بى

فكيف السبيل إلى ما اعتمدنا عليه فى إخماد ذكره ؟ فقلت : القَدَرُ لايُغالب ، والرجل ذو حظ من إشاعة الذكر وشَياع الاسم ، فالأولى ألا يشغل بما هذا سبيله .

٢٣ — قال أبو عبد الله : وجدت ديوان أبى الطيب بخط أبى بكر محمد ابن هاشم أحد الخالديّين ، وقد كتبه بيده فى سنة خمس وخمسين وثلاثمئة بالموصل ، قال فيه ، عند فراغه من مدائح سيف الدولة ماحكيته على وجهه حرفاً حرفاً : هذا آخر ماعمله المتنبى فى مولانا الأمير أطال الله تعالى بقاءه ، وكبت أعداءه ، وكنا شاهدناه فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة بميّافارقين ، ومولانا أدام الله عزه ، فعمل عدة أشعار وهو مقيم بها ، أنشدنا منها :

* إذا كان مَدْحٌ فالنَّسِيبُ المُقَدَّمُ *

ومنها :

* أَيَقْدَحُ فى الخَيْمَةِ العُذَّلُ *(١)

وغير ذلك ، وأنشدنا أيضاً مما عمله فى مولانا أيده الله تعالى فى غير ميّافارقين قصائدَ كثيرة فى مجالس متفرقة ، وكل ذلك بحضرة مولانا أدام الله عزه . فما أنشدنا قوله :

* وَفَاؤُكُمَا كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ *

---

(١) فى الأصل : « أينفع » والصواب ما فى الديوان

ومنه :

٭ رُوَيْدَكَ أيُّهَا المَلِكُ الجَلِيلُ ٭

ومنه : . . . .

ومنه : مرثية فى والدة مولانا أطال الله بقاءه ورضى عنها ونضّر وجهها التى أولها :

٭ نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ والعَوَالِى ٭

ومنه :

٭ غَيْرِى بأكثرِ هَذَا النَّاس يَنْخَدِعُ ٭

ومنه :

٭ عوَاذِلُ ذَاتِ الخالِ فىَّ حَوَاسِدُ ٭

ومنه :

٭ لِعَيْنَيْكِ ما يَلْقَى الفُؤَادُ ومَا لَقِى ٭

ومنه :

٭ ليالىَّ بعدَ الظَّاعِنِين شُكُولُ ٭

ومنه :

٭ دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّوم هَذِى الرَّسَائِلُ ٭

ومنه .

٭ تذَكَّرْتُ ما بَيْنَ العُذَيْب وبَارِقِ ٭

ومنه :

* طِوالُ قِناً تُطَاعِنُها قِصَارُ *

وغير ذلك مما كان ينشده سيِّدنا أيده الله ونحن حضور . وأمَّا غير هذا من شعره ، فإنه أنشدناه فى مواضع كنا نجتمع فيها للمذاكرة عندنا وعنده . وكان ، رضى الله عنه وقتل قاتله ، محباً لنا ، مائلاً إلينا ، يكثر وصفنا وتقريظنا فى مجلس مولانا سيف الدولة ، أدام الله تعالى تأييده ، وفى غيره . ولما افترقنا كان يكاتبنا بأخباره وحاجاته من مصر والكوفة وبغداد . وكان رحمه الله تعالى مفتناً فى علم اللغة والمعرفة بالشعر ،وما يشكل من معانيه ويَدِقُّ من معرفته ، كثير الرواية جيد النقد .

ولقد حكى بعض من كان يحسده أنه كان يضع من الشعراء المحدثين ، ويَغُضُّ منهم . وربما قال : أنشدونى لأبى تمامكم شيئاً حتى أعرف منزلته فى الشعر . فتذاكرنا ليلة فى مجلس مولانا أدام الله عزه بميّافارقين وهو معنا ، فأنشد أحدنا لمولانا أيده الله شعراً له فيه ، قد ألم فيه بمعنى لأبى تمام فاستحسنه مولانا أدام الله تعالى تأييده واستجاده واستعادَه ، فقال المتنبى : وكان ذلك فى أوّل ليلة التقينا به : نعم هذا يشبه قول أبى تمام ، وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى ، فقلنا : قد سُرِرْنا يا أبا الطيب لأبى تمام إذ عرفت شعره ! فقال : يا إخوتى ، أو يجوز للأديب أن لا يعرف أبا تمام ويروى شعره ، وهو أستاذ كل من قال الشعر بعده ؟! فقلنا : إن إنساناً ذكر أنك تقول كيت وكيت ، فأنكر ذلك وحلف مجتهداً أن هذا شئ ما نطق به قط ،ومازال بعد ذلك

إذا التقينا ينشدنا بدائع أبي تمام ويتعجب منها ، وكان يروى شعره بأسره أو أكثره .

وهذا الخبر نقلته من خط الخالدى حرفاً حرفاً ؟ وهو ردٌّ على أبي الحسن المغربي والحاتمي وغيرهما ، فإنهم ادعوا أن المتنبي كان [ينتقص أبا تمـام] ، ويرى نفسه فوقه بكثير .

٢٤ — قال أبو على محمد بن أحمد بن فُورَّجة : كان المتنبي رجلاً داهية ، مُرَّ النَّفس شجاعاً عالى الهمة ، حُفَظَةً للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه مايشينه ويسقطه إلا بخله وشَرَهه على المـال ؛ فحدثنى المؤيد أبو البركات بن أبي الفرج المعروف بابن زَيد التكريتى الشاعر قال : بلغنى أنه قيل للمتنبي : قد شاع عنك من البخل ماقد صار سَمَراً للرفاق ، وأنت تمدح فى شعرك الكرم وأهله ، وتذمُّ البخل وأهله ! ومعلوم أن البخل قبيح ، ومنك أقبح ، لأنك تتعاطى كبر النفس وعلوّ الهمة وطلب الملك ، والبخل ينـافى سائر ذلك ! فقال : إن لبخلى سبباً ، وذلك أنى أذكر وقد وردتُ فى صباى من الكوفة إلى بغداد ، فأخذت خمسة دراهم فى جانب منديلى ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فمررت بصاحب [دكان] وكان يبيع الفاكهة ، فرأيت عنده خمسـة من البطيخ باكورة ، فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالخمسـة دراهم التى معى ، فتقدمت إليه وقلت : بكم تبيع الخمسة بطاطيخ ؟ فقال بغير اكتراث : اذهب ، فليس هذا من أكالك ! فتماسكت معه وقلت : أيها الرجل : دع مايغيظ واقصد الثمن ! فقال : ثمنها عشرة دراهم ، فلشدة ماجَبَهنى به ما استطعت أن

أخاطبه فى المحاططة فوقفت حائراً ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال له : يامولاى ، هذا بطيخ باكور ، بدستورك أحمله إلى منزل مولانا ! فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال بخمسة دراهم ، قال الشيخ التاجر : بدرهمين . فقال : بدرهمين . فباعه الخمسة بطاطيخ بدرهمين وحملها إلى داره ، ودعا له وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت له : ياهذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت علىَّ فى هذا البطيخ وفعلت كيت وكيت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولاً ! فقال : اسكت هذا يملك مئة ألف دينار ! فقلت : وإذا كان معه أضعاف ذلك ، هل يدفع لك إلا الدرهمين ! ؟ فلم يزدنى على أن قال : دع ذا عنك ، فإنه يملك مئة ألف دينار ! فعلمت يومئذ أن الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مئة ألف دينار ، وأنا فلا أزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار .

وقد وقع فى شعر المتنبى الوصية بالحزم فى ضبط الأموال لا البخل بها. وذلك فى قوله فى مدائح كافور وهو :

ولا يَنْحَلِلْ فى المجدِ مالُكَ كُلُّه ... فينْحَلَّ مجدٌ كان بالمال عَقْدُهُ
ودبِّره تدبيرَ الذى المجدُ كَفُّهُ ... إذا حاربَ الأعداء والمالُ زَنْدُهُ
فلا مَجْدَ فى الدُّنيا لمنْ قلَّ مالُه ... ولا مالَ فى الدنيا لمنْ قَلَّ مَجْدُهُ

قال بعضهم : قد أمر المتنبى كافوراً بالبخل حيث حرمه ، وسلك فى ذلك مسلك كثيِّر ، فإن كثيِّراً يحكى عنه أنه دخل على هشام بن عبد الملك ، وكان هشامٌ بخيلاً ، فمدحه ، فلم يُثِبْه وجَبَهَهُ بما يكره ، فقال يخاطبه :

إذا المـال لم تُوجِبْ عَليكَ عَطَاءَهُ
صنيعةُ تَقْوَى ، أو خليــلاً تُوَامِقُهْ
مَنَعْتَ ، وبعضُ المَنْع حَزْمٌ وقُوَّةٌ
ولم يَفْتَلِذْكَ المـالَ إلا حَقَائِقُـهْ

فقيل لـكثيِّر : ماحملك على أن تعلم أمير المؤمنين البخل؟ فقال : إنه منعنى من رفده وألَّنى بردّه ، فأردت أن أحبب إليه المـال فيمنع غيرى كما منعنى ، فنتَّفق على ذمِّه .

وقال أبو عبد الله : لـكنى وجدتُ القصيدة التى منها هذان البيتـان فى أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان .

٢٤ — وقال أبو بكر الخُوَارَزْمىّ : كانت أدوات المتنبىِّ كلها جيدة ، نظمه ونثره ، وعربيته ولُغته ، وكان شجاعاً حسن العقل حسن المداراة للملوك ، عارفاً بطريق انتزاع الأموال منهم ، ولم يكن فيـه مايُعاب به سوى بخله ، ولقد حضرت عنده يوماً بحلب ، وقد أحضر مالاً من صلات سيف الدولة

ابن حمدان ، فصُبَّ بين يديه ، فوزنه وأعاده إلى الأكياس ، وإذا بقطعة من تلك الدراهم قد تخللت خَلَل الحصير وانسابت فيه ، فأكبَّ المتنبى عليها بسائره ، وجعل ينقب عنها بإصبعه ، ويعالج استنقاذها من الحصير إلى أن ظهرت بعض الظهور ، فسُرَّ بذلك ، ورفع إلينا رأسه وهو يتمثل ببيت ابن الخطيم :

تَبَدَّت لنا كالشَّمسِ تحت غَمامَةٍ
بَدَا حاجبٌ منها وضَنَّتْ بِحَاجِبِ

فلم يزل يبحث عنها حتى استخرجها من الحصير وأودعها الكيس ، فعذله بعض جلسائه على هذا الفعل فقال : أما كان يكفيك ما فى هـذه الأكياس ، حتى أدميت إصبعك لأجل هذه القطعة ؟ فقال : مَهْ ، فإنها تحضُر المائدة .

٢٥ — قال أبو عبد الله : وجدت أبا الفتح عثمان بن جنى قال ، حدثنى المتنبى وقت القراءة عليه قال : قال أبو الفضل جعفر بن أبى الفضل بن جعفر ابن حِنْزابة ، وكان وزير كافور : أعلمت أنى أحضرت كتبى كلها ، وجماعة من الأدباء يطلبون لى من أين أخذت معنى قولك :

أَزُورُهم وسوادُ اللَّيلِ يَشْفَعُ لِى وأَنثنِى وبياضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِى

فلم يظفروا به ؟ وكان ابن حنزابة أكثر من رأيت كتباً . قال ابن جنى ثم إنى عثرت بالموضع الذى أخذ منه معنى بيته ، أخذه من قول ابن المعتز :

فالصُّبْح نَمَّامةٌ واللَّيل قَوَّادُ

قال أبو عبد الله : وكان ابن حنزابة هذا وابن العميد وأبو محمد المهلبى ، ثلاثتهم ، يحطُّون على المتنبي وينتقصون منه ، وينقدون عليه معانى شعره ويؤاخذونه بها ، وثلاثتهم كانوا وزراء فُضلاء .

* * *

والحمد لله وَحْده ، والصلاة على أكمل خلقه محمد وعترته الطاهرين وصحبه أجمعين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين .

٣ — ترجمة المتنبي للمقريزيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — أحمد بن الُحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الكُوفىّ ، الشاعر المعروف بالمتنبِّى . وقيل : بل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار . وكان أبوه الحسين يعرف بِعِيدَان السَّقَّاء ، و « عِيدَان » بكسر العين المهملة ، وسكون الياء آخر الحروف ، قاله الخطيب البغدادى .

٢ — وقال ياقوت الحموى : رأيت ديوان أبى الطيب المتنبى بخط أبى الحسن على بن عيسى الرَّبَعىّ ، قال فى أوله : الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن مُرة بن عبد الجبَّار الُجعْفىّ ، وكان يكتم نسبَه ، وقد سألته عن سبب طيِّه ذلك ، فقال : إنِّى أنزل دائماً بعشائر وبقبائل العرب ، ولا أحب أن يعرفونى ، خِيفة أن يكون لهم فى قومى تِرَةٌ * وهذا الذى صحّ لى من نسبه .

٣ — وقال القاضى أبو على المحسِّن بن على التَّنُوخىّ ، حدثنى أبو الحسين [أبو الحسن] محمد بن يحيى الزيدىُّ العلوى ، قال : كان المتنبى وهو صبى ينزل فى جوارى بالكوفة ، وكان أبوه يعرف بِعِيدَان السَّقَّاء ، يستقى لنا ولأهل المحلة ، ونشأ وهو محبٌّ للعلم والأدب وطلبه ، وصحب الأعراب فى البادية ، فجاءنا بعد سنين بدويًّا . وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلازم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الورَّاقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرنى ورَّاق كان

يجلس إليه يوماً قال لى : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عِيدَان قطُّ ! فقلت له : كيف؟ فقال : كان عندى اليوم وقد أحضر رجلٌ كتاباً من كتب الأصمعىّ يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له الرجل : ياهذا أريد بَيْعه ، وقد قطعتنى عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر ! فقال له ابن عِيدَان : فإن كنتُ قد حفظته فى هذه المدة ، فمالى عليك ؟ قال : أَهَبُ لك هـذا الـكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، وقلت : هيَّا ! فأقبل يتلوه علىّ إلى آخره ، ثم استلبه فجعله فى كمه ، فعَلِقَ به صاحبه يطالبه بالثمن ، فقال: ما إلى ذلك من سبيل ، وقد وهبتَهُ لى ! قال : فمنعناه منه وقلنا له : أليس شرطت على نفسك هذا للغلام ؟ فتركه .

٤ — وقال لى أبو الحسين [أبو الحسن] : كان عِيدَان والد المتنبى يذكُر أنه من جُعْفِىّ ، وكانت جدة المتنبى هَمْدَانية صحيحة النسب لا أشك فيهـا ، وكانت جارتنا من صلحاء النساء الـكُوفيَّات .

● قال التنوخى : فاتفق مجىء المتنبى بعد سنين إلى الأهواز مُنصرفاً من فارس ، فذاكرته بأبى الحسين [بأبى الحسن] فقال : ترْبى وصديقى وجارى بالـكوفة . وسألت المتنبّى عن نسبه فما اعترف به ، وقال : أنا رجل أَخْبِط القبائل ، وأطأ البلاد والبوادى ، وخفت أننى متى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطلبة = [بطائلة]= بينها و بين القبيلة التى أنتسب إليها ، وما دمت غير منتسب إلى أحد ، فأنا أسلم من جميعهم ، ويخافون لسـانى . فذكرت له

ما أخبرنى به أبوالحسين من انتسابه إلى جُعْفِىّ ، وأن جَدَّته هَمْدَانِيَّة ، فما أنكر ذلك ولا اعترف به

وقال : ومحل أبى الحسين [أبى الحسن] فوق أن يحكى إلا صدقاً .(١)

٥ — قال : واجتمعت بعد موت المتنبى بسنين مع القاضى أبى الحسين [أبى الحسن] [ابن أم] شيبان الهاشمىّ الكُوفىّ ، وجرى ذكر المتنبى فقال : أعرف أباه بالكوفة شيخاً ينضح على بعير له ، يسمى عِيدَان ، وكان جُعْفِيًّا صحيح النسب .

● ثم رأيت رجلاً كوفيًّا ضريراً ببغداد ، ويذكر أنه أخُو المتنبى من أبيه وأمه ، وسألته عن نسبه ، فقال: كان أبونا يقول إنه من جُعْفِىّ .(٢) انتهى.

٦ — وكان مولد أبى الطيب فى كِنْدة من الكوفة سنة ثلاث ، وقيل إحدى ، وثلاثمئة ، والأول أصح .

٧ — وقد اختلف فى تسميته بالمتنبى ، فقيل إنه ادَّعى النبوَّة فى حداثته ، وقيل غير ذلك .

٨— قال القاضى التنوخىّ : وقد كان المتنبى لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ،

(١) هذه الجملة التى انفرد بها هذا الخبر هنا ، والتى أراد بها تصحيح خبره عن أبى الحسن محمد بن يحيى العلوى ، تزيدنى شكا فى رواية التنوخى وفى صدقه ، راجع ما سلف فى الجزء الأول : ١٩ ـ ٢٨

(٢) هذا خبر غريب جداً ، انظر ابن العديم رقم : ٨ ، ص : ٢٥١ ، ٢٥٢ .

ادّعى أنه علوىٌّ حَسَنِىٌّ ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوىٌّ ، إلى أن أُشهد عليه بالشام والكوفة [أنه نبى !!] ، (١) وأشرف على القتل ، ثم استُتيب .

● وقال : وكان يتردد فى نفسى أن أسأل أبا الطيب المتنبّى عن تنبّيه والسبب فيه ، وهل ذلك اسم وقع عليه على سبيل اللقب ، أو أنه كما كان يبلغنا ؟ فكنت أستحيى منه لكثرة من يحضر مجلسه ببغداد ، وأكره أن أفتح عليه باباً يكره مثله . فلما جاء إلى الأهواز ، ماضياً إلى فارس ، خلوتُ به ، وطاولته الأحاديث وجررتها إلى أن قلت له : أريد أن أسألك عن شىء فى نفسى منذ سنين ، وكنت أستحيى خطابك فيه من كثرة من كان يحضرك ببغداد ، وقد خلونا الآن ، ولا بدّ أن أسألك عنه . وكان بين يدىّ جزء من شعره عليه مكتوبٌ « شعر أبى الطيب المتنبى » ، فقال : تريد تسألنى عن سبب هذا ؟ وجعل يده فوق الكتابة التى هى « المتنبى » ، فقلت : نعم . فقال : هذا شىء كان فى الحداثة أوجبته صُورة . (٢) فما رأيت رَهْسَمَةً ألطف منها ، (٣) لأنه يحتمل المعنيين / فى أنه كان تنبّأ واعتمد الكذب ، أو أن عنده أنه كان صادقاً ، إلا أنه اعترف بالمتنبى على كل حال .

---

(١) هكذا فى الأصل ، وانظر ماسلف ١ : ٧٨

(٢) انظر ماسلف من الكلام فى هذا الخبر ص : ٢١٢ وما بعدها .

(٣) فى الأصل « دهشمة » ولا معنى لهذا ، و « رهسم فى كلامه أو فى الخبر رهسمة » ، إذا أتى منه بطرف ولم يفصح بجميعه . وهذا الخبر هنا أتم مما رواه الخطيب فى تاريخ بغداد ، فى ترجمة أبى الطيب .

● قال : ورأيت ذلك قد صعُب عليه ، فاستقبحت أن أستقصى وألزمه الإفصاح بالقصة ، فأمسكت عنه .

٩ — وحكى القُطْرُبُّلِيُّ وابن أبى الأزهر ، فى تاريخ اجتمعا على تصنيفه ، أن المتنبى أُخرج ببغداد من الحبس إلى مجلس الوزير أبى الحسن على بن عيسى فقال له : أنت أحمد المتنبى ؟ فقال أنا أحمد النبى ، وكشف عن بطنه فأراه سَلْعَة فيه وقال : هذا طابع نبوّتى وعلامةُ رسالتى ! فأمر بقلْع شُمْشُكِهِ وصَفْعه به خمسين ، وأعاده إلى محبسه . ذكر ذلك على بن منصور القارح فى رسالته إلى أبى العلاء المعرى .(١)

١٠ — وقال أبو على بن أبى حامد : سمعت بحلب يحكون ، وأبو الطيب المتنبى بها إذ ذاك ، أنه تنبأ فى بادية السَّماوة ونواحيها ، إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية ، وقاتله وأسره وشرَّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما ، وحبسه فى السجن دهراً طويلاً ، ثم استتابه مما نقل عنه وأخرجه .

● قال : ومن قرآنه قوله من سورة : « والنَّجْمِ السَّيَّار ، والفَلَكِ الدَّوَّار ، واللَّيل والنَّهار ، إن الكافر لِفى أخطار ، آمْضِ على سَنَنِك ، واقْفُ أثر مَنْ

---

(١) انظر رسالة ابن القارح (الطبعة الثانية من رسالة الغفران ، للدكتورة بنت الشاطىء) ص : ٢٥ ، ٢٦ . و « الجشك » : ضرب من النعال ، يقال بالجيم والشين .

كَانَ قَبْلَكَ من المرسلين، فإن الله قامعٌ بك زيغَ مَنْ ألحد في دينه وضَلَّ سبيله »
وهى طويلة .

١١ — وقال له ابن خالويه النحوىّ ، فى مجلس سيف الدولة : لولا أنك جاهلٌ لما رضيت أن تُدْعى بالمتنبى ، لأن « متنبّى » معناه كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال له : أنا لست أرضى أن أدعى بهذا ، وإنما يدعونى به من يريد الغضّ منّى ، ولست أقدر على الامتناع .

١٢ — وقال أبو على بن حامد : قال لى أبى ، وقد سمع قوماً يحكون عن أبى الطيب المتنبى هذه السورة التى قدمنا ذكرها : لولا جهلُه، أين قوله : « امض على سنَنِك »... إلى آخر الكلام ، من قول الله تعالى : ﴿ فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ... إلى آخر القصة ، فهل تتقارب الفصاحة فيهما ؟ أو يشتبه الكلامان ؟

١٣ — وقال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقىّ : قدم المتنبى اللاذقية فى سنة نيف وعشرين وثلاثمئة ، وهو كما عذّر،(١) وله وفرة إلى شحمتى أذنيه ، وضَوَى إلىَّ فأكرمته لما رأيت من فصاحته وحُسن سمته ، وقلت له يومًا : والله إنك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير ! فقال لى : ويحك ! أتدرى ماتقول ؟ ! أنا نبىٌّ مرسل . قلت له : مرسلٌ إلى مَنْ ؟ قال : إلى هذه الأمة الضالّة المضلّة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : أملؤُها عدلاً كما مُلئت جَوْرًا . قلت :

---

(١) هكذا هنا وفى ابن العذيم رقم : ٢٧ .

بماذا ؟ قال : بإدْرار الأرزاق والثَّواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضربِ الأعناق وقطع الأرزاق لمن عصى وأبى . فقلت له : إن هذا أمرٌ عظيم أخاف منه عليك أن يظهر ! وعذلته على قوله ذلك ، فقال بديهاً :

أبا عَبْد الإلهِ مُعَاذُ إنِّى ... خَفِىٌّ عنك فى الهَيْجَا مَقَامِى
ذَكَرْتَ جَسِيمَ ماطَلَبِى، وأنَّا ... نُخَاطِرُ فيه بالمُهَجِ الجِسَامِ
أمِثْلِى تأخذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ ... فَيَجْزَعَ من مُلاقاة الحِمَامِ
ولَوْ بَرَزَ الزمانُ إلىَّ شَخْصاً ... لخضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِى
وما بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيالِى ... ولا سَارَتْ وفى يَدِها زِمَامِى
إذا امتلأتْ عُيُونُ الخيلِ مِنِّى ... فويْلٌ للتيَقُّظِ والمَنَامِ

فقلت له : ألم تكن ذكرتَ أنَّك نبى مرسَلٌ إلى هذه الأمة ؟ أفيوحى إليك ؟ قال : نعم . قلت : فاتْلُ علىَّ شيئاً من الوحى إليك . فأتانى بكلام مامرَّ على سمعى أحسن منه . فقلت : وكم أوحى إليك من هذا ؟ فقال: مئة وأربع عشرة عِبْرَة . قلت : وكم العِبْرة ؟ فأتى بمقدار أكبر من الآى من كتاب الله . قلت : ففى كم مُدَّة الوحى إليك ؟ قال : جملةً واحدة . قلت : فأسْمَعُ فى هذه العِبَر أن لك طاعةً فى السماء ، فما هى ؟ قال : أحبس المِدْرَارَ ، لقطع أرزاق العُصاة والفُجّار . قلت : أتحبس من السماء قَطْرها ؟ قال : إى ، والذى فَطَرَها ، أفما هى معجزة ؟ قلت : بلى . قال : فإن حبستُه عن مكانٍ تنظر إليه ولا تشكّ فيه ، هل تؤمن بى وتصدِّقنى على ما أُتِيتُ به من ربى ؟

قلت : إى والله . قال : سأفعل ، ولا تسألنى عن شىء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تظهر شيئاً من هذا الأمر حتى يظهر ، وانتظر ماوُعِدْتَهُ من غير أن تسأله . فقال لى بعد أيام : أتحب أن تنظر إلى المعجزة التى جرى ذكرها ؟ قلت : بلى والله . قال لى : إذا أرسلت إليك أحد العبيد فاركب معه ولايخرج معك أحد . قلت : نعم . فلما كان بعد أيام تغيّمت السماء فى يوم من أيام الشتاء ، وإذا عبده قد أقبل فقال : يقول لك مولاى ، اركب للوعد . فبادرت بالركوب معه ، وقلت : أين ركب مولاك ؟ فقال : إلى الصحراء ، ولم يخرج معه أحدٌ غيرى . واشتد وقع المطر ، فقال : بادر بنا حتى نستكِنّ معه من هذا المطر ، فإنه ينتظرنا بأعلى تلٍّ لايصيبه فيه المطر . قلت : وكيف عمل؟ قال: أقبل ينظر إلى السماء أوّلَ ما بدا السحاب الأسود ، وهو يتكلّم بما لا أفهم، ثم أخذ السّوط فأدار به فى موضع ستنظر إليه من التل ، وهو يُهَمْهِم والمطر مما يليه ، ولا قطرة منه عليه . فبادرت معه حتى نظرت إليه ، وإذا هو على تلٍّ على نصف فرسخ من البلد ، فأتيته ، وإذا هو عليه قائم ماعليه من ذلك المطر قطرة واحدة ، وقد خُضْت فى الماء إلى رُكْبتى الفرس ، والمطر فى أشدّ مايكون! فنظرت إلى نحو مئتى ذراع فى مثلها فى ذلك التل يابسٌ مافيه ندى ولا قطرةُ مطر ، فسلمت عليه ، فردّ علىّ وقال لى : ماترى ؟ فقلت : ابسط يدك ، فإنى أشهد أنك رسول الله ! فبسط يده فبايعتُه بيعة الإقرار بنبوّته ، ثم قال لى : ماقال لك هذا الخبيث لما دعاك ؟ — يعنى عبدَه ، فشرحت له ماقال لى فى الطريق لمّا استخبرته ، فقتل العبد وقال :

أىَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِى أىَّ عَظِيمٍ أتَّقِى
وكُلُّ ما خَلَقَ اللـــه ومَا لم يَخْلُقِ
مُحْتَقَرٌ فى هِمَّتى كَشَعْرَةٍ فى مَفْرِقِ

وأخذت بيعته لأهلى ، ثم صحَّ بعد ذلك أن البيعة عمَّت كل مدينة بالشام ، وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب ، وهى « صدحة المطر » يصرفه بها عن أىّ مكان أحبَّ بعد أن يَحْوِىَ عليه بعصاً وينفث بالصَّدحة التى لهم . وقد رأيت كثيراً منهم بالسَّكُون وحضرموت والسَّكاسك من اليمن، يفعلون هذا ولا يتعاظمونه ، حتى إن أحدهم يصدح عن غنمـه وإبله وبقره ، وعن القرية من القُرَى فلا يصيبها من المطر قطرةٌ ، ويكون المطر مما يلى « الصَّدْحة » ، وهو ضرب من السحر . ورأيت لهم من السّحر ما هو أعظم من هذا ، وسألت المتنبى بعد ذلك : هل دخلت السَّكُون ؟ قال : نعم ، ووالدى منها ، أما سمعت قولى :

أَمُنْسِىَّ السَّـكُونَ وحَضْرَمَوْتاً وَوَالِدَتِى وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا

فقلت : من ثَمَّ استفاد ما جوّزه على طغام أهل الشام .

١٤ — وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرّىّ : أخبرنى بعض الكتّاب، قال : كنت بالدِّيوان فى بعض بلاد الشام ، فأسرعت المُدْية فى إصبع بعض الكتّاب وهو يبرى قلمه ، وأبو الطيب حاضرٌ ، فقام إليه وتفل عليه، وأمسكها ساعة بيده ثم أرسلهـا وقد اندملت بدمها ، فجعل يُعَجِّبُ من ذلك ويُرِى

من حضر أن ذلك من معجزاته .[١]

١٥ — وقال أبو الفتح عثمان بن جنّي النحوي : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لُقِّبت بالمتنبي لقولي :

أَنَا فِي أُمَّةٍ ، تَدَارَكَهَا اللهُ ، غريبٌ كَصَالحٍ في ثَمُودِ
مامُقَامِي بِدَارِ نَخْلَةَ إلاَّ كَمُقَامِ المَسِيحِ بين اليَهُودِ

١٦ — وقيل له : على من تنبأت ؟ قال : على الشعراء . فقيل : لكل نبي معجزة ، فما معجزتك ؟ قال قولي :

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

١٧ — ودخل أبو الطيب في صباه إلى الشام وجال في أقطارها ، وصعد بعد ذلك إلى مصر ، وكان بها في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة ،[٢] وقدم وافداً على سيف الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، فأكرمه ونفق عليه ، إلى أن خرج من حلب غضبان بسبب كلام وقع بينه وبين أبي عبد الله ابن خالويه في مجلس سيف الدولة ، فضربه ابن خالويه بمفتاح في سنة ست وأربعين وثلاثمئة ، وصار إلى مصر مرة ثانية ، ومدح بها الأستاذ أبا المسك كافور الإخشيدي ، ولم يمدح بمصر غيره سوى فاتك الإخشيدي المعروف بالمجنون ، عندما بعث إليه من الفيُّوم = وكان مقيماً بها

(١) انظر رسالة الغفران ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٢) هذا تاريخ جديد مهم في ترتيب رحلة المتنبي يحتاج إلى تفصيل ، وانظر ابن العديم رقم ٦٦

لأن له مالاً بها كثيراً وكُسوة وجمالاً = جاء مبلغ ذلك سبتمئة دينار ، وذلك أنه بلغه تقصير كافور به ، فمدحه بقصيدة أولها ....[(١)] وكان المتنبي يقف بين يدي كافور وهو متكىء على سيفه في عشية كلِّ عيد ، والشعراء تنشد مدائحها في كافور . فكلما فرغ شاعر من إنشاده رفع كافور رأسه إلى المتنبي وقال : إيش تقول يا أبا الطيب في هذا الشاعر ؟ فيقول له ما يمكنه . ومازال مع كافور كذلك إلى أن هرب ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمئة . وسبب هربه تقصير كافور في حقه ، فإنه طلب منه أن يولِّيه عملاً من أعمال مصر ، فلم يجبه إلى ذلك فسخط : وعنـدما عزم على الهرب من مصر أرسل إلى أبي بكر القَرْغَانيّ ، أحد جلساء كافور يقول له : إني أجد وجعاً ، وللأستاذ عندي رقعة فيها مُهِمٌّ ، فتدفعها إليه عشية العيد عند العتمة إذا خلا ، فقد هنيته بالعيد ، وذكرت عذري في التأخر . فأخذ الفرغانيّ الرقعة ، وهرب المتنبي من ساعته وأصبح الناس بشغل العيد ، وجلس كافور عَشِيَّة العيد للشعراء ، فسأل عن المتنبي وقال : سلوا عنه ! فتوانى من قيل له ، وتوانى الفرغاني أيضاً تلك الليلة في إيصال الرقعة إلى كافور ، فلم يوصلها إليه إلا من الغد ، فجاء بها كافوراً مع العتمة ، وقال له والشمع بين يديه : دفع لي عبدك أبو الطيب المتنبي رقعة وهو ضعيف من شيء يجده ، وعرَّفني أن فيها مُهِمًّا ! فاتهمه كافور أنه قد هجاه في الرقعة ، فأخذها بيده وقال : أرسلوا إلى أبي الطيب سلوا عنه . فمضى عدة من

---

(١) الكلام في المخطوطة متصل ، وهو سهو . والقصيدة التي يعنيها هي قوله :

* لاَ خَيْلٌ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا ولاَ مَالُ *

الرسل فى طلبه ، فانكشف الأمر أنه هرب . فوضع كافور الرقعة فى الشمعة وأحرقها بيده ، وعلم أنه هجاه ، وأخذ يَسُبُّ من حسّن له التقصير فى أمره ، وتأسف عليه ، وقلق بذهابه .

١٨ — وقدم المتنبى على عَضُد الدولة بشيراز ، فلما وصل إلى حضرته فى أول مجلس شاهده فيه ، قال لأبى القاسم عبد العزيز بن يوسف : اُخرج ، واستوقفه واسأله كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم فى نفسه منا ؟ قال : فامتثلتُ ما أمرت به ولحقته ، وجلست معه وحادثته وطاولته ، وأطلت معه فى المعنى الذى ذكرته ، فكان جوابه عن جميع ماسمعه منى أن قال : « ماخَدَمتْ عيناىَ قَلْبِى كاليَوْم » ، فجاء الجواب موزوناً ، واستوفى القول فى اختصار من اللفظ .

١٩ — ويقال إنه لما دخل على عضد الدولة بشيراز قال : أنا لا أنشد ماثلاً . فأمر له عضد الدولة بكرسى ، فلما دخل ورآه ، أنشده قائماً ، فأمره بالجلوس فأبى ، وقال : هيبتُك تمنع من ذلك ! فوقع قوله وفعله منه أحسن موقع .

● ومن شعره :

أُنْصُرْ بجُودِكَ ألفاظًا تركتُ بها
في الشرق والغرْب من عادَاكَ مكبُوتَا
فقــــد نَظَرْتُك حتّى حان مرتحلٌ
وذَا الوداعُ ، فكن أهلاً لما شِيتَا

فأعطاه دون الخمسة دراهم وقبلها .

٢٠ — وخرج من شيراز لثمان خلون من شعبان قاصدًا بغداد ، ثم سار منها إلى الكوفة ، حتى إذا بلغ دير العاقول وخرج منه قدر ميلين ، خرج عليه فرسانٌ ورَجّالة من بنى أَسَدٍ وشَيْبان ، فقاتلهم مع غُلامَين من غلمانه ساعة ، وقتلوه وقتلوا معه أحد الغلامين وهرب الآخَر ، وأخذوا جميع ما كان معه ، وقتلوا ابنَهُ المحسَّد ، وذلك يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة بالقرب من النُّعْمَانية = وقيل : لخمس بقين من رمضان المذكور = وقيل : فى شوّال بالصَّافية من أرضِ واسط ، والذى قتلهُ فاتكُ بن أبى جهل ، ابن خالة « ضبّة » الذى هجاهُ المتنبىّ ، وكان على شاطىء دجلة .

٢١ — وذكر الخالديّان ، عن أبى نصر محمد بن المبارك الجَبُّلىّ قال : خرج المتنبى من واسط يوم السبت لثلاث عشرةَ بقيت من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، وقتِل بِبَنُوزَى = بفتح أوّله ، وضمّ ثانيه ، وبعده زاىٌ معجمة ، مقصورٌ على وزن « فَعُولَى »[(١)] = بشطّ الفرات ، ضيعة بقرب دير العاقول ، فى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من رمضان ، وكان معهُ يومَ قُتِل سبعون ألف دينار ، وأُخْرِجَ من الماء مقتولاً ، ودفن بالصافية .

---

(١) أما ياقوت فذكرها « بالراء » ولم يقل « راء مهملة » ، فأخشى أن يكون تصحيفاً فى معجم البلدان . وفى معجم ياقوت فوائد ، فراجعها هناك . وانظر ماسلف فى ابن العديم رقم : ٧٨ ، ثم رقم : ٨١ « بيزع » .

والذى قتله فاتك بن أبى جهل بن فراس بن بداذ ، وهو قرابة لوالدة ضبّة ابن يزيد العَيْنِىّ الذى هجاه المتنبى بقوله :

مَا أنصفَ القَومُ ضَبَّهْ   وأُمَّهُ الطرْطُبَّـــــــهْ

ويقال : إنّ فاتكاً خالُ ضَبّة .

٢٢ — وديوان شعر المتنبى مشهورٌ ، والجيّد من شعره لايجارَى فيه ولا يُلحَق ، والردىء منه فى غاية الرداءة والسقوط ، هذا هو الإنصافُ فى حقّه . والناس فيه مذهبان ، وقد تعصَّبتْ له وعليه طوائفُ مابين غالٍ ومقصِّرٍ .

٢٣ — وقد روى عنه القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملىّ ، وأبو الفتح عثمان بن جنّى ، وأبو محمد الحسن بن على بن الصَّقْر الكاتب ، وأبو الحسن على بن أيوب بن الُحسين بن السَّاربان الكاتب ، والأستاذ أبو على أحمد بن مسكويه ، وأبو عبد الله بن باكَوَيْهِ الشيرازىّ ، وأبو الحسن على بن عيسى الربعىّ ، وأبو القاسم بن حسن الحمصىّ ، وعبد الصَّمد بن زهير بن هرون بن أبى جرادة ، ومحمد بن عبد الله بن سعد النحوىّ الحلبيّان ، وعبد الله بن عبيد الله الصفرىّ الشاعر الحلبىّ ، وعبيد الله بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أبى الجوع الورّاق المصرىّ ، وأبو إسحق إبراهيم بن عبد الله الغزى ، وأبو بكر الطائى ، وأبو القاسم النيلبُختىّ ، وأبو محمد الحسين بن محمد

ابن إبراهيم، وأبو العباس بن الحوت ، وجماعةٌ سواهم .(١)

٢٤ — ويقالُ إنّ بعض الأشراف قدم من الكوفة فدخل إلى مجلسٍ فيه المتنبّي ، فنهض الناس كلهم له سوى المتنبّي ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال فى الكوفة وما تجدّد هناك ، فقال المتنبّي : ياشريف ، كيف خلّفتَ الأسعارَ بالكوفة ؟ فقال له : راويةٌ برطلين خبز ! فأخجله . وذلك أنه قصد أن أباه عيدان كان سقّاء .

٢٥ — وقال أبو العباس النامى المِصّيصىّ : كان قد بقى من الشعر زاويةٌ دخلها المتنبّي ، وله معنيان ماسُبِق إليهما ، قولُه :

رَمَانى الدّهرُ بالأرْزَاء حتّى فُؤَادِى فى غِشاء من نِبَالِ

والآخر :

فى جَحْفَلٍ سَتَرَ العيونَ غُبارُه فكأنّما يُبْصِرْنَ بالآذانِ

٢٦ — وقال أبو الفتح بن جنّى : كنت أقرأ ديوان أبى الطيّب عليه ، فقرأتُ قوله فى كافور :

أغالبُ فيكَ الشوقَ ، والشوقُ أغلبُ
وأعجبُ منٍ ذا الهجْرِ ، والوصلُ أعجبُ

---

(١) انظر ترجمة ابن العديم فيما سلف رقم : ٦ ، ص : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

حتى بلغتُ إلى قوله :

ألا ليتَ شِعْرى ، هل أقولُ قصيدةً
فلا أشتكى فيهـا ولا أتعتَّبُ

وبى مايذودُ الشعرَ عنّى أقلُّه
ولكنَّ قلبى ، يا ابنةَ القوم ، قُلَّبُ

فقلت : يعزُّ علىّ ، كيف يكونُ هـذا الشعر فى ممدوح غير سيف الدولة ؟ فقال : حذّرناه ، وأنذرناه مانفع ، أليسَ القائل :

أخا الجودِ أعطِ النّاسَ ما أنتَ مالِكٌ
ولاتُعْطِيَنَّ النـاسَ ما أنا قائلُ

فهو الذى أعطانى لكافورٍ بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

٤٧ — وذكر صالح بن إبرهيم بن رِشْدين قال ، قال لى أبو نصر بن غياث النصرانىّ الكاتب : اعتلّ أبو الطيّب بمصر العِلّةَ التى وصف الحُمّى فى أبياته من القصيدة الميمية ، فكنتُ أواصل عيادتَه وقضاء حقوقها ، فلمّا توجّه إلى الصلاح وأبلّ ، أغببتُ زيارته ، ثِقةً بصلاحه ، واشتُغل قطعنى عنه ، فكتبَ إلىّ :

« وَصَلْتَنى ، وَصَلَكَ الله ، مُعْتلاًّ ، وقطعتنى مُبِلاًّ ، فإنْ رأيتَ أن لاتحبِّبَ العلّةَ إلىّ ، ولاتكدّر الصّحةَ علىّ ، فعلتَ إن شاء الله » .

٢٨ — وقال على بن حمزة البصرى : بلوتُ من المتنبى ثلاثَ خِصال ذميمةً كُلَّ الذمّ ، وهى أنه ماصَام ولا صَلّى ولا قرأ القرآن = وبلوتُ منه ثلاثَ خصالٍ محمودة : ما كذبَ ولا زنَى ولا لاَط .

٢٩ — وقال أبو العباس بن الحوت الورّاق : أنشدنى أبو الطيّب المتنبى لنفسه :

تَضَاحكَ منَّا دَهْرُنَا لَعِبًا بِنَا ... وعلّمنا التَّمويهَ لو نتعلّمُ
شَرِيفٌ زُغَاوِيٌّ ، وزانٍ مذكِّرٌ ... وأعمشُ كحّالٌ ، وأعمى منجّمٌ(١)

٣٠ — وما أحسن قوله :

هنيئًا لكَ العيدُ الذى أنت عيدُهُ
وعيدٌ لمن سَمّى وضَحّى وعَيّدَا
فذا اليومُ فى الأيّامِ مِثْلُكَ فى الورى
كما أنت فيهم أوحَدٌ كان أوحدَا

٣١ — وقال ، وقد نُعِى فى مجلس سيف الدولة ، وهو يومئذٍ عند كافور بمصر :

يا مَنْ نُعِيتُ على بُعْدٍ بمَجْلسِهِ ... كُلٌّ بما زَعَمَ النّاعُونَ مُرْتَهَنُ

---

(١) انظر ماسلف فى ابن العديم رقم ٧٣ .

كم قد قُتِلْتُ، وكم قد مِتُّ عندكمُ، ثم انتفضتُ فزال القبرُ والكفنُ
قد كان شاهدَ دفنى قبلَ قولهمُ، جماعةٌ، ثم ماتوا قبلَ من دفنوا
ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يدركُهُ تجرى الرِّياحُ بما لا تشتهى السُّفُنُ

٣٢ — وقال، وقد مرضَ بمصر، وهى أحسنُ ما وُصِفت به الحُمَّى :

ولمَّا صارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا جَزَيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ
وصِرْتُ أشُكُّ فِيمَنْ أصطَفيه لِعِلْمى أنَّهُ بعضُ الأنامِ
ولم أرَ فى عُيوبِ النَّاسِ عيباً كنَقْصِ القادرينَ على التَّمامِ
أقمتُ بأرضِ مِصْرَ فلا وَرَائى تَخُبُّ بِيَ الرِّكابُ ولا أمَامِى
ومَلَّنِيَ الفِراشُ، وكانَ جَنْبِى يَمَلُّ لِقاءَهُ فى كُلِّ عَامِ
قليلٌ عائِدِى، سَقِمٌ فؤادى، كثيرٌ حاسِدى، صَعْبٌ مَرَامِى
عَليلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القِيامِ شديدُ السُّكْرِ من غيرِ المُدَامِ
وزائرتِى كأنَّ بها حَيَاءً فليسَ تَزورُ إلاَّ فى الظَّلامِ
بَذَلْتُ لَهَا المَطَارِفَ والحَشَايَا، فعافَتْها وباتَتْ فى عِظَامِى
يضيقُ الجلدُ عن نَفَسِى وعنها، فتُوسِعُهُ بأنواعِ السَّقَامِ
إذا ما فارَقَتْنِى غَسَّلَتْنِى، كأنَّا عاكِفانِ على حَرَامِ
كأنَّ الصُّبحَ يطرُدُها فتجرِى مَدَامِعُها بأربعَةٍ سِجَامِ

أراقبُ وَقتها من غير شَوقٍ ... مُرَاقبةَ المَشوقِ المُستهامِ
ويصدُقُ وَعدُها ، والصِّدقُ شرٌّ ... إذا ألقاكَ في الكُرَبِ العظامِ
أبِنتَ الدّهر ، عِندي كُلُّ بِنتٍ ، ... فكيفَ خَلَصتِ أنتِ من الزّحامِ؟
جَرَحتِ مُجَرَّحاً لم يَبقَ فيه ... مَكانٌ للسُّيوفِ وللسِّهامِ
يقولُ لِيَ الطبيبُ : أكَلتَ شيئاً! ... وداؤكَ في شَرابِكَ والطّعامِ
وما في طِبِّه أنّي جَوادٌ ... أضرَّ بجِسمِه طُولُ الجِمامِ
فإن أمرضْ فما مَرِضَ اصطِباري، ... وإنْ أُحمَمْ فما حُمَّ اعتِزامِه
وإنْ أسلَمْ فما أبقَى ، ولكنْ ... سَلِمتُ من الحِمَامِ إلى الحِمامِ

٣٣ — ورثاهُ أبو القاسم المظفّر بن علي الزّوزنيّ الكاتب بقوله :

لارَعَى اللهُ سِربَ هذا الزّمانِ ... إذ دَهَانا في مِثلِ ذاكَ اللسانِ
كان من نَفسه الكبيرةِ في جَيشٍ ... وفي كِبرياء ذي سُلطانِ
كانَ في لفظه نبيًّا ، ولكنْ ... ظهرتْ مُعجزاتُه في المعاني

٣٤ — وقالت أختُ المتنبي لما قُتِل :(١)

يا حازمَ الرّأي إلاّ في تَهجُّمِه
على المكارِهِ غابَ البَدرُ في الطَّفَلِ
لَنِعمَ ما عامَلتكَ المُرهَفاتُ به ! ... ونِعمَ ما كُنتَ توليها من العَمَلِ!

(١) انظر ماسلف في ابن العديم رقم ٨٣٠٦ .

الأرضُ أمٌّ أصبناها بواحدِها فاسترجعتْهُ ، وردّتهُ إلى الحبَلِ

٣٥ — ومن عجيب نقد الشعر : أن المتنبي لما أنشد سيفَ الدولة بن حمدانَ قصيدته التى أولها :

* على قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تأتى العزائمُ *

[فلما بلغ المتنبي إلى قوله :

وقفتَ ، وما فى المَوْتِ شكٌّ لواقفٍ] [(١)]

كأنك فى جَفْنِ الرَّدَى ، وهو نائمُ

تمرُّ بك الأبطال كَلْمَى هزِيمةً ،

ووجهُك وَضَّاحٌ وثغرُك باسِمُ

[قال سيف الدولة : قد انتقدتُهما عليك] ، [(٢)] كما انتُقِد على امرئ القيس قوله :

كأنِّىَ لم أركَبْ جوادًا لِلَذّةٍ ولم أتبطَّنْ كاعِبًا ذاتَ خلخالِ

ولم أسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقُلْ لخيلِى : كُرِّى كَرَّةً بعد إجفالِ

فكما كان ينبغى لامرئ القيس أن يركّبَ القسمَ الأخيرَ من بيته الأول ، على القسم الأول من بيته الثانى ، فيقول :

(١) الكلام متصل فى المخطوطة ، وما بين القوسين هو حق الكلام .

(٢) الكلام متصل فيها ، وحق الكلام ما أثبت .

كأنى لمْ أركَبْ جَوَادًا ، ولم أقل ... لخيلىَ كُرِّى كرةً ، بعدَ إجفالِ
ولم أسبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ للذةٍ ... ولم أتبطَّنْ كاعبًا ذات خلخالِ

فيقرن لذة الشرب بلذة النكاح ، وركوبه الجواد بأمرهِ خيلَهُ بالكرّ = فكذلك كان ينبغى أن تركب هذين البيتين فتقول :

وقفتَ وما فى الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... ووجْهُك وضاحٌ وثَغْرُك باسِمُ
تمرُّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هزيمَةً ... كأنَّك فى جَفْن الرَّدَى وهو نائِمُ

حتى يأتلف المدح بتيقُّن الموت ، مع توضُّح الوجه وتبسُّم الثّغر ، ويأتلف . . . . (١)

---

(١) الكلام غير تام فى المخطوطة . والقصة معروفة ، انظر نسخة ديوان المتنبى ص: ٣٧٧ طبعة الدكتور عبد الوهاب عزام . الصبح المنبى (دار المعارف) ص : ٨٤ ، ٨٥ .

الفهرست

٧ — تصدير السفر الثاني

٩ — « بيني وبين طه »

١١ — المقالة الأولى « البلاغ » السبت ٢ من ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ
١٣ من فبراير سنة ١٩٣٧

٢٦ — « الثانية » السبت ٩ من ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ
٢٠ من فبراير سنة ١٩٣٧

٤٢ — « الثالثة » السبت ١٦ من ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ
٢٧ من فبراير سنة ١٩٣٧

٥٧ — « الرابعة » الثلاثاء ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ
٩ من مارس سنة ١٩٣٧

٧١ — « الخامسة » السبت ٣٠ من ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ
١٣ من مارس سنة ١٩٣٧

٨٤ — « السادسة » السبت ٧ من المحرم سنة ١٣٥٦هـ
٢٠ من مارس سنة ١٩٣٧

٩٩ — « السابعة » السبت ١٤ من المحرم سنة ١٣٥٦هـ
٢٧ من مارس سنة ١٩٣٧

١١٣ — « الثامنة » السبت ٢١ من المحرم سنة ١٣٥٦هـ
٣ من إبريل سنة ١٩٣٧

١٢٧ — « التاسعة » السبت ٢٨ من المحرم سنة ١٣٥٦هـ
١٠ من إبريل سنة ١٩٣٧

١٤٣ — المقالة العاشرة « البلاغ » السبت ٦ من صفر الخير سنة ١٣٥٦هـ
١٧ من إبريل سنة ١٩٣٧
١٥٧ — « الحادية عشرة « الثلاثاء ٢٣ من صفر الخير سنة ١٣٥٦هـ
٤ من مايو سنة ١٩٣٧
١٧١ — « الثانية عشرة « الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٦هـ
١١ من مايو سنة ١٩٣٧

* * *

١٨٣ — « نبوة المتنبي »

١٨٥ — نبوة المتنبي « محمود محمد شاكر »
الرسالة (١٦٧) الاثنين ٢٨ من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥هـ
١٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٦
١٩٦ — حول « نبوة المتنبي » «سعيد الأفغاني »
الرسالة (١٧٠) الاثنين ١٩ من رجب سنة ١٣٥٥هـ
٥ من أكتوبر سنة ١٩٣٦
٢٠٩ — نبوة المتنبي أيضاً « محمود محمد شاكر »
الرسالة (١٧١) الاثنين ٢٦ من رجب سنة ١٣٥٥هـ
١٢ من أكتوبر سنة ١٩٣٦
٢٢١ — نبوة المتنبي أيضاً « محمود محمد شاكر »
الرسالة (١٧٢) الاثنين ٣ من شعبان سنة ١٣٥٥هـ
١٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٦

٢٢٤ — حول «نبوة المتنبي أيضاً» « سعيد الأفغاني »
الرسالة (١٧٤) الاثنين ١٧ من شعبان سنة ١٣٥٥هـ
٢ من نوفمبر سنة ١٩٣٦

* * *

٢٤١ — كلمة الرافعي

٢٤٣ — المقتطف والمتنبي « مصطفى صادق الرافعي »
الرسالة (١٣٢) الاثنين ١٨ من شوال سنة ١٣٥٤هـ
١٣ من يناير سنة ١٩٣٦

* * *

٢٤٧ — ثلاث تراجم للمتنبي

٢٤٩ — (١) ترجمة المتنبي من « بغية الطلب » لابن العديم (٥٥٨ — ٦٦٠هـ)
٣١١ — (٢) « « من « تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩٩ — ٥٧١هـ)
٣١٩ — (٣) « « من « المُقَفَّى » للمقريزي (٧٧٦ — ٨٤٥هـ)

رقم الإيداع ٢٥٢٩ / ١٩٧٦

مطبعة المدنى

٦٨ شارع العباسية - القاهرة